١٥
جمادى الآخرة ١٤٤٤هـ
كانون الثاني ٢٠٢٣م

مجلة علمية تخصصية نصف سنوية تصدر عن
مركز الدراسات التخصصية للإمام المهدي عليه السلام

في هذا العدد:

أثر الحركات المنحرفة في الموروث المهدوي
(الحركة الإسماعيليَّة نموذجاً)
السيِّد محمَّد القبانجي

قراءة في واقع الأديان السماوية عند ظهور الإمام المهدي عليه السلام
(التعاطي والآليات)
مرتضى علي الحلي

الازدهار الاقتصادي في الدولة المباركة
الشيخ علي الفياض

أحداث عصر الظهور بين الإعجاز والتطور العلمي
م. د ساجد صباح ميس العسكري

دابة الأرض - قراءة في الحقيقة والصفات
الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

ضرورة الحكومة المهدوية
بين نظرية العَقد الاجتماعي وارتكازية العصمة
الشيخ حميد الكلابي

توضيح الإجابات - رسالة في توضيح إجابات ابن قِبَة رحمه الله
في نقض كتاب الإشهاد لأبي زيد العلوي (الحلقة الثالثة)
الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

الموعود

مجلة علمية تخصّصية نصف سنوية

تصدر عن

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

المشرف العام

السيّد محمّد القبانچي

رئيس التحرير

الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

مدير التحرير

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

الإخراج الفني والتنضيد الإلكتروني

الأستاذ حسن محمد حسن الطريفي

عدد النسخ

٥٠٠ نسخة

الناشر

مركز الدراسات التخصصية في الإمام المهدي عليه السلام

جميع الحقوق محفوظة للناشر

www.m-mahdi.net/almauood

الهيـــــأة الاستشاريـــــة

السيّـد أحـمد الاشكـوري

الشيـخ نـزار آل سـنـبـل

السيّـد ضيـــاء الخبّـاز

الشيـخ علـي آل محـسـن

الموعود
مجلة علمية تخصّصية نصف سنوية
تصدر عن مركز الدراسات التخصّصية في الإمام المهدي عجل الله فرجه

قواعد النشر في مجلَّة الموعود

١- تنشر المجلَّة الأبحاث العلمية الرصينة المختصّة بعقيدة الموعود عجل الله فرجه.

٢- الأفضل أن تكون البحوث مطبوعة، على أن لا تقلّ كلمات البحث عن (٤٠٠٠) كلمة أو (١٥) صفحة (A4).

٣- أن تحتوي الصفحة الأُولى من البحث على عنوان واسم الباحث/الباحثين، وجهة العمل والعنوان، ورقم الهاتف والبريد الإلكتروني إن وُجِد.

٤- يُشار إلى المصادر جميعها بأرقام الهوامش، وتراعى الأصول العلمية المتعارفة في التوثيق والإشارة.

٥- أن تُرفَق نسخة من السيرة العلمية إذا كان الباحث يتعاون مع المجلّة للمرّة الأولى.

٦- أن لا يكون البحث قد نُشِرَ سابقاً.

٧- لا تُعَبِّر الأفكار المنشورة في المجلَّة بالضرورة عن وجهة نظر جهة الإصدار.

٨- يخضع ترتيب الأبحاث المنشورة لموجبات فنيّة.

٩- تخضع البحوث لتقويم علمي لبيان صلاحيتها للنشر، ولا تعاد البحوث إلى أصحابها سواءً أنُشِرت أم لم تُنشَر.

١٠- يُمنح كلّ باحث نسخة واحدة من العدد الذي نُشِرَ فيه بحثه، ومكافأة مالية مجزية.

١١- تُرسَل البحوث للمجلَّة، أو تُسلَّم مباشرة إلى مقر المجلة على العنوان التالي:

العراق، النجف الأشرف، شارع السور، قرب جبل الحويش.

رقم الهاتف: ٠٠٩٦٤٧٨١٦٧٨٧٢٢٦

www.m-mahdi.com/almauood
almauood@m-mahdi.com

المعود
ALMAUOOD

تمهيدنا
كيف نكون إلهيين؟

منذ أن خُلِقَ الإنسان وله هدف.

بعد معرفة الهدف تبدأ المعاناة متمثلةً في كيفية الوصول إليه، وفي من الذي يعيننا علىٰ هذا الوصول.

منهجان متغايران:

* منهج إلهي: صرّح بالهدف بوضوح، كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَما خَلَقْتُ الجِنَّ وَالإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦)، كما وصرّح بإيصاله إلىٰ الناس بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنا لَهُمُ القَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (القصص: ٥١).

وقد ورد في الحديث عَنْ حَمَّادٍ عَنْ عَبْدِ الأَعْلَىٰ، قَالَ: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قَوْلِه: ﴿وَما كانَ اللهُ لِيُضِلَّ قَوْماً بَعْدَ إِذْ هَداهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ ما يَتَّقُونَ﴾ [التوبة: ١١٥]، قَالَ: «حَتَّىٰ يُعَرِّفَهُمْ مَا يُرْضِيه ومَا يُسْخِطُه»[1].

* منهج بشري، لا يملك ذلك الوضوح حيث يصرِّح أتباعه بين الحين والآخر بضعف أدواتهم المعرفية عن وضع الأجوبة المناسبة للأسئلة الكبرىٰ في حياة البشرية.

---

١. الكافي: ج١، ص١٦٣، ح٥.

الإلهي، ولسبب أو آخر تدخّل فيه البشري فلم يبقَ منه إلّا اسمه عند جملة من الأديان والمذاهب فصار اسمه إلهياً وواقعه بشرياً.

قال تعالىٰ: ﴿يَسْمَعُونَ كَلامَ اللهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِنْ بَعْدِ ما عَقَلُوهُ﴾ (البقرة: ٧٥).

وهذا كان أحد أسبابه تداخل مساحات البشر وتدخلهم في المساحة الإلهية التعبدية.

*** ضرورة تحديد المساحات:**

لابد أن نحدد مساحة البشر في الدين وأدوات حركة الإنسان في المنظومة الدينية وإلّا فسوف يتحول الدين من إلهي إلىٰ بشري، ونفقد مع هذا التحول إمكانية الوصول إلىٰ الهدف المنشود.

نحن في هذا المذهب والدين الحق نرىٰ أن من يحدد الدين هو الله تعالىٰ، قال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسىٰ وَعِيسَىٰ...﴾ (الشورىٰ: ١٣)، وليس للبشر - بمعزل عن الله - دور فيه، قال تعالىٰ: ﴿وَما آتاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ (الحشر: ٧).

* الدين كمنظومة يتركب من قواعد وهي العقيدة وقوانين وهي التكاليف الشرعية وقيم وآداب وهي الأخلاق.

ويبتني علىٰ أسس في تحقيق هذه المنظومة، وهي الشريعة الإلهية.

* يشكّل الإيمان بالغيب والطاعة ووجود الواسطة في الاتصال من ركائز المنظومة الدينية الأساسية.

ففي الروايات الشريفة وردت العديد من النصوص المتضمنة لبيان هذا المعنىٰ، منها:

عـن أبي عبـد الله عليه السلام أنـه قـالَ: «إِنَّـا لَمَّـا أَثْبَتْنَـا أَنَّ لَنَـا خَالِقـاً صَانِعـاً مُتَعَالِيـاً عَنَّـا وعَـنْ جَمِيـعِ مَـا خَلَـقَ، وكَانَ ذَلِـكَ الصَّانِـعُ حَكِيـماً مُتَعَالِيـاً لَمْ يَجُـزْ أَنْ يُشَـاهِدَه خَلْقُـه ولَا يُلَامِسُـوه فَيُبَاشِرَهُـمْ ويُبَـاشِرُوه ويُحَاجَّهُـمْ ويُحَاجُّـوه، ثَبَـتَ أَنَّ لَـه سُـفَرَاءَ فِي خَلْقِـه يُعَـبِّرُونَ عَنْـه إِلَىٰ خَلْقِـه وعِبَـادِه ويَدُلُّونَهُـمْ عَـلَىٰ مَصَالِحِهِـمْ ومَنَافِعِهِـمْ ومَـا بِـه بَقَاؤُهُـمْ وفِي تَرْكِـه فَنَاؤُهُـمْ، فَثَبَـتَ الآمِـرُونَ والنَّاهُـونَ عَـنِ الحَكِيـمِ العَلِيـمِ فِي خَلْقِـه والْمُعَـبِّرُونَ عَنْـه جَـلَّ وعَـزَّ وهُـمُ الأَنْبِيَـاءُ عليهم السلام وصَفْوَتُـه مِـنْ خَلْقِـه، حُكَمَاءَ مُؤَدَّبِـينَ بِالحِكْمَـةِ، مَبْعُوثِـينَ بِهَـا غَـيْرَ مُشَـارِكِينَ لِلنَّـاسِ عَـلَىٰ مُشَـارَكَتِهِمْ لَهُـمْ فِي الخَلْـقِ والتَّرْكِيـبِ فِي شَيْءٍ مِـنْ أَحْوَالِهِـمْ مُؤَيَّدِيـنَ مِـنْ عِنْـدِ الحَكِيـمِ العَلِيـمِ بِالحِكْمَـةِ، ثُـمَّ ثَبَـتَ ذَلِـكَ فِي كُلِّ دَهْـرٍ وزَمَـانٍ مِمَّـا أَتَـتْ بِـه الرُّسُـلُ والأَنْبِيَـاءُ مِـنَ الدَّلَائِـلِ والبَرَاهِـينِ لِكَيْـلَا تَخْلُـوَ أَرْضُ الله مِـنْ حُجَّـةٍ يَكُـونُ مَعَـه عِلْـمٌ يَـدُلُّ عَـلَىٰ صِـدْقِ مَقَالَتِـه وجَـوَازِ عَدَالَتِـه»[1].

* لابـد لتحقيـق الديـن وتجسـيده أن نؤمـن بالغيـب وهـو الرسـول ومـن يخلفـه مـن الإمـام عليه السلام عـلىٰ مـا يـأتي في الروايـة قريبـاً، وأن نحقـق الواسـطة في الوصـول، والطاعـة في الالتـزام بالمنظومـة.

ومـن الروايـات الدالـة عـلىٰ المضامـين المتقدمـة مـا روي عـن يحيـىٰ بـن أبي القاسـم، قـال: سـألت الصـادق جعفـر بـن محمـد عليهما السلام عـن قـول الله عزوجل: ﴿الـم ۝١ ذلِـكَ الكِتـابُ لا رَيْـبَ فِيهِ هُـدىً لِلْمُتَّقِـينَ ۝٢ الَّذِيـنَ يُؤْمِنُـونَ بِالغَيْـبِ﴾ [البقرة: ١-٣] فقـال: «المتقـون شـيعة عـلي عليه السلام، والغيـب فهـو الحجـة الغائـب، وشـاهد ذلـك قـول الله عزوجل: ﴿وَيَقُولُـونَ لَـوْلا أُنْـزِلَ عَلَيْـهِ آيَـةٌ مِـنْ رَبِّـهِ فَقُـلْ إِنَّمَـا الغَيْـبُ لِلّهِ فَانْتَظِـرُوا إِنِّي مَعَكُـمْ مِـنَ المُنْتَظِرِيـنَ﴾ [يونـس: ٢٠] فأخـبر عزوجل أن الآيـة هـي

١. الكافي: ج١، ص١٦٨.

الغيب، والغيب هو الحجة، وتصديق ذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠] يعني حجة»[١].

- وعن عَنْ زُرَارَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: «بُنِيَ الإِسْلَامُ عَلَىٰ خَمْسَةِ أَشْيَاءَ: عَلَى الصَّلَاةِ والزَّكَاةِ والحَجِّ والصَّوْمِ والوَلَايَةِ... ذِرْوَةُ الأَمْرِ وسَنَامُه ومِفْتَاحُه وبَابُ الأَشْيَاءِ ورِضَا الرَّحْمَنِ الطَّاعَةُ لِلإِمَامِ بَعْدَ مَعْرِفَتِه، إِنَّ الله عزّ وجلّ يَقُولُ: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً﴾ [النساء: ٨٠]، أَمَا لَوْ أَنَّ رَجُلاً قَامَ لَيْلَه وصَامَ نَهَارَه وتَصَدَّقَ بِجَمِيعِ مَالِه وحَجَّ جَمِيعَ دَهْرِه ولَمْ يَعْرِفْ وَلَايَةَ وَلِيِّ الله فَيُوَالِيَه ويَكُونَ جَمِيعُ أَعْمَالِه بِدَلَالَتِه إِلَيْه، مَا كَانَ لَه عَلَى الله جَلَّ وعَزَّ حَقٌّ فِي ثَوَابِه ولَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ»، ثُمَّ قَالَ: «أُولَئِكَ المُحْسِنُ مِنْهُمْ يُدْخِلُه الله الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِه»[٢].

* هناك مرتكز آخر نلحظه متجسداً في المذهب الحق وهي العاطفة التي تعطي الطاقة لهذه المنظومة المتمثلة بالشعائر عموماً والشعائر الحسينية خصوصاً.

* العاطفة لكي تتحرك لابد أن يكون هناك شيء منتظَر، وإلّا فنفس العاطفة بما هي هي لا تروي غليل المتعطشين والمفجوعين، فلولا وجود المهدي عليه السلام الموعود المنتظر، الذي يعطي للعاطفة رونق التحقق والأخذ بحق المظلومين والمستضعفين لما كان لهذه العاطفة أن تتحرك وتستمر وتعطي هذا الزخم الكبير على جميع الأبعاد.

فمن يرغب أن يصير إلهياً عليه أن يؤمن بالغيب، ومنه أن يؤمن بالمنتظَر بما يحويه هذا الاعتقاد من مضامين فكرية وأخلاقية.

١. كمال الدين: ص١٨.
٢. الكافي: ج٢، ص١٩، ح٥.

وعليه أن يلحظ في كل خطواته قوانين الدين المقننة على يد الغيب والنازلة على صدر النبي صلى الله عليه وآله والمبيَّنة على لسان الأئمة عليهم السلام.

وعلى كل فردٍ منّا في ذات الوقت أن يهتم بأعلى درجات الاهتمام بالبعد الروحي والعاطفي المتمثل بالشعائر الدينية عموماً والحسينية خصوصاً، وما يمثله هذا البعد من ربط وجداني وعاطفي في حياة المؤمنين وتجسيد إيمانهم بالمنظومة الدينية.

* فالشخص الإلهي هو الملتزم بقانون الدين، المؤمن بالغيب، والمستحضر للطاقة العاطفية في الدين والتي من أبرزها كربلاء الحسين عليه السلام.

الإلهي، هو المنتظِر لقضاء السماء لتحقيق العدل وأخذ الثأر لمأساة كربلاء كما في روايات العترة الطاهرة عليهم السلام، ومنها:

أ - في مقطع من الدعاء المعروف بالندبة: «... أين الطالب بذحول الأنبياء وأبناء الأنبياء، أين الطالب بدم المقتول بكربلاء، أين المنصور على من اعتدى عليه وافترى...»[١].

ب - وفي مقطع من زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «... فأسأل الله الذي أكرم مقامك أن يكرمني بك، ويرزقني طلب ثأرك مع إمام منصور من آل محمد صلى الله عليه وآله...»[٢]

ج - وفي مقطع آخر: «... وأن يرزقني طلب ثأركم مع إمام مهدي ناطق لكم...»[٣].

د - وفي مقطع آخر من زيارة الإمام الحسين عليه السلام: «... وأن يوفقني للطلب بثأركم مع الإمام المنتظر الهادي من آل محمد ...»[٤].

---

١. المزار - الشيخ محمد بن المشهدي: ص٥٧٩.

٢. كامل الزيارات - الشيخ جعفر بن محمد بن قولويه: ص٣٢٩-٣٣٠.

٣. نفس المصدر: ص٣٣٠.

٤. مستدرك الوسائل - الشيخ النوري: ج١٠، ص٤١٣.

المعود
ALMAUOOD

أثر الحركات المنحرفة في الموروث المهدوي (الحركة الإسماعيليَّة نموذجاً)

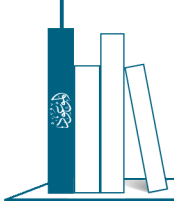

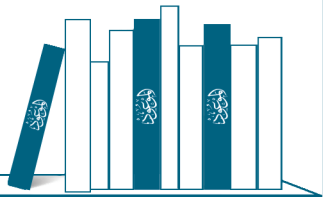

السيِّد محمّد القبانجي

تمهيد:

من الواضح بمكان أنَّ كلَّ حركة عقائديَّة منحرفة حينما تريد جذب الآخرين إليها والترويج لنفسها فلابدَّ أنْ تعتمد علىٰ ركائز ومفاهيم لتكون قادرة علىٰ إيجاد نفوذ وقاعدة شعبيَّة في المجتمع للوصول إلىٰ غاياتها وأهدافها الخاصَّة، وهذه الركائز قد تكون باطلة أساساً ولكنَّها زُوقت وأُلبست ثوب الحقِّ والحقيقة، كما قال الإمام عليٌّ عليه السلام: «وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لأَنَّهَا تُشْبِهِ الحَقَّ، فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ الله فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا اليَقِينُ، وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الهُدَىٰ، وَأَمَّا أَعْدَاءُ الله فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا الضَّلَالُ، وَدَلِيلُهُمُ العَمَىٰ»[1]، وقد تكون الركائز في أساسها صحيحة لكنَّهم تلاعبوا في مصاديقها وصغرياتها وتطبيقاتها كما في القضيَّة المهدويَّة حيث نجد أنَّها ممَّا اتُّفِقَ عليه بين المسلمين - إلَّا من شذَّ وندر ممَّن لا يُعبَأ به - فكانت الاستفادة منها من قِبَل الحركات المنحرفة في حدود المصاديق وإيجاد البدائل المزيَّفة عوضاً عن الأصالة والحقيقة، ولتدعيم أغراضهم قاموا إمَّا بوضع أحاديث محاولةً لإقناع من ينتمي إليهم بصحَّة طرحهم - كما

١. نهج البلاغة (ص ٨١/ ح ٣٨).

سنتطرَّق إلىٰ ذلك بنحو مجمل - أو ذكر وقائع وحكايات لا واقع لها لمجرَّد تزوير التاريخ ليواكب الأغراض التي يريدونها ويَدْعون إليها مروراً بالتأويل والتفسير الخاطئ لبعض الآيات والروايات والأحداث حتَّىٰ تخدم مصالحهم.

الحركات المنحرفة ووضع الأحاديث المهدويَّة:

ليس هدفنا استعراضاً تفصيليّاً للعنوان بقدر ما نودُّ إعطاء صورة إجماليَّة تُوضِّح ما أسلفناه من محاولة الحركات المهدويَّة المنحرفة - وفي سبيل تدعيم مراداتها - جَعْلَ الأحاديث وخلطَ الأوراق والتأويل الخاطئ للروايات الصحيحة، وإليك نماذج منها:

١ - الحركة الكيسانيَّة[١]:

لم أجد حديثاً وضعوه فيه إلَّا قول حيَّان السرَّاج في هذه الرواية: عَنْ عَبْدِ اَللهِ بْنِ مُسْكَانَ، قَالَ: دَخَلَ حَيَّانُ اَلسَّرَّاجُ عَلَىٰ أَبِي عَبْدِ اَللهِ عليه السلام، فَقَالَ لَهُ: «يَا حَيَّانُ، مَا يَقُولُ أَصْحَابُكَ فِي مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ الحَنَفِيَّةِ؟»، قَالَ: يَقُولُونَ: هُوَ حَيٌّ يُرْزَقُ، فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اَللهِ عليه السلام: «حَدَّثَنِي أَبِي أَنَّهُ كَانَ فِيمَنْ عَادَهُ فِي مَرَضِهِ، وَفِيمَنْ أَغْمَضَهُ، وَفِيمَنْ أَدْخَلَهُ حُفْرَتَهُ، وَزُوِّجَ نِسَاؤُهُ، وَقُسِمَ مِيرَاثُهُ»، قَالَ: فَقَالَ حَيَّانُ: إِنَّمَا مَثَلُ مُحَمَّدِ بْنِ الحَنَفِيَّةِ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ مَثَلُ عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ، فَقَالَ: «وَيْحَكَ يَا حَيَّانُ شُبِّهَ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ؟»، فَقَالَ: بَلَىٰ شُبِّهَ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ، قَالَ: «فَتَزْعُمُ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ عَدُوُّ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ؟! لَا وَلَكِنَّكَ تَصْدِفُ يَا حَيَّانُ...»[٢].

---

١. فرقة قالت بإمامة أبي القاسم محمّد بن أمير المؤمنين عليه السلام ابن خولة الحنفيَّة، وزعموا أنَّه هو المهدي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلِئَت ظلماً وجوراً، وأنَّه حيٌّ لم يمت ولا يموت حتَّىٰ يُظهِر الحقَّ.
٢. اختيار معرفة الرجال (ج ٢/ ص ٦٠٣ و٦٠٤/ ح ٥٧٠).

٢ - الدولة الأُمويَّة[١]:

حاولت المنظومة الإعلاميَّة للدولة الأُمويَّة استغلال العقيدة المهدويَّة المتسالم عليها بين المسلمين لصالحها، لما في ذلك من الدلالات الكثيرة كما لا يخفىٰ علىٰ الفطن، ومنها الاقتران والإيحاء بأنَّ من كانت هكذا صفته (يملأ الأرض عدلاً) فلابدَّ أنْ تكون عشيرته أو آباؤه هم أهل الحقِّ والحقُّ معهم، لذا نجد بعض الأحاديث المفتعلة عن لسان عمر بن الخطَّاب أو ابنه في صالح بعض ما يُسمَّىٰ بالخلفاء أو الملوك الأُمويِّين الذين ينتسبون من ناحية الأُمِّ إلىٰ عمر بن الخطَّاب، وهو عمر بن عبد العزيز.

فعن عبد الله بن دينار، عن عمر، قال: (يا عجباً! يزعم الناس أنَّ الدنيا لن تنقضي حتَّىٰ يلي رجل من آل عمر يعمل بمثل عمل عمر)، قال: فكانوا يرونه بلال بن عبد الله بن عمر، قال: وكان بوجهه أثر، قال: فلم يكن هو، وإذا هو عمر بن عبد العزيز، وأُمُّه ابنة عاصم بن عمر بن الخطَّاب[٢].

وعن نافع، عن عمر: (يكون رجل من ولدي بوجهه شين، يلي فيملأها عدلاً)، قال نافع: لا أحسبنَّه إلَّا عمر بن عبد العزيز[٣].

وعن نافع أيضاً، عن ابن عمر، قال: كنت أسمع ابن عمر كثيراً يقول: (ليت شعري من هذا الذي من ولد عمر في وجهه علامة، يملأ الأرض عدلاً)[٤].

١. بنو أُميَّة، هم الفرع الثاني من قريش، حكموا في الدولة الإسلاميَّة قرابة قرنٍ، واتَّخذوا من الشام مقرّاً لهم، ومن دمشق عاصمة لدولتهم، وكانت فترة حكمهم ما بين عام (٤١هـ/ ٦٦١ م) إلىٰ (١٣٢هـ/ ٧٥٠ م)، كما أنَّهم أسَّسوا لاحقاً دولة في الأندلس عاصمتها قرطبة. أوَّل ملوكهم معاوية بن أبي سفيان، وآخرهم مروان الحمار.

٢. دلائل النبوَّة (ج ٦/ ص ٤٩٢).

٣. الفتن لنعيم بن حمَّاد (٦٧).

٤. طبقات ابن سعد (ج ٥/ ص ٣٣١).

٣ – الدولة العبَّاسيَّة[١]:

وهكذا نجد الدولة العبَّاسيَّة – وعلىٰ غرار من سبقها – حاولت ليَّ عنق العقيدة المهدويَّة الثابتة لصالحها، وذلك بافتعال ووضع الأحاديث المهدويَّة لإقناع الناس بصحَّة حركتهم ومسيرتهم.

فعن أحمد بن راشد الهلالي، عن سعيد بن خثيم، رفعه إلىٰ أُمِّ الفضل، عن النبيِّ ﷺ: «يَا عَبَّاسُ، إِذَا كَانَتْ سَنَةُ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَمَائَةٍ، فَهِيَ لَكَ وَلِوُلْدِكَ، مِنْهُمْ: اَلسَّفَّاحُ، وَمِنْهُمْ اَلْمَنْصُورُ، وَمِنْهُمْ اَلْمَهْدِيُّ»[٢].

وعن ابن عبَّاس مرفوعاً: «هَذَا عَمِّي أَبُو الْخُلَفَاءِ الأَرْبَعِينَ، أَجْوَدُ قُرَيْشٍ كَفّاً وَأَحْمَاهَا، مِن وُلْدِهِ: اَلسَّفَّاحُ، وَاَلْمَنْصُورُ، وَاَلْمَهْدِيُّ، يَا عَمِّ، بِي فَتَحَ اَللهُ هَذَا الأَمْرَ، وَيَخْتِمُهُ بِرَجُلٍ مِنْ وِلْدِكَ»[٣].

وأحاديث عن رسول الله ﷺ: «اَلْمَهْدِيُّ مِنْ وُلْدِ العَبَّاسِ عَمِّي»[٤].

٤ – الحركة الحسنيَّة[٥]:

لا نريد الخوض في تفاصيل ثورات آل الحسن عليهم السلام، فهذه تُبحَث في مظانِّها، ولكنَّهم أيضاً حاولوا الاستفادة من العقيدة المهدويَّة لصالح حركتهم

١. الدولة العبَّاسيَّة (١٣٢ – ٦٥٦هـ)، هي إحدىٰ أشهر السلالات التي حكمت أغلب المناطق الإسلاميَّة لأكثر من خمسة قرون، وبدأت هذه الدولة مع زوال الحكم الأُموي إثر سخط الأُمَّة الإسلاميَّة عليها، ومع هجوم المغول علىٰ الأراضي الإسلاميَّة قُضِيَ عليها. أوَّل خلفائهم أبو العبَّاس السفَّاح، وآخرهم المستعصم بالله.

٢. تاريخ بغداد (ج ١/ ص ٨٤ و٨٥).

٣. الموضوعات لابن الجوزي (ج ٢/ ص ٣٧).

٤. العلل المتناهية (ج ٢/ ص ٣٧٣/ ح ١٤٣١).

٥. حركة قامت بقيادة محمّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليٍّ بن أبي طالب المشهور بالنفس الزكيَّة ضدَّ الحكم العبَّاسي حيث أعلن محمّد النفس الزكيَّة عن دعوته في جمادىٰ الآخرة، وسيطر علىٰ المدينة، فأرسل المنصور العبَّاسي جيشاً كبيراً إلىٰ المدينة وحاصرها، وقُتِلَ محمّد النفس الزكيَّة بعد قتال عظيم عند أحجار الزيت يوم الاثنين لأربع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة (١٤٥هـ)، ودُفِنَ بالبقيع.

ضدَّ بني العبَّاس، حتَّىٰ كان عبد الله بن الحسن المثنَّىٰ يدعو إلىٰ مهدويَّة ولده محمّد منذ الصغر، وكان يحجبه عن الرؤية، ومن الروايات التي نستقرب جدّاً أنَّ الحسنيِّين لهم دخالة في وضعها هي ما روي عن عاصم بن أبي النجود، عن زرٍّ بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود، عن النبيِّ ﷺ أنَّه قال: «لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَبْعَثَ اللهُ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي»[١].

وقال: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَمْلِكَ النَّاسَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي»[٢].

وقال «المَهْدِيُّ يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي»[٣].

وعن أبي الطفيل، قال: قال رسول الله ﷺ: «المَهْدِيُّ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي»[٤].

وكان محمّد بن عبد الله الحسني في لسانه رتَّة فوضعوا حديثاً رفعوه إلىٰ أبي هريرة بأنَّه قال: (إنَّ المهديَّ اسمه محمّد بن عبد الله، في لسانه رتَّةٌ)[٥].

٥ - الحركة الواقفيَّة[٦] وضعوا وأوَّلوا أكثر من أربعين حديثاً لدعم معتقدهم كما ذكرها الشيخ الطوسي في الغيبة وأجاب عنها كلّها، ومنها:

---

١. المصنَّف لابن أبي شيبة (ج ٨/ ص ٦٧٨/ ح ١٩٣).
٢. تاريخ بغداد (ج ١/ ص ٣٧٠).
٣. الفتن لنعيم بن حمَّاد (ص ٢٢٧).
٤. الفتن لنعيم بن حمَّاد (ص ٢٢٧).
٥. مقاتل الطالبيِّين (ص ١٦٤).
٦. فرقة أنكرت قتل الإمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام وقالت: مات ورفعه الله إليه وإنَّه يردُّه عند قيامه، فسمُّوا هؤلاء جميعاً الواقفة لوقوفهم علىٰ موسىٰ بن جعفر وادِّعاء أنَّه الإمام القائم، ولم يأتمُّوا بعده بإمام، ولم يتجاوزوه إلىٰ غيره. راجع: فِرَق الشيعة (ص ٨١).

عَنِ الفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَقُولُ: «لَا يَنْسِجُنِي وَالقَائِمَ أَبٌ»[١].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ المَدَائِنِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ اسْتَنْقَذَ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ فِرْعَوْنِهَا بِمُوسَى بْنِ عِمْرَانَ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَنْقِذٌ هَذِهِ الأُمَّةَ مِنْ فِرْعَوْنِهَا بِسَمِيِّهِ»[٢].

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، إِنَّهُمْ يَرْوُونَ أَنَّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عليه السلام قَالَ بِالكُوفَةِ عَلَى المِنْبَرِ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ اليَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ اللهُ رَجُلاً مِنِّي يَمْلَأُهَا قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً»، فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «نَعَمْ»، قَالَ: فَأَنْتَ هُوَ؟ فَقَالَ: «لَا، ذَاكَ سَمِيُّ فَالِقِ البَحْرِ»[٣].

ولا نريد التعرُّض إلى ردِّ هذه الأحاديث الموضوعة من قِبَل هذه الحركات المنحرفة، فقد ثبت بطلانها بالأدلَّة المتواترة، فمن أراد التفصيل فليرجع إلى مظانِّها.

وسنُركِّز جلَّ اهتمامنا حول الحركة الإسماعيليَّة وأُسلوبها الاحترافي في ادِّعاء المهدويَّة وتوسيع القاعدة الشعبيَّة المؤمنة بها.

الحركة الإسماعيليَّة، نبذة في التأسيس والعمل الميداني:

قبل الخوض في التحريفات التي قامت بها الفرقة الإسماعيليَّة على مستوى العقيدة المهدويَّة لابدَّ أوَّلاً من إلقاء نظرة مختصرة على مباني هذه الحركة وأُسُسها وعقائدها، فنقول:

١. الغيبة للطوسي (ص ٤٣/ ح ٢٥).
٢. الغيبة للطوسي (ص ٤٥/ ح ٢٧).
٣. الغيبة للطوسي (ص ٤٦/ ح ٣٠).

يمكن أنْ نُقسِّم الطائفة الإسماعيليَّة إلىٰ قسمين:

القسم الأوَّل: المذهب الإسماعيلي:

وهو عبارة عن إيمان طائفة من الناس بإمامة إسماعيل بن الإمام جعفر الصادق عليه السلام - المتوفّىٰ سنة (١٤٨هـ) وهو الأقرب للصواب خلافاً لمن قال: إنَّ وفاته سنة (١٣٣هـ) دون إمامة موسىٰ الكاظم عليه السلام - باعتباره إماماً سابعاً تنتهي إليه الإمامة بعد أبيه، ولا يعنينا كثيراً دراسة هذه الجهة وأنَّهم انقسموا إلىٰ أقسام متعدِّدة، فمنهم من اعتقد بغيبة إسماعيل وعدم موته وهم القرامطة، وقالوا: إنَّ ما فعله وأظهره أبوه الإمام الصادق عليه السلام من الحزن والجزع علىٰ إسماعيل هو من باب التقيَّة وتعمية للطاغوت وما إلىٰ ذلك، ومنهم من اعتقد بموته وانتقال الإمامة إلىٰ ولده (محمّد) المتوفّىٰ سنة (١٩٣هـ) وانتقالها إلىٰ ولد ولده.

وفي هذه الفترة التي طالت ربَّما (نصف قرن) لم يكن في هذه الطائفة تنظيم خاصٌّ ولا حركة منظَّمة، بل حالها كسائر الفِرَق والطوائف الأُخرىٰ تنمو وتنحسر تدريجيّاً بحسب قابليَّاتها الذاتيَّة والموضوعيَّة.

ولنا لإثبات هذه الدعوىٰ أنَّ التاريخ يشهد علىٰ ذلك لأنَّ ابن المفضَّل[١] كتب للمهدي العبَّاسي[٢] الذي تسلَّم عرش الخلافة بعد المنصور كتاباً ذكر فيه صنوف الفِرَق صنفاً صنفاً حتَّىٰ ذكر فرقة يقال لها: الزراريَّة، وفرقة يقال لها: العماريَّة نسبة لعمَّار الساباطي.

---

١. لم أجد ترجمته.

٢. هو أبو عبد الله محمّد بن عبد الله المنصور بن محمّد بن عليٍّ المهدي بالله، ثالث خلفاء الدولة العبَّاسيَّة بالعراق، وُلِدَ بإيذج من كور الأهواز عام (١٢٧هـ)، وتُوفِّي بإسبذان، أُمُّه هي أُمُّ موسىٰ بنت منصور الحميريَّة، ولي الخلافة بعد أبيه أبي جعفر المنصور عام (١٥٨هـ)، وتُوفِّي عام (١٦٩هـ)، وكانت مدَّة خلافته عشر سنين وشهراً.

أفتراه يذكر جميع الفِرَق المزعومة للشيعة حتَّىٰ يذكر العمَّارية المنسوبة إلىٰ عمَّار الساباطي الذي لم يكن له يوم ذاك أيُّ تابع إلَّا كونه فطحيّاً مؤمناً بإمامة عبد الله الأفطح ولا يذكر الإسماعيليَّة؟ فلو كان لإسماعيل دعوة سرّيَّة أيَّام المنصور ثمّ لابنه محمّد حيث كانا يتنقَّلان من بلد إلىٰ بلد حسب زعم الإسماعيليَّة، لكان من المحتَّم مجيء اسمه في قائمة أصحاب الأهواء، كلُّ ذلك يدلُّ علىٰ أنَّ المذهب والحركة قد نشأت بعد لأْيٍ من الدهر[١].

القسم الثاني:

ولكن الذي طرأ علىٰ هذه الفرقة بشكل ملفت للنظر هو اندماج ودخول جماعة من الباطنيِّين وهم جماعة الخطَّابيَّة وتلبُّسهم بهذه العقيدة، ممَّا أعطاها بُعداً تأويليّاً غيبيّاً باطنيّاً بشكلٍ خاصٍّ بحيث جُعِلَ أحد أهمّ محاورها - كعقيدة - هو البُعد التأويلي في جميع المعارف الإسلاميَّة علىٰ مستوىٰ الأُصول أو الفروع، بل حتَّىٰ تفاصيل الأحكام الشرعيَّة.

ودخلت هذه الفرقة بمرحلة ثانية تختلف كلّيّاً عن المرحلة الأُولىٰ، فصار لها مُنظِّرون ودُعاة كثر، ونتيجةً ذلك أصبح لهم أتباع بكلِّ بقاع العالم الإسلامي وربَّما غيره أيضاً، واستفادت هذه الفرقة بشكل ملفت للنظر من العقيدة الاثني عشريَّة، ويمكن تصوُّر ذلك من خلال النقاط التالية:

١ - الإيمان بالإمام المهدي عجل الله فرجه:

لا يعني ذلك أنَّهم آمنوا بشخص المهدي الذي آمنت واعتقدت به الفرقة الاثنا عشريَّة، فالأخيرة تعتقد بمهدويَّة الإمام الحجَّة بن الحسن العسكري عجل الله فرجه، وأنَّه وُلِدَ سنة (٢٥٥ أو ٢٥٦هـ)، وسيُظهره الله فيملأها قسطاً

١. بحوث في الملل والنحل (ج ٨/ ص ٨٥) بتصرُّف.

وعـدلاً، أمَّـا الإسـماعيليَّة فقـد اعتقـدوا بمهدويَّـة عبيـد الله المهـدي، والـذي سـمَّىٰ نفسـه (محمّـداً)[١]، وهـو أوَّل إمـام ظاهـر بعـد الأئمَّـة المسـتورين، وقـد أسَّـس الدولـة الفاطميَّـة بالمغـرب.

والملاحَـظ أنَّ الـذي أرسـىٰ لـه قواعـد الحكـم في المغـرب هـو الداعيـة الكبـير - والـذي مـن أوائـل الدعـاة للحركـة الإسـماعيليَّة - وهـو أبـو عبـد الله الشـيعي حيـث يُنقَـل أنَّـه: (لـمَّا تمكَّـن أبـو عبـد الله واسـتقرَّ أمـره مهَّـد الطريـق لإمامـة عبيد الله المهـدي، فبعـث برجـال مـن كتامـة إلىٰ سـلمية في أرض الشـام، فقَدِمـوا عـلىٰ عبيـد الله وأخـبروه بـما فتـح الله عليـه، وكان قـد اشـتهر هنـاك أنَّ الخليفـة المكتفـي طلبـه، فخـرج مـن سـلَمية فـارّاً ومعـه ابنـه أبـو القاسـم نـزَّار، ومعهـما أهلهـما فأقاما بمـصر مسـتقرِّين، ثـمّ سـار إلىٰ طرابلـس وقـد سـبقَ خـبره إلىٰ (زيـادة الله) فسـار إلىٰ قسـطيليَّة فقَـدِمَ كتـاب (زيـادة الله) ابـن الأغلـب إلىٰ عامـل طرابلـس بأخـذ عبيـد الله وقـد فاتهـم، فلـم يُدركـوه، فرحـل إلىٰ سجلماسـة وأقـام بهـا، فـوافىٰ عاملـه عـلىٰ سجلماسـة كتـاب زيـادة الله، بالقبـض عـلىٰ عبيـد الله فلـم يجـد بُـدّاً مـن أنْ قبـض عليـه وسـجنه. فلـمَّا دخـل شـهر رمضـان سـار أبـو عبـد الله مـن رقـادة في جيـوش عظيمـة يريـد سجلماسـة، فحاربـه اليسـع يومـاً كامـلاً إلىٰ الليـل ثـمّ فـرَّ عاملهـا في خاصَّتـه، فدخـل أبـو عبـد الله مـن الغـد إلىٰ البلـد وأخـرج عبيـد الله وابنـه ومشـىٰ في ركابهـما بجميـع رؤسـاء القبائـل، وهـو يقـول للنـاس: هـذا مولاكـم، وهـو يبكـي مـن شـدَّة الفـرح حتَّـىٰ وصـل بهـما إلىٰ فسـطاط وأقامـا فيهـا أربعـين يومـاً، ثـمّ سـار

١. هـو عبيـد الله الملقَّـب المهـدي الإمـام السـادس للإسـماعيليَّة، وُلِـدَ بسـلمية التـي هـي بلـدة بالشـام مـن أعـمال حمـص عـام (٢٥٩ أو ٢٦٠هــ)، ودُعِـيَ لـه بالخلافـة عـلىٰ منابـر رقـادة والقـيروان يـوم الجمعـة لتسـع بقـين مـن شـهر ربيـع الآخـر سـنة (٢٨٩هــ)، فخرجـت بـلاد المغـرب عـن ولايـة بنـي العبَّـاس، وبنـىٰ البلـدة المعروفـة بــ(المهديَّـة)، وتُـوفّي بهـا عـام (٣٢٢هــ). راجـع: بحـوث في الملـل والنحـل (ج ٨/ ص ١٠٧).

إلىٰ إفريقيَّة في ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ونزل برقادة، وقسَّم علىٰ وجوه كتامة أعمال إفريقيَّة)[١].

ومات مهدي الإسماعيليَّة (محمّد / عبد الله بن الحسين) في ليلة الثلاثاء منتصف شهر ربيع الأوَّل عن ثلاث وستِّين سنة، وكانت خلافته (٢٤ سنة).

٢ - الإيمان بالغيبة وأنَّه عجل الله فرجه حيٌّ مستتر:

لـمَّا أرادت الحركة الإسماعيليَّة التحرُّك واستلام السلطة والحكم عدلوا عن عقيدة الغيبة والإمام المستور إلىٰ الإمام الظاهر، فبعد موت الأئمَّة المستورين عندهم - ومنهم إسماعيل وابنه محمّد وابنه أحمد ثمّ الحسين بن أحمد المتوفي سنة (٢٨٩هـ) - توجَّهوا إلىٰ القول بالإمام المهدي الظاهر، وهو من ذكرناه سابقاً عبيد الله بن الحسين، (وقد سمَّىٰ نفسه محمّداً ولقَّب نفسه بالمهدي، فتقمَّص أوصاف المهدي الذي أخبر به النبيُّ صلى الله عليه وآله ليتَّخذها وسيلةً لتحقيق مآربه، وأنَّه مفترض الطاعة)[٢].

وذلك بعد وفاة والده وعهده بالإمامة إليه، وقال له: إنَّك ستهاجر بعدي هجرة بعيدة...

وما قبل عبيد الله هم الأئمَّة المستورون عند الإسماعيليَّة، والذي يدلُّ عليه أنَّ القاضي النعمان[٣] وصفهم بالاستتار، وجعل مبدأ الظهور قيام عبيد الله الإمام المهدي، وإليك أبياته في أُرجوزته يقول:

---

١. بحوث في الملل والنحل (ج ٨/ ص ١١٤).

٢. بحوث في الملل والنحل (ج ٨/ ص ١١٦).

٣. هو النعمان بن محمّد بن منصور بن أحمد بن حيُّون التميمي، ويقال له: القاضي النعمان، واشتهر بأبي حنيفة كي يضاهي به الفاطميُّون أبا حنيفة النعمان فقيه الدولة العبَّاسيَّة، لم يُعرَف سنة ميلاده وإنْ كان هناك ما يُرجِّح أنَّه وُلِدَ في أواخر القرن الثالث للهجرة، قَدِمَ مع المعزِّ لدين الله إلىٰ مصر سنة (٣٦٢هـ)، وهو كبير قضاته، وتُوفِّي بها سنة (٣٦٣هـ).

واشتدَّت المحنة بعد جعفرِ ... فانصرف الأمر إلىٰ التستُّرِ
وكان قد أقام بعض ولدهِ ... مقامه لـمَّا رأىٰ من جلدهِ
فجعل الأمر له في سترِ ... فلم يكن قالوا بذاك يدري
لخوفه عليه من أعدائهِ ... إلَّا ثقات مخض أوليائهِ
وأهله الذين قد كانوا معهْ ... فقام بالأمر وقاموا أربعهْ
لـمَّا مضىٰ كلُّهم لصلبهِ ... مستترين بعده بحسبهِ
قد دخلوا في جملة الرعيهْ ... لشدَّة المحنة والرزيهْ
وكلُّهم له دعاء تسري ... ودعوة في الناس كانت تجري

٣ - فكرة النيابة الخاصَّة بعنوان الدعاة أو الداعي:

أُعطي الداعي (النائب) منصباً عظيماً عند الفرقة الإسماعيليَّة يضاهي اعتقاد الاثني عشريَّة بالنائب الخاصِّ، بل ربَّما يفوقه بكثير بحيث إنَّ مخالفته ومعارضته تُعَدُّ - بالنسبة للإسماعيليَّة - مروقاً عن الدِّين، وخروجاً عن طاعة الإمام نفسه، لأنَّهم جعلوا العقيدة بالداعي من صلب العقيدة وحدودها[1].

فهم من هذه الجهة اعتمدوا علىٰ الداعي أكثر بكثير من اعتماد الاثني عشريَّة علىٰ النائب، فإنَّ الأخيرة تعتمد علىٰ النوَّاب الأربعة في خصوص أُمور الدِّين وليس في شؤونهم الحياتيَّة الخاصَّة، خلافاً للإسماعيليَّة فإنَّهم اعتمدوا علىٰ الدعاة في أُمور دنياهم وأُخراهم وأُمور دينهم ومعاشهم، فلا تجوز مخالفتهم في كلِّ شيء.

وبطبيعة الحال توجد بعض الركائز والنقاط الأُخرىٰ التي شابهت الحركة الإسماعيليَّة بها مع الاثني عشريَّة، وكذلك هناك بعض الفوارق في

١. راجع بحوث في الملل والنحل (ج ٨/ ص ١٠).

نفس الأُمور المشتركة، كما في الدعاة عند الإسماعيليَّة حيث إنَّهم أكثر من أربعة بكثير، بينما النوَّاب الخاصُّون أربعة فقط عند الاثني عشريَّة.

وهناك غيرها من أوجه الافتراق والتلاقي بين الطائفتين.

مضافاً لكلٍّ هذا فإنَّ الحركة الإسماعيلية كان لها تنظيمها المركزي الخاصُّ والمنضبط بشكل دقيق حيث اعتمدوا علىٰ أهمّ ثلاث ركائز لتدعيم حركتهم، وهي:

١ - السرّيَّة والكتمان الشديد.

٢ - الفدائيُّون.

٣ - فرقة الاغتيالات.

ويمكن اعتبار الثاني والثالث واحداً، وهي موجَّهة لكلِّ شخص يتوجَّس منه الإسماعيليَّة خوفاً علىٰ حركتهم، سواء علىٰ المستوىٰ الفكري أم العسكري، فقاموا باغتيال العديد من الشخصيَّات والأُمراء وأصحاب الفكر من الذين يعترضون طريق حركتهم.

ومن الطريف أنَّ الشريف الرضي أبدىٰ خشيته منهم، وقلق من تنفيذهم الاغتيال بحقِّه حينما أصرَّ أبوه وأخوه أنْ يمضي ويُوقِّع مع بعض بني هاشم في صحيفة عدم انتساب الإسماعيليَّة إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله في الحادثة المعروفة حينما كتب الرضي أبياتاً فيها تمجيد بالحُكَّام الفاطميِّين يقول فيها:

ما مقامي علىٰ الهوان وعندي ... مقول صارم وأنف حمي

وإباء محلق بي عن الضيم ... كما زاغ طائر وحشي

أيُّ عذر له إلىٰ المجد إنْ ... ذلَّ غلام في غمده المشرفي

أحمل الضيم في بلاد الأعادي ... وبمصر الخليفة العلوي

مَـن أبـوه أبي ومـولاه مـولاي إذا ضامنـي البعيـد القـصي
لـفَّ عـرفي بعرفـة سـيِّدا النـاس جـميعـاً مـحـمّد وعـلـي

فأرسـل الخليفـة العبَّـاسي (القـادر) عـلىٰ أبيـه وأخيـه المرتـضىٰ، فأنكـر النقيـب أبـو أحمـد: أمَّـا هـذا الشـعر فمـمَّا لم نسـمعه منـه، ولا رأينـاه بخطِّـه، ولا يبعـد أنْ يكـون بعـضُ أعدائـه نَحلـه إيـاه، وعـزاه إليـه.

فقـال القـادر: إنْ كان كذلـك فلتكتـب الآن محـضراً يتضمَّـن القدح في أنسـاب ولاة مـصر، ويكتُـب محمّـد خطَّـه فيـه، فكتـب محـضراً بذلـك، شـهد فيـه جميـع مـن حـضر المجلـس، منهـم: النقيـب أبـو أحمـد، وابنـه المرتـضىٰ، وحمـل المحـضر إلىٰ الـرضي ليكتـب خطَّـه فيـه، حملـه أبـوه وأخـوه، فامتنـع مـن سـطر خطِّـه، وقـال: لا أكتـب، وأخـاف دعـاة صاحـب مـصر، وأنكـر الشـعر، وكتـب خطَّـه وأقسـم فيـه أنَّـه ليـس بشـعره، وأنَّـه لا يعرفـه، فأجـبره أبـوه عـلىٰ أنْ يكتـب خطَّـه في المحـضر، فلـم يفعـل، وقـال: أخـاف دعـاة المصريِّـين وغيلتهـم لي فإنَّهـم معروفـون بذلـك[1].

ولا أدري هـل أنَّ الشريـف الـرضي كان خائفـاً فعـلاً مـن اغتيال الإسـماعيليِّين لـه، أم أنَّـه قـال ذلـك حتَّـىٰ لا يُوقِّـع عـلىٰ صحيفـة القـدح في نسـب الفاطميِّين.

وقفة مع التنظيم الدعوي الإسماعيلي:

قلنـا سـابقاً: إنَّ الفرقـة الإسـماعيليَّة في عصرهـا الثـاني وهـو عـصر الحركـة والتبشـير الدعـوي لعقائدهـا وسـعيها لاسـتلام الحكـم وتأسـيس الدولـة، اعتمـدت كلُّ الاعتـماد عـلىٰ الدعـاة، وكانـت تختارهـم مـن أذكـىٰ النـاس وأمهرهـم وأبرعهـم في كثـير مـن العلـوم والمعـارف، خصوصـاً إذا لاحظنـا أنَّ الحركـة كانت تجابه بقسـوة

١. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ج ١/ ص ٣٧ و٣٨).

متناهية من كثير من الأطراف سواء العبَّاسيِّين أم السلاجقة أو غيرهم، لذا كان ولابدَّ من اعتماد تنظيم غاية في الخطورة والسرعة والفداء، يقول السبحاني:

(وقف الدعاة علىٰ خطورة الموقف، وأحسُّوا بلزوم إتقان التخطيط والتنظيم، وبلغوا فيه الذروة بحيث لو قورنت مع أحدث التنظيمات الحزبيَّة العصريَّة لفاقتها، وكانت لهم القدح المعلَّىٰ في هذا المضمار، وقد ابتكروا أساليب مبنيَّة علىٰ أُسُس مكينة مستوحاة من عقيدتها الصميمة.

ولقد برعوا براعة لا تُوصَف في تنظيم أجهزة الدعاية - علىٰ قلَّة الوسائل في ذلك العصر -، واستطاعوا أنْ يشرفوا بسرعة فائقة علىٰ أقاصي بقاع البلدان الإسلاميَّة، ويتنسَّمون أخبار أتباعهم في الأبعاد المتناهية، وذلك بما نظَّموا من أساليب وأحدثوا من وسائل، وقد كان للحمَّام الزاجل - الذي برع في استخدامه دعاة الإسماعيليَّة - أثره الفعَّال في تنظيم نقل الأخبار والمراسلات السرِّيَّة الهامَّة)[1].

اللقاء بالإمام المهدي عليه السلام في غيبته:

كان لابدَّ لنا من الحديث عن قضيَّة اللقاء بالإمام المهدي عليه السلام حتَّىٰ يتَّضح لنا الأُسلوب العملي الذي كانت تعمل عليه الحركة الإسماعيليَّة من تقمُّص شخصيَّة الإمام عليه السلام، سواء من قِبَل الدعاة أم من نفس المدَّعي للمهدوية كما سيأتي، فنقول:

ليس بإمكاننا الجزم بعدم حصول لقاء ما وتشرُّف ما بين صاحب الزمان عليه السلام وبين أحد الناس لمصلحة يراها الإمام عليه السلام وحكمة قد تخفىٰ علينا، وذلك لتظافر الروايات والنصوص علىٰ إمكانيَّة اللقاء به في عصر الغيبة الصغرىٰ.

١. بحوث في الملل والنحال (ج ٨/ ص ٩ و١٠).

أمَّا في الغيبة الكبرىٰ فقد تواترت القَصص والحكايات علىٰ وقوع اللقاء به والتشرُّف بحضرته، وإنَّنا وإنْ كنَّا نجزم أنَّ الكثير بل الأكثر من هذه التشرُّفات هي إمَّا من نسج الخيال والتوهُّم من قِبَل المتحدِّث، وإمَّا أنَّه التقىٰ بأحد الأولياء والأبدال فظنَّ أنَّه صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه، أو أنَّ مَن التقىٰ به هو أحد الدجَّالين الذين تقمَّصوا شخصيَّة الإمام المهدي عجل الله فرجه وأراد إيهام أتباعه أو مَن يريد جرَّه إلىٰ وحل دجله ونفاقه[1] كما سوف نستعرضه من بعض قَصص اللقاءات عند الحديث عن التحريف الإسماعيلي للعقيدة المهدويَّة.

ولكن وكما يقال: إنَّ كثرة القَصص وبعضها من كُبَّار الأعلام وأعيان الناس قد تولِّد العلم الإجمالي بصدق بعضها وإنْ كان أقلّ القليل، وهذا يكفي في إمكانيَّة الرؤية، بل وتحقُّقها في عصر الغيبتين.

شروط اللقاء بالإمام المهدي عجل الله فرجه:

ولكن لابدَّ من التنبيه هنا علىٰ أمر بمكانٍ من الأهمّيَّة، وهو أنَّه لو سلَّمنا بحصول الرؤية والتشرُّف باللقاء، فإنَّ الأمر ليس بهذه البساطة

---

١. وهو ما ادَّعاه من أهل السُّنَّة بعض أهل الكشف من الصوفيَّة، وقد ذكر الشيخ الشعراني أنَّ جماعة رأوه، بل بايعوه، وسمَّىٰ بعضهم كالشيخ حسن العراقي. [اليواقيت والجواهر: ج ٢/ ص ٥٦٢/ المبحث ٦٥].

ونقل الشيخ سليمان القندوزي الحنفي المتوفَّىٰ سنة (١٢٩٤هـ)، وهو من شيوخ النقشبنديَّة أنَّه قال في كتابه (الأنوار القدسيَّة): (إنَّ بعض مشايخنا قال: نحن بايعنا المهدي عليه السلام بدمشق الشام، وكنَّا عنده سبعة أيَّام). [ينابيع المودَّة: ج ٣/ ص ٣٤٦].

وروىٰ الشيخ سليمان أيضاً أنَّ الشيخ عبد اللطيف الحلبي حدَّثه سنة (١٢٧٣هـ) أنَّ أباه الشيخ إبراهيم - وهو من كبار مشايخ حلب علىٰ الطريقة القادريَّة - قال: (سمعت بعض مشايخي من مشايخ مصر يقول: بايعنا الإمام المهدي عليه السلام). [ينابيع المودَّة: ج ٣/ ص ٣٤٦].

وهو كما ترىٰ إذ لا يخلو هذا اللقاء من أحد الاحتمالات الثلاثة التي ذكرناها.

والسهولة كما يظنُّه البعض أو يتخيَّله السُّذَّج، بل هو خاضع لشرطين مهمَّين أساسيَّين، هما:

أوَّلاً: أنْ تكون هناك مصلحة يُشخِّصها صاحب العصر عجل الله فرجه.

ثانياً: أنْ لا تكون الرؤية معارضة لنظام الغيبة العامِّ وحكمة الاستتار، وإلَّا كان ذلك خلافاً لحكمة الغيبة، وكما يقال: (نقض الغرض) من فرض غيبته واستتاره.

ولذلك فإنَّ أيَّ حكايةٍ تخالف أحد هذين الشرطين وهذه السُّنَّة الإلهيَّة من إخفاء وليِّ الأمر عجل الله فرجه لابدَّ أنْ تخضع للمساءلة، وتُطرَح على ميزان التحليل العلمي لبيان أوجه الخلل فيها وعدم إمكانيَّة التصديق بها، أو على الأقلّ عدم الأخذ بها أخذ المسلَّمات.

نماذج من شدة الحذر عند اللقاء به عجل الله فرجه:

وإليك أمثلة من بعض الروايات على شدَّة التوقِّي والحذر في بعض اللقاءات مع صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه التي لا تعارض شرطي الغيبة وسُنَّة الاختفاء:

- عَنْ أَبِي رَجَاءٍ المِصْرِيِّ، قَالَ: خَرَجْتُ فِي الطَّلَبِ بَعْدَ مُضِيِّ أَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام بِسَنَتَيْنِ لَمْ أَقِفْ فِيهِمَا عَلَىٰ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ فِي الثَّالِثَةِ كُنْتُ بِالمَدِينَةِ فِي طَلَبِ وَلَدٍ لِأَبِي مُحَمَّدٍ عليه السلام بِصُرْيَاءَ، وَقَدْ سَأَلَنِي أَبُو غَانِمٍ أَنْ أَتَعَشَّىٰ عِنْدَهُ، وَأَنَا قَاعِدٌ مُفَكِّرٌ فِي نَفْسِي وَأَقُولُ: لَوْ كَانَ شَيْءٌ لَظَهَرَ بَعْدَ ثَلَاثِ سِنِينَ، فَإِذَا هَاتِفٌ أَسْمَعُ صَوْتَهُ وَلَا أَرَىٰ شَخْصَهُ وَهُوَ يَقُولُ: يَا نَصْرَ بْنَ عَبْدِ رَبِّهِ، قُلْ لِأَهْلِ مِصْرَ: آمَنْتُمْ بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله حَيْثُ رَأَيْتُمُوهُ؟ قَالَ نَصْرٌ: وَلَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ اِسْمَ أَبِي، وَذَلِكَ أَنِّي وُلِدْتُ بِالمَدَائِنِ، فَحَمَلَنِي النَّوْفَلِيُّ وَقَدْ مَاتَ أَبِي، فَنَشَأْتُ بِهَا، فَلَمَّا سَمِعْتُ الصَّوْتَ قُمْتُ مُبَادِراً، وَلَمْ أَنْصَرِفْ إِلَىٰ أَبِي غَانِمٍ وَأَخَذْتُ طَرِيقَ مِصْرَ[1].

١. كمال الدِّين (ص ٤٩١ و٤٩٢/ باب ٤٥/ ح ١٥).

- وَعَنْ يُوسُفَ بْنِ أَحْمَدَ [مُحَمَّدٍ خ ل] الجَعْفَرِيِّ، قَالَ: حَجَجْتُ سَنَةَ سِتٍّ وَثَلَاثِمِائَةٍ، وَجَاوَرْتُ بِمَكَّةَ تِلْكَ السَّنَةَ وَمَا بَعْدَهَا إِلَىٰ سَنَةِ تِسْعٍ وَثَلَاثِمِائَةٍ، ثُمَّ خَرَجْتُ عَنْهَا مُنْصَرِفاً إِلَىٰ الشَّامِ، فَبَيْنَا أَنَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، وَقَدْ فَاتَتْنِي صَلَاةُ الفَجْرِ، فَنَزَلْتُ مِنَ المَحْمِلِ وَتَهَيَّأْتُ لِلصَّلَاةِ، فَرَأَيْتُ أَرْبَعَةَ نَفَرٍ فِي مَحْمِلٍ، فَوَقَفْتُ أَعْجَبَ مِنْهُمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: مِمَّ تَعْجَبُ؟ تَرَكْتَ صَلَاتَكَ وَخَالَفْتَ مَذْهَبَكَ. فَقُلْتُ لِلَّذِي يُخَاطِبُنِي: وَمَا عِلْمُكَ بِمَذْهَبِي؟ فَقَالَ: تُحِبُّ أَنْ تَرَىٰ صَاحِبَ زَمَانِكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، فَأَوْمَأَ إِلَىٰ أَحَدِ الأَرْبَعَةِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّ لَهُ دَلَائِلَ وَعَلَامَاتٍ، فَقَالَ: أَيُّهَا أَحَبُّ إِلَيْكَ، أَنْ تَرَىٰ الجَمَلَ وَمَا عَلَيْهِ صَاعِداً إِلَىٰ السَّمَاءِ، أَوْ تَرَىٰ المَحْمِلَ صَاعِداً إِلَىٰ السَّمَاءِ؟ فَقُلْتُ: أَيُّهُمَا كَانَ فَهِيَ دَلَالَةٌ، فَرَأَيْتُ الجَمَلَ وَمَا عَلَيْهِ يَرْتَفِعُ إِلَىٰ السَّمَاءِ، وَكَانَ الرَّجُلُ أَوْمَأَ إِلَىٰ رَجُلٍ بِهِ سُمْرَةٌ، وَكَانَ لَوْنُهُ الذَّهَبَ، بَيْنَ عَيْنَيْهِ سَجَّادَةٌ[1].

- وَعَنْ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللهِ الهَاشِمِيِّ مِنْ وُلْدِ العَبَّاسِ، قَالَ: حَضَرْتُ دَارَ أَبِي مُحَمَّدٍ الحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام بِسُرَّ مَنْ رَأَىٰ يَوْمَ تُوُفِّيَ، وَأُخْرِجَتْ جَنَازَتُهُ وَوُضِعَتْ، وَنَحْنُ تِسْعَةٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلاً قُعُودٌ نَنْتَظِرُ، حَتَّىٰ خَرَجَ إِلَيْنَا غُلَامٌ عُشَارِيٌّ حَافٍ عَلَيْهِ رِدَاءٌ قَدْ تَقَنَّعَ بِهِ، فَلَمَّا أَنْ خَرَجَ قُمْنَا هَيْبَةً لَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ نَعْرِفَهُ، فَتَقَدَّمَ وَقَامَ النَّاسُ فَاصْطَفُّوا خَلْفَهُ، فَصَلَّىٰ عَلَيْهِ وَمَشَىٰ فَدَخَلَ بَيْتاً غَيْرَ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ.

قَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الهَمَدَانِيُّ: فَلَقِيتُ بِالمَرَاغَةِ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ تَبْرِيزَ يُعْرَفُ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ التَّبْرِيزِيِّ، فَحَدَّثَنِي بِمِثْلِ حَدِيثِ الهَاشِمِيِّ لَمْ يُخْرَمْ مِنْهُ شَيْءٌ، قَالَ: فَسَأَلْتُ الهَمَدَانِيَّ، فَقُلْتُ: غُلَامٌ عُشَارِيُّ القَدِّ أَوْ عُشَارِيُّ السِّنِّ؟ لِأَنَّهُ رُوِيَ

١. الغيبة للشيخ الطوسي (ص ٢٥٧ و٢٥٨/ ح ٢٢٥).

أَنَّ الـوِلَادَةَ كَانَـتْ سَـنَةَ سِـتٍّ وَخَمْسِـينَ وَمِائَتَـيْنِ، وَكَانَـتْ غَيْبَـةُ أَبِي مُحَمَّـدٍ عليه السلام سَـنَةَ سِـتَّةٍ وَمِائَتَـيْنِ بَعْـدَ الـوِلَادَةِ بِأَرْبَـعِ سِـنِينَ، فَقَـالَ: لَا أَدْرِي، هَكَـذَا سَـمِعْتُ، فَقَـالَ لِي شَـيْخٌ مَعَـهُ حَسَـنُ الفَهْـمِ مِـنْ أَهْـلِ بَلَـدِهِ لَـهُ رِوَايَـةٌ وَعِلْـمٌ: عُشَـارِيُّ القَـدِّ[1].

ولـو لاحظنـا قصـة لقـاء عـليٍّ بـن مهزيـار مـع الإمـام المهـدي عجل الله فرجه لتلمَّسـنا بشـكل واضـح شـدَّة الاسـتتار والحـذر في طريقـة اللقـاء.

التحريف المهدوي عند الطائفة الإسماعيليَّة:

كـما ذكرنـا في بدايـة البحـث أنَّ الطابـع العـامَّ للحـركات التـي تدَّعـي المهدويَّة هو بـثُّ روايـات مهدويَّـة مجعولـة مـن أجـل تعزيـز مكانتهـا ومصداقيَّتهـا في الأُمَّـة، وهـذا مـا دأبـت عليـه الحركـة الإسـماعيليَّة أيضـاً عـلىٰ غـرار أخواتهـا مـن الحـركات المنحرفـة.

وسنستعرض شكلين من التحريف الإسماعيلي في حقِّ القضيَّة المهدويَّة:

الشـكل الأوَّل: وضـع النصـوص وجعلهـا ممَّـا يصـبُّ في مصلحـة العقيـدة الإسـماعيليَّة:

المثـال الأوَّل: تفسـير بعـض الآيـات القرآنيَّـة بـما يخـدم ويلائـم معتقدهـم كـما في قولـه تعـالىٰ: ﴿وَلَقَـدْ آتَيْنَـاكَ سَـبْعاً مِـنَ المَثَـانِي وَالقُـرْآنَ العَظِيمَ﴾ (الحجـر: ٨٧).

حيـث جـاء في تفسـير العيَّـاشي: عَـنْ يُونُـسَ بْـنِ عَبْـدِ الرَّحْمَـنِ، عَمَّـنْ ذَكَـرَهُ رَفَعَـهُ، قَـالَ: سَـالتُ أَبَـا عَبْـدِ اللهِ عليه السلام عَـنْ قَـوْلِ اللهِ: ﴿وَلَقَـدْ آتَيْنَـاكَ سَـبْعاً مِـنَ المَثَـانِي وَالقُـرْآنَ العَظِيـمَ﴾، قَـالَ: «إِنَّ ظَاهِرَهَـا الحَمْـدُ وَبَاطِنَهَـا وَلَـدُ الوَلَـدِ، وَالسَّـابِعُ مِنْهَـا القَائِـمُ عليه السلام»[2].

١. الغيبة للشيخ الطوسي (ص ٢٥٨ و٢٥٩/ ح ٢٢٦).
٢. تفسير العيَّاشي (ج ٢/ ص ٢٥٠/ ح ٣٧).

وكذلك عَنِ القَاسِمِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي قَوْلِ اللهِ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي وَالقُرْآنَ العَظِيمَ﴾، قَالَ: «سَبْعَةُ أَئِمَّةٍ، وَالقَائِمُ عليه السلام»[١].

والرواية الثالثة عَنْ سَمَاعَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو الحَسَنِ عليه السلام: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ المَثَانِي وَالقُرْآنَ العَظِيمَ﴾، قَالَ: «لَمْ يُعْطِ الأَنْبِيَاءَ إِلَّا مُحَمَّداً صلى الله عليه وآله، وَهُمُ السَّبْعَةُ الأَئِمَّةُ الَّذِينَ يَدُورُ عَلَيْهِمْ الفَلَكُ، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله»[٢].

ولم يرتضِ علماؤنا هذا التفسير، وذلك لمخالفة ظاهره لما هو ثابت من عدد الأئمَّة عليهم السلام، وهم اثنا عشر إماماً باتِّفاق المسلمين، وهو صحيح الروايات الكثيرة بل المتواترة، فعَنْ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ صَالِحٍ الهَرَوِيِّ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عليه السلام، عَنْ أَبِيهِ مُوسَى بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ، عَنْ أَبِيهِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبِيهِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: «... فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، وَمَنْ أَوْصِيَائِي؟ فَنُودِيتُ: يَا مُحَمَّدُ، (إِنَّ) أَوْصِيَاءَكَ المَكْتُوبُونَ عَلَى سَاقِ العَرْشِ، فَنَظَرْتُ - وَأَنَا بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي - إِلَى سَاقِ العَرْشِ، فَرَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ نُوراً، فِي كُلِّ نُورٍ سَطْرٌ أَخْضَرُ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ اسْمُ كُلِّ وَصِيٍّ مِنْ أَوْصِيَائِي، أَوَّلُهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَآخِرُهُمْ مَهْدِيُّ أُمَّتِي، فَقُلْتُ: يَا رَبِّ، أَهَؤُلَاءِ أَوْصِيَائِي مِنْ بَعْدِي؟ فَنُودِيتُ: يَا مُحَمَّدُ، هَؤُلَاءِ أَوْلِيَائِي وَأَحِبَّائِي وَأَصْفِيَائِي وَحُجَجِي بَعْدَكَ عَلَى بَرِيَّتِي، وَهُمْ أَوْصِيَاؤُكَ وَخُلَفَاؤُكَ وَخَيْرُ خَلْقِي بَعْدَكَ...»[٣].

وعن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يَكُونُ بَعْدِي اثْنَا عَشَرَ خَلِيفَةً كُلُّهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ»[٤].

---

١. تفسير العيَّاشي (ج ٢/ ص ٢٥٠/ ح ٣٩).
٢. تفسير العيَّاشي (ج ٢/ ص ٢٥١/ ح ٤١).
٣. كمال الدِّين (ص ٢٥٤ - ٢٥٦/ باب٢٣/ ح ٤).
٤. مسند أحمد (ج ٣٤/ ص ٤٣٩ و٤٤٠/ ح ٢٠٨٦٠).

ولذا فقد استقرب العلَّامة المجلسي في بحاره أنْ تكون هذه الروايات من وضع الواقفة، حيث قال: (ولا يبعد أنْ تكون تلك الأخبار من روايات الواقفيَّة)[١].

ونحن وإنْ كنا لا نستبعد جعل الواقفة لهذه الروايات، لكنَّا نستقرب بشكل أكبر أنَّ هذا الأمر من عمل الإسماعيليَّة، وذلك أنَّهم اعتمدوا علىٰ سبعة أئمَّة وسمّوا بالسبعيَّة، حيث قال الشهرستاني في (الملل والنحل): إنَّ سبب تسميتهم بالسبعيَّة لأنَّهم قالوا: (إنَّ الأئمَّة تدور أحكامهم علىٰ سبعة سبعة كأيَّام الأُسبوع والسماوات السبع والكواكب السبعة)[٢].

والآية تقول: ﴿سَبْعاً مِنَ المَثَانِي﴾، فهم حاولوا تأويل كلِّ (سبع) إلىٰ معتقدهم.

المثال الثاني: رايات المغرب:

يرىٰ المرحوم الدكتور السيِّد عدنان البكَّاء أنَّ الكثير من الروايات التي تتحدَّث عن المغرب ومصر والشام هي من وضع الماكنة الإعلاميَّة للدولة الفاطميَّة الإسماعيليَّة، بل قبلها، وذلك من قِبَل الدعاة الإسماعيليِّين، فقال:

(وتذكر روايات أُخرىٰ أبدال الشام، ونقباء مصر، ونجباء العراق.

وتذكر بعضها الرايات السود التي تأتي من خراسان.

ورأيي أنَّ كثيراً من هذه الروايات التي تذكر مُدُناً معيَّنة وصفات لرايات من وضع أنصار العبَّاسيِّين الذين ادَّعىٰ فيهم محمّد بن عبد الله المنصور المهدويَّة، ولعلاقة ذلك بأبي مسلم الخراساني وما اختاروه من شعار السواد، أو

١. بحار الأنوار: ج٢٤، ص١١٧

٢. الملل والنحل (ج ١/ ص ١٩٢).

من وضع أنصار الفاطميِّين في ما يتعلَّق بالروايات التي تذكر المغرب ومصر والشام، لعلاقة ذلك بدعوة عبد الله المهدي أوَّل الخلفاء الفاطميِّين ومحلِّ دعوته وملكه)[١].

المثال الثالث: طلوع الشمس من مغربها:

جاء في العديد من الروايات أنَّ من علامات الساعة أنَّ الشمس تطلع من المغرب، كما في تفسير العيَّاشي: عن زرارة وحمران ومحمّد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام في قوله: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها﴾ [الأنعام: ١٥٨]، قال: «طُلُوعُ اَلشَّمْسِ مِنَ اَلْمَغْرِبِ، وَخُرُوجُ اَلدَّابَّةِ، وَاَلدَّجَّالِ...»[٢].

وفي الغيبة للطوسي: أَحْمَدُ بْنُ إِدْرِيسَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ قُتَيْبَةَ، عَنِ الفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ، عَنِ الحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ اَلثُّمَالِيِّ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اَللهِ عليه السلام: إِنَّ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام كَانَ يَقُولُ: «خُرُوجُ اَلسُّفْيَانِيِّ مِنَ اَلْمَحْتُومِ، وَاَلنِّدَاءُ مِنَ اَلْمَحْتُومِ، وَطُلُوعُ اَلشَّمْسِ مِنَ اَلْمَغْرِبِ مِنَ اَلْمَحْتُومِ»، وَأَشْيَاءُ كَانَ يَقُولُهَا مِنَ اَلْمَحْتُومِ.

فَقَالَ أَبُو عَبْدِ اَللهِ عليه السلام: «وَاِخْتِلَافُ بَنِي فُلَانٍ مِنَ اَلْمَحْتُومِ، وَقَتْلُ اَلنَّفْسِ اَلزَّكِيَّةِ مِنَ اَلْمَحْتُومِ، وَخُرُوجُ اَلْقَائِمِ مِنَ اَلْمَحْتُومِ»[٣].

وفي الإرشاد: اَلْفَضْلُ بْنُ شَاذَانَ، عَمَّنْ رَوَاهُ، عَنْ أَبِي حَمْزَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام: خُرُوجُ اَلسُّفْيَانِيِّ مِنَ اَلْمَحْتُومِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَاَلنِّدَاءُ مِنَ

---

١. الإمام المهدي المنتظَر وأدعياء البابيَّة والمهدويَّة (ص ٣٢٢).
٢. تفسير العيَّاشي (ج ١/ ص ٣٨٤ و٣٨٥/ ح ١٢٨).
٣. الغيبة للطوسي (٤٣٥/ ح ٤٢٥).

اَلمَحْتُومِ، وَطُلُوعُ اَلشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا مَحْتُومٌ، وَاِخْتِلَافُ بَنِي العَبَّاسِ فِي اَلدَّوْلَةِ مَحْتُومٌ، وَقَتْلُ اَلنَّفْسِ اَلزَّكِيَّةِ مَحْتُومٌ...»[١].

وتُطرَح عدَّة احتمالات لبيان (طلوع الشمس من مغربها) في هذه الروايات، هي:

١ - المقصود بها على وجه الحقيقة، وهي من علامات الساعة خصوصاً، وأنَّ هناك تغيُّراً في الفلك مثل الكسوف والخسوف في غير وقتها في شهر رمضان.

أ - وإليه يشير ما روي عَنْ بَدْرِ بْنِ الخَلِيلِ الأَزْدِيِّ، قَالَ: كُنْتُ جَالِساً عِنْدَ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام، فَقَالَ: «آيَتَانِ تَكُونَانِ قَبْلَ قِيَامِ القَائِمِ عليه السلام لَمْ تَكُونَا مُنْذُ هَبَطَ آدَمُ إِلَى الأَرْضِ، تَنْكَسِفُ الشَّمْسُ فِي النِّصْفِ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، والقَمَرُ فِي آخِرِه»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا بْنَ رَسُولِ الله، تَنْكَسِفُ الشَّمْسُ فِي آخِرِ الشَّهْرِ وَالقَمَرُ فِي النِّصْفِ؟ فَقَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «إِنِّي أَعْلَمُ مَا تَقُولُ، وَلَكِنَّهُمَا آيَتَانِ لَمْ تَكُونَا مُنْذُ هَبَطَ آدَمُ عليه السلام»[٢].

ب - وكذا الرواية في البحار عن الإرشاد التي تقول: رَوَى أَبُو بَصِيرٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام فِي حَدِيثٍ طَوِيلٍ أَنَّهُ قَالَ: «إِذَا قَامَ القَائِمُ سَارَ إِلَى الكُوفَةِ فَهَدَمَ بِهَا أَرْبَعَةَ مَسَاجِدَ، وَلَمْ يَبْقَ مَسْجِدٌ عَلَى الأَرْضِ لَهُ شُرَفٌ إِلَّا هَدَمَهَا وَجَعَلَهَا جَمَّاءَ، وَوَسَّعَ اَلطَّرِيقَ الأَعْظَمَ، وَكَسَرَ كُلَّ جَنَاحٍ خَارِجٍ عَنِ اَلطَّرِيقِ، وَأَبْطَلَ الكُنُفَ وَالمَيَازِيبَ إِلَى اَلطُّرُقَاتِ، وَلَا يَتْرُكُ بِدْعَةً إِلَّا أَزَالَهَا، وَلَا سُنَّةً إِلَّا أَقَامَهَا، وَيَفْتَتِحُ قُسْطَنْطِينِيَّةَ وَاَلصِّينَ وَجِبَالَ اَلدَّيْلَمِ، فَيَمْكُثُ عَلَى ذَلِكَ سَبْعَ سِنِينَ، مِقْدَارُ كُلِّ سَنَةٍ عَشْرُ سِنِينَ مِنْ سِنِيكُمْ هَذِهِ، ثُمَّ يَفْعَلُ اَللهُ مَا يَشَاءُ»، قَالَ:

١. الإرشاد (ج ٢/ ص ٣٧١).
٢. الكافي (ج ٨/ ص ٢١٢/ ح ٢٥٨).

قُلْتُ لَهُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ، فَكَيْفَ تَطُولُ اَلسِّنُونَ؟ قَالَ: «يَأْمُرُ اَللهُ تَعَالَىٰ الفَلَكَ بِاللُّبُوثِ، وَقِلَّةِ الحَرَكَةِ، فَتَطُولُ الأَيَّامُ لِذَلِكَ وَاَلسِّنُونَ»، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ الفَلَكَ إِذَا تَغَيَّرَ فَسَدَ، قَالَ: «ذَلِكَ قَوْلُ اَلزَّنَادِقَةِ، فَأَمَّا اَلْمُسْلِمُونَ فَلَا سَبِيلَ لَهُمْ إِلَىٰ ذَلِكَ، وَقَدْ شَقَّ اَللهُ القَمَرَ لِنَبِيِّهِ ﷺ، وَرَدَّ اَلشَّمْسَ مِنْ قَبْلِهِ لِيُوشَعَ بْنِ نُونٍ، وَأَخْبَرَ بِطُولِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَأَنَّهُ كَالفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ»[1].

فمع كلِّ هذه المتغيِّرات فليس من البعيد ولا المستغرَب أنْ تتغيَّر جهة طلوع الشمس فتخرج من الغرب بدل الشرق.

٢ - المقصود بها المجاز، وهي ظهور صاحب العصر والزمان عجل الله فرجه بعد استتاره وغيبته، فعبَّر عن الغيبة بالغروب، وهذا المعنىٰ لا مانع منه، وإليه يشير ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: «وَهُوَ اَلشَّمْسُ اَلطَّالِعَةُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[2].

٣ - المقصود هو المعنىٰ الحقيقي من كلمة (المغرب) والمجاز في كلمة (الشمس)، فهي تعني الإمام المهدي عجل الله فرجه وخروجه من المغرب بنحو الحقيقة، وهذا التفسير الخاطئ دعا إليه وحاول نشره الإسماعيليَّة بكلِّ ماكنتهم الإعلاميَّة وانتشار دعاتهم في البلدان، وذلك بعد تمكُّنهم في المغرب العربي وتكوين دولتهم الفاطميَّة من قِبَل (عبيد الله بن الحسين) حيث لُقِّب بـ (محمّد المهدي).

وقد أشار إلىٰ ذلك السيِّد المرحوم عدنان البكاء في كتابه (الإمام المهدي المنتظَر وأدعياء البابيَّة والمهدويَّة) حيث قال:

(وفي رواية عن حذيفة أنَّ المقصود بالشمس التي تخرج من مغربها هو الإمام نفسه عجل الله فرجه، وهو مجاز، ولا مانع منه، إلَّا أنَّ بعض الروايات لصراحتها

١. بحار الأنوار للعلَّامة المجلسي (ج ٥٢/ ص ٣٣٩/ ح ٨٤)، عن الإرشاد للشيخ المفيد (ج ٢/ ص ٣٨٥).
٢. كمال الدِّين (ص ٥٢٧ و٥٢٨/ باب ٤٧/ ح ١).

بالمعنىٰ الحقيقي للشمس، ولأنَّه ينافي ما ورد من مكان ظهور الإمام عجل الله فرجه في مكَّة، وقد أشاع هذا التفسير الإسماعيليُّون ليُطبِّقوه علىٰ المهدي الفاطمي الذي ظهر في المغرب)[١].

ولا يخفىٰ أنَّ خروج المهدي من المغرب مخالف لما ثبت بالتواتر واتِّفاق المسلمين علىٰ أنَّ خروجه من مكَّة المكرَّمة.

ونذكر روايتين فقط كشاهد علىٰ ما قلناه وإلَّا فالروايات كثيرة جدّاً:

١ - الفَضْلُ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِنَانٍ، عَنْ حَيِّ بْنِ مَرْوَانَ، عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارَ، قَالَ: قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ عليه السلام: «كَأَنِّي بِالقَائِمِ يَوْمَ عَاشُورَاءَ يَوْمَ اَلسَّبْتِ قَائِماً بَيْنَ اَلرُّكْنِ وَاَلمَقَامِ، بَيْنَ يَدَيْهِ جَبْرَئِيلُ عليه السلام يُنَادِي: البَيْعَةَ لله، فَيَمْلَأُهَا عَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ ظُلْماً وَجَوْراً»[٢].

٢ - عَنْ عَلِيٍّ [عليه السلام]، قَالَ: «إِذَا هَزَمَتِ اَلرَّايَاتُ اَلسُّودُ خَيْلَ اَلسُّفْيَانِيِّ اَلَّتِي فِيهَا شُعَيْبُ بْنُ صَالِحٍ تَمَنَّىٰ اَلنَّاسُ اَلمَهْدِيَّ فَيَطْلُبُونَهُ، فَيَخْرُجُ مِنْ مَكَّةَ وَمَعَهُ رَايَةُ رَسُولِ اَللهِ [صلى الله عليه وآله]، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ أَنْ يَيْأَسَ اَلنَّاسُ مِنْ خُرُوجِهِ لِمَا طَالَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَلَاءِ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ اِنْصَرَفَ، فَقَالَ: أَيُّهَا اَلنَّاسُ، أَلَحَّ البَلَاءُ بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ [صلى الله عليه وآله]، وَبِأَهْلِ بَيْتِهِ خَاصَّةً، قُهِرْنَا وَبُغِيَ عَلَيْنَا»[٣].

المثال الرابع:

يُذكر أنَّ أبا عبد الله الشيعي، وكان من أكابر الدعاة للحركة الإسماعيليَّة ولمحمّد المهدي الإسماعيلي في المغرب، أنَّه ذهب مع حجَّاج من أهل كتامة واختلط معهم في مكَّة المكرَّمة (فلمَّا قاربوا بلادهم لقيهم رجال من الشيعة فأخبروهم بخبره، فرغبوا في نزوله عندهم، واقترعوا فيمن يُضيِّفه منهم،

١. الإمام المهدي المنتظَر وأدعياء البابيَّة والمهدويَّة (ص ٢٨٦).
٢. الغيبة للطوسي (ص ٤٥٣/ ح ٤٥٩.
٣. الفتن لنعيم بن حمَّاد (ص ٢١٣).

ثـمّ رحلـوا حتَّـىٰ وصلـوا إلىٰ أرض كتامـة منتصـف شـهر ربيـع الأوَّل سـنة ثمانـين ومائتـين، فسـأله قـوم منهـم أنْ ينـزل عندهـم حتَّـىٰ يقاتلـوا دونـه، فقـال لهـم: أيـن يكـون فـجُّ الأخيـار؟ فتعجَّبـوا مـن ذلـك ولم يكونـوا ذكـروه لـه، فقالـوا لـه: عنـد بنـي سـليان، فقـال: إليـه نقصـد، ثـمّ نـأتي كلَّ قـوم منكـم في ديارهـم ونزورهـم في بيوتهـم، فـأرضىٰ بذلـك الجميـع.

وسـار إلىٰ جبـل يقـال لـه: إنكجـان، وفيـه فـجُّ الأخيـار، فقـال: هـذا فـجُّ الأخيـار، ومـا سُـمِّي إلَّا بكـم، ولقـد جـاء في الآثـار: أنَّ للمهـدي هجـرة تنبـو عـن الأوطـان، ينـصره فيهـا الأخيـار مـن أهـل ذلـك الزمـان، قـوم مشـتقٌّ اسـمهم مـن الكتـمان، فإنَّهـم كتامـة، وبخروجكـم مـن هـذا الفـجِّ يُسـمَّىٰ فـجُّ الأخيـار)[1].

الشكل الثاني: تزوير وتقمّص الشخصية المهدوية:

الشـكل الثـاني لبيـان تحريـف الفرقـة الإسـماعيليَّة للعقيـدة المهدويَّـة لم يكـن بـزرع النصـوص وجعلهـا ومـن ثَـمَّ نشرهـا في الأُمَّـة كـما في الشـكل الأوَّل، وإنَّـما كان التحريـف بتجسـيد شـخصيَّة مهدويَّـة مـزوَّرة وعرضهـا عـلىٰ النـاس والإشـارة إلىٰ هـذه الشـخصيَّة بأنَّـه هـو المهـدي، وذلـك مـن أجـل توسـيع انتشـار حركتهـم وكسـب أكـبر عـدد ممكـن مـن الأتبـاع، وهـذا الشـكل أكثـر تأثـيراً مـن الأوَّل، وذلـك لوضـوح أنَّ المهـدي المجمـع عليـه بـين الطوائـف الشـيعيَّة أنَّـه غائب مسـتتر، وظهـوره لبعـض مـن الأشـخاص أو لمجموعـة يُعطـي شرفيَّـة خاصَّـة وإيمانـاً أكثـر لمـن يؤمـن بهـذه العقيـدة بشـكلٍ عـامٍّ.

رواية الشيخ الصدوق عن لقاء بعضهم مع الإمام المهدي عجل الله فرجه:

وإليـك نموذجـاً نسـتقرب أنْ يكـون من صناعـة الدعـاة للحركة الإسـماعيليَّة، وهـي رواية الصـدوق والشـيخ الطـوسي (أعـلىٰ الله مقاميهما):

١. بحوث في الملل والنحل (ج ٨/ ص ٩٩ و١٠٠).

حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زِيَادِ بْنِ جَعْفَرٍ الهَمَدَانِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا أَبُو القَاسِمِ جَعْفَرُ بْنُ أَحْمَدَ العَلَوِيُّ الرَّقِّيُّ العُرَيْضِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو الحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ أَحْمَدَ العَقِيقِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو نُعَيْمٍ الأَنْصَارِيُّ الزَّيْدِيُّ، قَالَ: كُنْتُ بِمَكَّةَ عِنْدَ المُسْتَجَارِ وَجَمَاعَةً مِنَ المُقَصِّرَةِ وَفِيهِمُ المَحْمُودِيُّ وَعَلَّانٌ الكُلَيْنِيُّ وَأَبُو الهَيْثَمِ الدِّينَارِيُّ وَأَبُو جَعْفَرٍ الأَحْوَلُ الهَمْدَانِيُّ، وَكَانُوا زُهَاءَ ثَلَاثِينَ رَجُلاً، وَلَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ مُخْلِصٌ عَلِمْتُهُ غَيْرَ مُحَمَّدِ بْنِ القَاسِمِ العَلَوِيِّ العَقِيقِيِّ، فَبَيْنَا نَحْنُ كَذَلِكَ فِي اليَوْمِ السَّادِسِ مِنْ ذِي الحِجَّةِ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْنِ مِنَ الهِجْرَةِ، إِذْ خَرَجَ عَلَيْنَا شَابٌّ مِنَ الطَّوَافِ عَلَيْهِ إِزَارَانِ مُحْرِمٌ [بِهِمَا]، وَفِي يَدِهِ نَعْلَانِ، فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ قُمْنَا جَمِيعاً هَيْبَةً لَهُ، فَلَمْ يَبْقَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا قَامَ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَعَدَ وَالتَفَتَ يَمِيناً وَشِمَالاً، ثُمَّ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا كَانَ أَبُو عَبْدِ اللهِ عليه السلام يَقُولُ فِي دُعَاءِ الإِلحَاحِ؟»، قُلْنَا: وَمَا كَانَ يَقُولُ؟ قَالَ: «كَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي بِهِ تَقُومُ السَّمَاءُ، وَبِهِ تَقُومُ الأَرْضُ، وَبِهِ تُفَرِّقُ بَيْنَ الحَقِّ وَالبَاطِلِ، وَبِهِ تَجْمَعُ بَيْنَ المُتَفَرِّقِ، وَبِهِ تُفَرِّقُ بَيْنَ المُجْتَمِعِ، وَبِهِ أَحْصَيْتَ عَدَدَ الرِّمَالِ، وَزِنَةَ الجِبَالِ، وَكَيْلَ البِحَارِ، أَنْ تُصَلِّيَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَأَنْ تَجْعَلَ لِي مِنْ أَمْرِي فَرَجاً وَمَخْرَجاً».

ثُمَّ نَهَضَ فَدَخَلَ الطَّوَافَ، فَقُمْنَا لِقِيَامِهِ حِينَ انْصَرَفَ، وَأُنْسِينَا أَنْ نَقُولَ لَهُ: مَنْ هُوَ؟ فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ خَرَجَ عَلَيْنَا مِنَ الطَّوَافِ، فَقُمْنَا كَقِيَامِنَا الأَوَّلِ بِالأَمْسِ، ثُمَّ جَلَسَ فِي مَجْلِسِهِ مُتَوَسِّطاً، ثُمَّ نَظَرَ يَمِيناً وَشِمَالاً، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا كَانَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ بَعْدَ صَلَاةِ الفَرِيضَةِ؟»، قُلْنَا: وَمَا كَانَ يَقُولُ؟ قَالَ: «كَانَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِلَيْكَ رُفِعَتِ الأَصْوَاتُ، و[دُعِيَتِ الدَّعَوَاتُ]، وَلَكَ عَنَتِ الوُجُوهُ، وَلَكَ خَضَعَتِ الرِّقَابُ، وَإِلَيْكَ التَّحَاكُمُ فِي الأَعْمَالِ، يَا خَيْرَ مَسْؤُولٍ وَخَيْرَ مَنْ أَعْطَىٰ، يَا صَادِقُ يَا بَارِئُ، يَا مَنْ لا يُخْلِفُ المِيعَادَ،

يَا مَنْ أَمَرَ بِالدُّعَاءِ وَتَكَفَّلَ بِالإِجَابَةِ، يَا مَنْ قَالَ: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، يَا مَنْ قَالَ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، يَا مَنْ قَالَ: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣]».

ثُمَّ نَظَرَ يَمِيناً وَشِمَالاً بَعْدَ هَذَا الدُّعَاءِ، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا كَانَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عليه السلام يَقُولُ فِي سَجْدَةِ الشُّكْرِ؟»، قُلْنَا: وَمَا كَانَ يَقُولُ؟ قَالَ: «كَانَ يَقُولُ: يَا مَنْ لَا يَزِيدُهُ الحَاحُ المُلِحِّينَ إِلَّا جُوداً وَكَرَماً، يَا مَنْ لَهُ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا مَنْ لَهُ خَزَائِنُ مَا دَقَّ وَجَلَّ، لَا تَمْنَعُكَ إِسَاءَتِي مِنْ إِحْسَانِكَ إِلَيَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَفْعَلَ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ، وَأَنْتَ أَهْلُ الجُودِ وَالكَرَمِ وَالعَفْوِ، يَا رَبَّاهْ يَا اللهُ افْعَلْ بِي مَا أَنْتَ أَهْلُهُ فَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَىٰ العُقُوبَةِ وَقَدِ اسْتَحْقَقْتُهَا، لَا حُجَّةَ لِي وَلَا عُذْرَ لِي عِنْدَكَ، أَبُوءُ إِلَيْكَ بِذُنُوبِي كُلِّهَا، وَأَعْتَرِفُ بِهَا كَيْ تَعْفُوَ عَنِّي، وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِهَا مِنِّي، بُؤْتُ إِلَيْكَ بِكُلِّ ذَنْبٍ أَذْنَبْتُهُ، وَبِكُلِّ خَطِيئَةٍ أَخْطَأْتُهَا، وَبِكُلِّ سَيِّئَةٍ عَمِلْتُهَا، يَا رَبِّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْ وَتَجَاوَزْ عَمَّا تَعْلَمُ، إِنَّكَ أَنْتَ الأَعَزُّ الأَكْرَمُ».

وَقَامَ فَدَخَلَ الطَّوَافَ فَقُمْنَا لِقِيَامِهِ، وَعَادَ مِنْ غَدٍ فِي ذَلِكَ الوَقْتِ، فَقُمْنَا لِاسْتِقْبَالِهِ كَفِعْلِنَا فِيمَا مَضَىٰ، فَجَلَسَ مُتَوَسِّطاً وَنَظَرَ يَمِيناً وَشِمَالاً، فَقَالَ: «كَانَ عَلِيُّ بْنُ الحُسَيْنِ سَيِّدُ العَابِدِينَ عليه السلام يَقُولُ فِي سُجُودِهِ فِي هَذَا المَوْضِعِ - وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَىٰ الحِجْرِ نَحْوَ المِيزَابِ -: عُبَيْدُكَ بِفِنَائِكَ، مِسْكِينُكَ بِبَابِكَ، أَسْأَلُكَ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ سِوَاكَ»، ثُمَّ نَظَرَ يَمِيناً وَشِمَالاً، وَنَظَرَ إِلَىٰ مُحَمَّدِ بْنِ القَاسِمِ العَلَوِيِّ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدَ بْنَ القَاسِمِ، أَنْتَ عَلَىٰ خَيْرٍ إِنْ شَاءَ اللهُ»، وَقَامَ فَدَخَلَ الطَّوَافَ،

فَمَا بَقِيَ أَحَدٌ مِنَّا إِلَّا وَقَدْ تَعَلَّمَ مَا ذَكَرَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَ[أُ]نْسِينَا أَنْ نَتَذَاكَرَ أَمْرَهُ إِلَّا فِي آخِرِ يَوْمٍ، فَقَالَ لَنَا الْمَحْمُودِيُّ: يَا قَوْمِ، أَتَعْرِفُونَ هَذَا؟ قُلْنَا: لَا، قَالَ: هَذَا وَاللهِ صَاحِبُ الزَّمَانِ عليه السلام، فَقُلْنَا: وَكَيْفَ ذَاكَ يَا أَبَا عَلِيٍّ؟ فَذَكَرَ أَنَّهُ مَكَثَ يَدْعُو رَبَّهُ عزوجل وَيَسْأَلُهُ أَنْ يُرِيَهُ صَاحِبَ الأَمْرِ سَبْعَ سِنِينَ، قَالَ: فَبَيْنَا أَنَا يَوْماً فِي عَشِيَّةِ عَرَفَةَ، فَإِذَا بِهَذَا الرَّجُلِ بِعَيْنِهِ، فَدَعَا بِدُعَاءٍ وَعَيْتُهُ، فَسَأَلْتُهُ مِمَّنْ هُوَ، فَقَالَ: «مِنَ النَّاسِ»، فَقُلْتُ: مِنْ أَيِّ النَّاسِ مِنْ عَرَبِهَا أَوْ مَوَالِيهَا؟ فَقَالَ: «مِنْ عَرَبِهَا»، فَقُلْتُ: مِنْ أَيِّ عَرَبِهَا؟ فَقَالَ: «مِنْ أَشْرَفِهَا وَأَشْمَخِهَا»، فَقُلْتُ: وَمَنْ هُمْ؟ فَقَالَ: «بَنُو هَاشِمٍ»، فَقُلْتُ: مِنْ أَيِّ بَنِي هَاشِمٍ؟ فَقَالَ: «مِنْ أَعْلَاهَا ذِرْوَةً وَأَسْنَاهَا رِفْعَةً»، فَقُلْتُ: وَمِمَّنْ هُمْ؟ فَقَالَ: «مِمَّنْ فَلَقَ الهَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»، فَقُلْتُ: إِنَّهُ عَلَوِيٌّ، فَأَحْبَبْتُهُ عَلَى العَلَوِيَّةِ، ثُمَّ افْتَقَدْتُهُ مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ، فَلَمْ أَدْرِ كَيْفَ مَضَى فِي السَّمَاءِ أَمْ فِي الأَرْضِ، فَسَأَلْتُ القَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا حَوْلَهُ: أَتَعْرِفُونَ هَذَا العَلَوِيَّ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ يَحُجُّ مَعَنَا كُلَّ سَنَةٍ مَاشِياً، فَقُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ وَاللهِ مَا أَرَى بِهِ أَثَرَ مَشْيٍ، ثُمَّ انْصَرَفْتُ إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ كَئِيباً حَزِيناً عَلَى فِرَاقِهِ، وَبِتُّ فِي لَيْلَتِي تِلْكَ، فَإِذَا أَنَا بِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، رَأَيْتَ طَلِبَتَكَ؟ فَقُلْتُ: وَمَنْ ذَاكَ يَا سَيِّدِي؟ فَقَالَ: الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي عَشِيَّتِكَ فَهُوَ صَاحِبُ زَمَانِكُمْ. فَلَمَّا سَمِعْنَا ذَلِكَ مِنْهُ عَاتَبْنَاهُ عَلَى أَلَّا يَكُونَ أَعْلَمَنَا ذَلِكَ، فَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ نَاسِياً أَمْرَهُ إِلَى وَقْتِ مَا حَدَّثَنَا.

وحدَّثنا بهذا الحديث عمَّار بن الحسين بن إسحاق الأسروشني رضي الله عنه بجبل بوتك من أرض فرغانة، قال: حدَّثني أبو العبَّاس أحمد بن الخضر، قال: حدَّثني أبو الحسين محمّد بن عبد الله الإسكافي، قال: حدَّثني سُلَيم، عن أبي نعيم الأنصاري، قال: كنت بالمستجار بمكَّة أنا وجماعة من المقصِّرة فيهم المحمودي وعلَّان الكليني، وذكر الحديث مثله سواء.

وحدَّثنا أبو بكر محمّد بن محمّد بن عليٍّ بن محمّد بن حاتم، قال: حدَّثنا أبو الحسين عبيد الله بن محمّد بن جعفر القصباني البغدادي، قال: حدَّثني أبو محمّد عليُّ بن محمّد بن أحمد بن الحسين الماذرائي، قال: حدَّثنا أبو جعفر محمّد بن عليٍّ المنقذي الحسني بمكَّة، قال: كنت جالساً بالمستجار وجماعة من المقصِّرة وفيهم المحمودي، وأبو الهيثم الديناري، وأبو جعفر الأحول، وعلَّان الكليني، والحسن بن وجناء، وكانوا زهاء ثلاثين رجلاً، وذكر الحديث مثله سواء[١].

وقريب منها جدّاً رواها الشيخ الطوسي في كتابه (الغيبة)[٢].

والحادثة رُويت بأربعة طُرُق مختلفة ممَّا يبعث علىٰ الاطمئنان بوقوعها، بغضِّ النظر عن صحَّة أسانيدها المختلفة.

نظرة تحليليَّة علميَّة في الرواية:

المتأمِّل في هذه الرواية يجد فيها الكثير من المؤشِّرات علىٰ ما قلناه سابقاً من استغلال قضيَّة غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه من قِبَل الطائفة الإسماعيليَّة لكسب الأتباع لحركتهم والترويج لها، وذلك من خلال النقاط التالية:

١ - أنَّ هذا الظهور والاستعراض المسرحي وبهذه الكيفيَّة العلنيَّة ولمدَّة ثلاثة أيَّام متوالية في نفس التوقيت ولمجموعة كبيرة من الناس المختلفة في المذاهب إنْ لم يكن أكثرهم من غير الشيعة كما تدلُّ عليه بعض نصوص الرواية مضافاً إلىٰ أنَّ جميع الطائفين في البيت الحرام وغيرهم كانوا يشاهدون هذا الأمر وهذا اللقاء.

---

١. كمال الدِّين (ص ٤٧٠ - ٤٧٣/ باب ٤٣/ ح ٢٤).

٢. الغيبة للشيخ الطوسي (ص ٢٥٩ - ٢٦٣/ ح ٢٢).

أقول: إنَّ كلَّ ذلك مخالف تماماً مع أسباب الغيبة وعللها، ومتعارض مع المنهجيَّة المتَّبعة لحركة الإمام الخفيَّة كما ذكرنا بعض الروايات فيما سبق.

فالإمام وأتباعه يعيشون هذه الأجواء المكثَّفة من التقيَّة، وكما نقل الشيخ الطوسي في غيبته: (... لأنَّ الأمر كان حادّاً جدّاً في زمن المعتضد، والسيف يقطر دماً كما يقال)[1].

فأين الحذر؟ وأين الاحتياط؟ بل ما هي الغاية في هذا الظهور غير المبرَّر؟ نعم كان للإمام عجل الله فرجه ظهور في مثل هذا الجمع أو يزيد ولكن كان في ظرف أُجبر عليه ولمرَّة واحدة، وذلك حين الصلاة علىٰ جثمان أبيه الإمام العسكري عليه السلام كما يذكر النصُّ: (...فَلَمَّا صِرْنَا فِي اَلدَّارِ إِذَا نَحْنُ بِالحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ (صَلَوَاتُ اَللهِ عَلَيْهِ) عَلَىٰ نَعْشِهِ مُكَفَّناً، فَتَقَدَّمَ جَعْفَرُ بْنُ عَلِيٍّ لِيُصَلِّيَ عَلَىٰ أَخِيهِ، فَلَمَّا هَمَّ بِالتَّكْبِيرِ خَرَجَ صَبِيٌّ بِوَجْهِهِ سُمْرَةٌ بِشَعْرِهِ قَطَطٌ بِأَسْنَانِهِ تَفْلِيجٌ فَجَبَذَ بِرِدَاءِ جَعْفَرِ بْنِ عَلِيٍّ وَقَالَ: «تَأَخَّرْ يَا عَمِّ، فَأَنَا أَحَقُّ بِالصَّلَاةِ عَلَىٰ أَبِي»، فَتَأَخَّرَ جَعْفَرٌ وَقَدِ اِرْبَدَّ وَجْهُهُ وَاِصْفَرَّ، فَتَقَدَّمَ اَلصَّبِيُّ وَصَلَّىٰ عَلَيْهِ، وَدُفِنَ إِلَىٰ جَانِبِ قَبْرِ أَبِيهِ عليهما السلام...)[2].

فهنا يمكن أنْ نتفهَّم سبب ظهوره عجل الله فرجه المفاجئ واختفائه بسرعة أيضاً بعد أداء الصلاة، باعتبار أنَّ المعصوم لا يلي أمره إلَّا المعصوم، مضافاً إلىٰ دفع شبهة إمامة عمِّه جعفر إذا صلَّىٰ هو علىٰ جثمان أخيه.

٢ - حدوث هذه الواقعة بتاريخ (٢٩٢هـ) وهو متناسق مع الحملة التبليغيَّة للحركة الإسماعيليَّة في عصر الغيبة الصغرىٰ كما مرَّ سابقاً.

وهو الجوُّ المناسب لمثل هذه الأحداث حيث إنَّ أكبر طائفة شيعيَّة وهم الاثنا عشريَّة وصلوا إلىٰ زمن الغيبة وآمنوا بغيبة الإمام الثاني عشر،

١. الغيبة للشيخ الطوسي (ص ٢٩٦/ ح ٢٤٩).
٢. كمال الدِّين (ص ٤٧٥ و٤٧٦/ باب ٤٣/ ح ٢٥).

فكان بالإمكان استقطاب بعض الأتباع من هذه الطائفة من خلال هذه الأُطروحات المغلفة والمبهمة بالمهدويَّة والغيبة، وهذا ما نجده في أمثال (الحسن بن الصباح)، حيث كان اثني عشريّاً ثمّ تحوَّل إلىٰ الإسماعيليَّة، ولا نعلم إنْ كان علىٰ قناعة بذلك أم غرَّه الجاه والمال والمنصب.

وهكذا ما يذكره الكليني في (الكافي الشريف) عَنِ الحَسَنُ بْنُ الفَضْلِ بْنِ زَيْدٍ اليَمَانِيُّ، قَالَ: كَتَبَ أَبِي بِخَطِّه كِتَاباً فَوَرَدَ جَوَابُه، ثُمَّ كَتَبْتُ بِخَطِّي فَوَرَدَ جَوَابُه، ثُمَّ كَتَبَ بِخَطِّهِ رَجُلٌ مِنْ فُقَهَاءِ أَصْحَابِنَا فَلَمْ يَرِدْ جَوَابُه، فَنَظَرْنَا فَكَانَتِ العِلَّةُ أَنَّ الرَّجُلَ تَحَوَّلَ قَرْمَطِيّاً[١].

٣ - أنَّ هذا الاستعراض بهذه الكيفيَّة يحتاج إلىٰ تأمُّل، فيا ترىٰ لماذا يخرج إليهم هذا الشابُّ ولمدَّة ثلاثة أيَّام متوالية وهو في ثوب الإحرام، فهل يا ترىٰ أنَّه لم ينتهِ من عمرة التمتُّع لمدَّة ثلاثة أيَّام وهذا مستحيل عادةً، أم كان يعتمر عمرة مفردة وهو محرَّم عند الطائفة الشيعيَّة إلَّا مرَّة واحدة في الشهر[٢]؟ وهذه أيضاً لا تحتاج إلىٰ فترة ثلاثة أيَّام، بل تنتهي في ساعات في يوم واحد.

٤ - أنَّ ما ذكره هذا الشابُّ في هذا اللقاء ولمدَّة ثلاثة أيَّام كما تنصُّ الرواية، لم يكن شيئاً جديداً علىٰ الشيعة، بل لا يستدعي خرق نظام الغيبة وتعريض نفسه - لو كان هو الإمام عجل الله فرجه - لخطر انكشاف أمره، حيث نجد أنَّ ما ذكره لا يعدو كونه دعاءً للأئمَّة عليهم السلام، وبعض ما ذكره ليس جديداً، بل هو دعاء مأثور عن الإمام الصادق عليه السلام منتشر بين الشيعة، والراوي له هو محمّد بن مسلم، وهو ما يُسمَّىٰ بدعاء (الإلحاح).

---

١. الكافي (ج ١/ ص ٥٢٠/ باب مولد الصاحب عليه السلام/ ح ١٣).

٢. إلَّا إذا كان ينوب عن غيره.

٥ - أنَّ الراوي لهذه الحادثة يشير إلىٰ مهدويَّة الرجل الشابِّ فقط وليس إلىٰ نسبه، وهذا ممَّا يُعطي انطباعاً أنَّه لا يقصد الإمام الحجَّة بن الحسن العسكري عجل الله فرجه، وإنَّما يحاول إعطاء صفة مهدويَّة للرجل بغضِّ النظر عن نسبه، وهذا هو ما يريده أصحاب الحركة الإسماعيليَّة.

٦ - من الملاحَظ أيضاً أنَّ الرجل ولمدَّة ثلاثة أيَّام يحضر اجتماع مجموعة كبيرة من الحجَّاج، ولم يذكر لهم ما أُثِرَ عن الأئمَّة عليهم السلام بعد الإمام الصادق عليه السلام، ممَّا يُشكِّل انطباعاً أنَّه لا يؤمن بإمامة الكاظم عليه السلام ومن بعده عليهم السلام، وهذا هو ما تؤمن به الفرقة الإسماعيليَّة.

٧ - ولعلَّ كثرة التفاته يميناً وشمالاً - في كلِّ جلسة مرَّتين - فيه قرينة وإشارة إلىٰ توجُّس الرجل من عيون النظام العبَّاسي، إذ كان الدعاة ملاحَقين من قِبَل أزلام النظام آنذاك.

وهناك نماذج أُخرىٰ من اللقاءات التي نستقرب افتعالها من قِبَل الحركة الإسماعيليَّة ذُكِرَت في مصادرنا نشير فقط لبعضها حذراً من التطويل أوَّلاً، ولأنَّ الفكرة يتمُّ إيصالها ولو بتسليط الضوء علىٰ مفردة واحدة فقط وهو ما قمنا به.

الرواية الثانية:

لقاء أبي سورة الزيدي مع رسول الخلف عجل الله فرجه[1].

الرواية الثالثة:

عن عليِّ بن إبراهيم الفدكي، عن الأودعي (الأزدي)[2].

١. الغيبة للطوسي (ص ٣٠٢/ ح ٢٥٥).
٢. الغيبة للطوسي (ص ٢٥٤/ ح ٢٢٣).

الخلاصة:

أنَّ الحركة الإسماعيليَّة كغيرها من الحركات المهدويَّة المنحرفة حاولت وبشتَّىٰ الطُّرُق الاستفادة من العقيدة المهدويَّة لصالح ما تؤمن به، فعملت علىٰ وضع الأحاديث التي تُؤيِّد معتقدهم، كما صنعت سيناريوهات مزيَّفة في اللقاء بالمهدي لتكون أقوىٰ جاذبيَّة للمحبِّين والأتباع، وقد أخذها الأعلام وسطروها في كُتُبهم، ولا أستبعد أنْ يكون ذلك من باب المؤيِّدات والمؤشِّرات علىٰ صحَّة أصل العقيدة وليس من باب أنَّهم رضي الله عنهم آمنوا فعلاً بصحَّة مثل هذه اللقاءات.

والحمد لله ربِّ العالمين

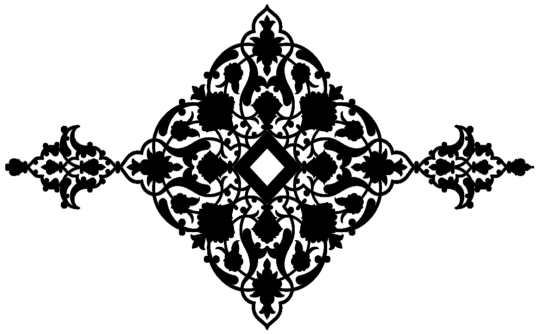

المعود
ALMAUOOD

قراءة في واقع الأديان السماوية عند ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه التعاطي والآليات

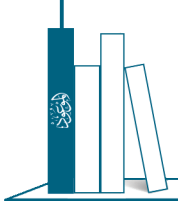

مرتضىٰ علي الحلي

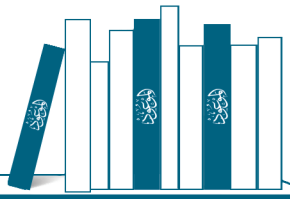

تمهيد:

معنىٰ الدين لغة:

الدين لغةً: الطاعة، يقال دان له يدين ديناً[1].

وأيضاً وردت هذه المادة (الدال والياء والنون) بمعنىٰ - المجازاة، كما في قولهم: كما تدين تدان، معناها كما تجازي تجازىٰ، أي تجازىٰ بعملك وبحسب ما عملت[2].

وفي القرآن الكريم ورد يوم الدين بمعنىٰ يوم الجزاء، وكذلك ورد الدين بمعنىٰ الإسلام، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الكِتابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ ما جاءَهُمُ العِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآياتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسابِ﴾ (آل عمران: ١٩).

وإن استعمال لفظة (الدين) لغة يناظر وبقدر كبير المعنىٰ الديني في أصوله المشتركة، قال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنا

١. معجم مقايس اللغة - ابن فارس: مادة دين، ج٢، ص٣١٩.

٢. لسان العرب - ابن منظور: مادين دين، ج١٣، ص١٦٩، ط، قم، إيران.

إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (الشورىٰ: ١٣).

فالمقدار والمدلول الديني للفظة الدين المستظهر من مجموع الأديان السماوية واحد في أصوله المشتركة للإنسان جعلاً واعتقاداً وهداية، من الإيمان بالله تعالىٰ وتوحيده وطاعته والغيب وأنبيائه وكتبه والمعاد.

مفهوم الدين اصطلاحاً:

لا يمكن حصر مفهوم الدين بتعريف واحد جامع مانع، وذلك لتعدد دلالاته اللفظية بعدد الجهات التي استهدفها في مختلف مفاصل حياة الإنسان والمجتمع وسوقه إلىٰ الفضائل الأخلاقية والقيمية، بما يحرز معه إعمال الحق والنظام الصالح والعادل، من خلال الاهتداء بهدي الأنبياء والرسل والأوصياء والأئمة المعصومين عليهم السلام والمصلحين والاقتداء بهم.

وما يذكر تعريفاً له في الاصطلاح إنما هو من باب المثال وبيان المصداق، وإلّا فالدين مفهوم كلي قيمي، له حيثيات متعددة ومختلفة، وأغراض جمة.

وقد أشار إلىٰ هذا المعنىٰ الشيخ ناصر مكارم الشيرازي في تفسيره الأمثل، حيث قال: (والدين في الاصطلاح: مجموعة العقائد والقواعد والآداب التي يستطيع الإنسان بها بلوغ السعادة في الدنيا، وأن يخطو في المسير الصحيح، من حيث التربية والأخلاق الفردية والجماعية)[1].

وكذلك ذكر السيد الطباطبائي في تفسيره الميزان ما يمكن أن يعرف به الدين (وهو أنه نحو سلوك في الحياة الدنيا، يتضمن صلاح الدنيا، بما يوافق

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل - الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ج٢، ص٤٢٩.

الكمال الأخروي، والحياة الدائمة الحقيقية عند الله سبحانه، فلابد في الشريعة من قوانين تتعرض لحال المعاش على قدر الاحتياج)[١].

وإن الدين في ماهيته الاعتبارية القيمية يتوافر على مقومات ذاتية وغائية، من حيث الجعل والتقنين والدعوة والتطبيق والاتباع والاسترشاد والاهتداء وما شابه.

ومن أهم مقوماته البنيوية أن جاعله وواضعه الله سبحانه وتعالى، وهذا ما أكده القرآن الكريم مراراً وتكراراً في سوره الشريفة، وذلك بإضافة نسبة الدين إلى الله تعالى كما في الآيات التي تصدَّرت البحث.

وقد أقر بذلك علماء الاعتقاد والشريعة، حيث ذكر العلامة محمد تقي الآملي: (إن الدين وضع إلهي يتناول الفروع والأصول، وجامعه هو ما جاء به النبي صلى الله عليه وآله)[٢].

وهذا الجعل الإلهي القيّم للدين إنما تنزل للناس من خلال الوحي الأمين المعصوم، وهو ما يعزز الوثوق به والتيقن منه، ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ العالَمِينَ ۝١٩٢ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنْذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (الشعراء: ١٩٢-١٩٥).

وقد جعل الله سبحانه للدين أيضاً كتاباً يحفظه اعتقاداً وشرعة ومنهاجاً وهداية على أيدي الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام للناس كافة ما بقيت الحياة وبقي التكليف، قال تعالى: ﴿رُوحاً مِنْ أَمْرِنا ما كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتابُ وَلاَ الإِيمانُ وَلَكِنْ جَعَلْناهُ نُوراً نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشاءُ مِنْ عِبادِنا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي

١. الميزان في تفسير القرآن - السيد محمد حسين الطباطبائي: ج٢، ص١٣٠، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.

٢. مصباح الهدى في شرح العروة الوثقى - الشيخ محمد تقي الآملي: ج١، ص٣٩٠، ط، ١٣٧٧هـ ق.

إِلَىٰ صِراطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِراطِ اللهِ الَّذِي لَهُ ما فِي السَّماواتِ وَما فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾ (الشورىٰ: ٥٢-٥٣)، ﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الكِتابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جاءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهاجاً وَلَوْ شاءَ اللهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً وَلكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي ما آتاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْراتِ إِلَى اللهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة: ٤٨).

إن معرفة ماهية الدين الحق والمستقيم تتطلب من الإنسان المؤمن معرفة إمام زمانه - وفي وقتنا هو الإمام المهدي عجل الله فرجه - والإيمان به والتصديق له، ولهذا فإنه لا يؤخذ الدين من أي أحد كان، كيف ما يشاء، ودون ضوابط ومعايير تؤمّن له التلقي الصحيح والسليم للعقائد أصولاً، والأحكام والتكاليف فروعاً، والطريق الصالح الموصل للمطلوب منهاجاً، إتماماً للحجة الإلهية تنجيزاً وتعذيراً، وإلىٰ هذا المعنىٰ القويم أشارت وأرشدت الروايات المعتبرة، عن العلاء بن سيابة عن أبي عبد الله، الإمام جعفر الصادق عليه السلام، في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، قال: «يهدي إلىٰ الإمام»[1].

وفي رواية أخرىٰ طويلة نذكر بعضاً منها محل الشاهد والغرض، (عن إسحاق بن غالب، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام، في خطبة له يذكر فيها حال الأئمة عليهم السلام، وصفاتهم، فقال: إن الله تعالىٰ أوضح بأئمة الهدىٰ من أهل بيت نبيه صلى الله عليه وآله، عن دينه، وأبلج بهم عن سبيل منهاجه، وفتح لهم عن باطن ينابيع علمه، فمن عرف من أُمة محمد صلى الله عليه وآله، واجب حق إمامه وجد

١. الكافي - الكليني: ج١، ص٢١٦، ط٣، طهران.

حلاوة إيمانه، وعلم فضل طلاوة إسلامه، إن الله تعالىٰ نصب الإمام علماً لخلقه، وجعله حجة علىٰ أهل طاعته، ألبسه الله تاج الوقار، وغشاه من نور الجبار، يمد بسبب إلىٰ السماء، لا ينقطع عنه مواده، ولا ينال ما عند الله إلّا بجهة أسبابه، ولا يقبل الله الأعمال للعباد إلّا بمعرفته، فهو عالم بما يرد عليه من مشكلات الدجىٰ، ومعميات السنن، ومشتبهات الفتن، فلم يزل الله يختارهم لخلقة من ولد الحسين عليه السلام، من عقب كل إمام، فيصطفيهم كذلك ويجتبيهم، ويرضىٰ بهم لخلقه ويرتضيهم لنفسه، كلما مضىٰ منهم إمام نصب عزّ وجلّ لخلقه إماماً علماً بيناً، وهادياً منيراً، وإماماً قيماً، وحجة عالماً، أئمة من الله يهدون بالحق وبه يعدلون، حجج الله ودعاته ورعاته علىٰ خلقه يدين بهديهم العباد، وتستهل بنورهم البلاد، وينمو ببركتهم التلاد)[1].

فالدين مفهوم واحد في ماهيته، جعلاً وغرضاً عند جميع الأديان السماوية، وإن تعدد الأنبياء، واختلفت شرائعهم لكل أُمة في وقتها، وله ما يعرف به، من نبي أو وصي أو إمام معصوم لكل قوم، وفي كل زمان.

ويقع البحث في محاور ثلاثة:

المحور الأول: حركة الإمام المهدي عجل الله فرجه حركة إلهية، تختزل في طياتها حركة الأنبياء عليهم السلام من البداية إلىٰ النهاية – الشواهد الروائية والدلالات.

ويشتمل هذا المحور علىٰ مطلبين:

المطلب الأول: الإمام المهدي عجل الله فرجه وريث الأنبياء عليهم السلام علىٰ مستوىٰ العقيدة والتشريع ومنظومة القيم:

إن هذا المعنىٰ العقائدي المطلق إنما أخذ أولويته واستحقه الإمام

١. الغيبة – النعماني: ص٢٣٢، الطبعة الأولىٰ – ١٤٢٢ هـ. ق، قم.

المهدي عجل الله فرجه الشريف بوصفه خاتم الأئمة المعصومين عليهم السلام والبقية الإلهية الموعودة، والحجة البالغة المدخرة للناس كافة، بمختلف أديانهم وألسنتهم وألوانهم من بعد ختم مرحلة النبوات والرسالات، ولأنه يملك حكمة وتراث الأديان السماوية المتعاقبة، وبحكم النزوع الديني والفطري والفكري العام عند جميع أهل الأديان السماوية، وحتىٰ الأرضية إلىٰ نظرية المنقذ أو المخلص أو المصلح أو اليوم الموعود، وما شابه، رغم الاشتباه عندهم في المصداق الحق المجعول إلهياً، والذي عندنا هو عقيدة ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في آخر الزمان، وحين يأذن الله تعالىٰ له بذلك.

والروايات المأثورة في هذا الجانب العقدي (وريث الأنبياء) ذكرت هذا المضمون القيم، ومصداقه الحق - الإمام المهدي الموعود -، ترسيخاً للحقيقة الدينية المطلقة والعامة، والتي ينتظرها المؤمنون من الأديان السماوية كافة، ويستشرفون تحققها في ما يؤمنون به من مصداق مذكور عندهم في الكتب السماوية، فعن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن القائم إذا خرج دخل المسجد الحرام، فيستقبل الكعبة، ويجعل ظهره إلىٰ المقام، ثم يصلي ركعتين، ثم يقوم فيقول: يا أيها الناس، أنا أولىٰ الناس بآدم، يا أيها الناس أنا أولىٰ الناس بإبراهيم، يا أيها الناس أنا أولىٰ الناس بإسماعيل، يا أيها الناس أنا أولىٰ الناس بمحمد صلى الله عليه وآله، ثم يرفع يديه إلىٰ السماء، فيدعو ويتضرع حتىٰ يقع علىٰ وجهه، وهو قوله عز وجل: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢]»[1].

وقد ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «والقائم يومئذٍ بمكة،

١. بحار الأنوار - المجلسي: ج٥١، ص٥٩، ط٢، بيروت، ١٤٠٣هـ.

قد أسند ظهره إلىٰ البيت الحرام، مستجيراً به، فينادي: يا أيها الناس، إنا نستنصر الله، فمن أجابنا من الناس، فإنا أهل بيت نبيكم محمد ﷺ، ونحن أولىٰ الناس بالله وبمحمد ﷺ، فمن حاجني في آدم، فأنا أولىٰ الناس بآدم، ومن حاجني في نوح، فأنا أولىٰ الناس بنوح، ومن حاجني في إبراهيم، فأنا أولىٰ الناس بإبراهيم، ومن حاجني في محمد ﷺ فأنا أولىٰ الناس بمحمد ﷺ، ومن حاجني في النبيين، فأنا أولىٰ الناس بالنبيين، أليس الله يقول في محكم كتابه: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفىٰ آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْراهِيمَ وَآلَ عِمْرانَ عَلَىٰ العالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣٣-٣٤]، فأنا بقية من آدم، وذخيرة من نوح، ومصطفىٰ من إبراهيم، وصفوة من محمد صلىٰ الله عليهم أجمعين»[١].

فهاتان الروايتان تؤكدان أن الإمام المهدي عجل الله فرجه يختزل فعلاً وواقعاً وظهوراً وقياماً ذلك المعنىٰ الديني والتاريخي الواسع لمفهوم وراثة الأنبياء كافة، والذي يستبطن في ماهيته جميع المكونات العقدية الجامعة الحقة والتشريعية والقيمية لهذا الدين جعلاً وأصولاً وتطبيقاً، بعدما واجه منعطفات جمة خلال تاريخه الطويل زمنياً، وأنه الإمام المعصوم والمنصوب إلهياً، الأجدر والأقدر علىٰ التصحيح وإزالة الاختلاف والتدافع، وحفظ الكتب السماوية والأصول وتطبيق الفروع، وإصلاح الإنسان وهدايته وتقويم نظام الاجتماع الإنساني عامة.

وإلىٰ هذا المعنىٰ الموعود أشار الإمام محمد الباقر عليه السلام في قوله إنه: «إذا قام قائم أهل البيت قسم بالسوية، وعدل في الرعية، فمن أطاعه فقد أطاع

١. الغيبة – النعماني: ص٢٩٠، الطبعة: الأولىٰ – ١٤٢٢ هـ. ق – قم المقدسة.

الله، ومن عصاه فقد عصىٰ الله، وإنما سمي المهدي مهدياً، لأنه يهدي إلىٰ أمر خفي، ويستخرج التوراة وسائر كتب الله عزّ وجلّ من غار بأنطاكية، ويحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل القرآن بالقرآن، وتجمع إليه أموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها، فيقول للناس: تعالوا إلىٰ ما قطعتم فيه الأرحام، وسفكتم فيه الدماء الحرام، وركبتم فيه ما حرم الله عزّ وجلّ، فيعطي شيئاً لم يعطه أحد كان قبله، ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً، كما ملئت ظلماً وجوراً وشراً»[1].

ومن المعلوم أن جميع الأديان السماوية تتوافر علىٰ أصول دينية وعقلائية واحدة من أول الأمر في الجعل الإلهي العقائدي والتبليغ والدعوة، كأصل توحيد الله سبحانه وتنزيه من الشرك والوثنية، وأصل عدله عزّ وجلّ، وأصل بعثة الأنبياء والرسل وجعل الأوصياء والأئمة لهم، وأصل المعاد والدار الآخرة، فكل هذه المشتركات العقائدية ستحقق مزيداً من الاستجابة والتلقي عند المؤمنين عامة من جميع الأديان السماوية، لما فيه خيرهم وصلاحهم وتحقيق أغراضهم.

ويجمع هذه الأصول الدينية المشتركة عنوان عام، وهو الدين الإسلام، والذي سيظهره الله تعالىٰ علىٰ الدين كله في آخر الزمان علىٰ يد الإمام المهدي عجّل الله فرجه، بما يكفل بسط العدل والحق ودفع الظلم والباطل في الأرض قاطبة بين الناس أجمعين، ولما يحمله الإمام المهدي عجّل الله فرجه من كتاب إلهي كامل وشامل لحقيقة الأصول الدينية والشرائع السماوية، وهو القرآن الكريم، والذي سيجمع شتات الإنسان والأديان تحت غاية واحدة إصلاحاً وتكاملاً، وقد بين السيد الطباطبائي هذا المعنىٰ السامي والمنشود، حيث ذكر ما نصه: (القرآن الكريم

١. الغيبة - النعماني: ص٢٤٣، الطبعة الأولىٰ - ١٤٢٢ هـ. ق - قم المقدسة.

يحتوي على الغاية الأسمىٰ التي تهدف إليها الإنسانية، ويبينها بأتم الوجوه، لأن الوصول إلىٰ الغاية الأسمىٰ لا يمكن إلّا بالنظرات الواقعية للكون والعمل بالأصول الأخلاقية والقوانين العملية، وهذا ما يتولىٰ شرحه القرآن بصورة كاملة حيث يقول: ﴿قالُوا يا قَوْمَنا إِنَّا سَمِعْنا كِتاباً أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسىٰ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الحَقِّ وَإِلىٰ طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الأحقاف: ٣٠)، ويقول في موضع آخر بعد ذكر التوراة والإنجيل: ﴿وَأَنْزَلْنا إِلَيْكَ الكِتابَ بِالحَقِّ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنْزَلَ اللهُ﴾ (المائدة: ٤٨)، وبياناً لاشتماله على حقيقة شرائع الأنبياء يقول: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ ما وَصّىٰ بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى المُشْرِكِينَ ما تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ (الشورىٰ: ١٣)، وفي احتوائه على سائر الأشياء يقول: ﴿وَنَزَّلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (النحل: ٨٩)، ومختصر ما في الآيات السابقة: إن القرآن يحتوي على الحقائق المبينة في الكتب السماوية وزيادة، وفيه كل ما يحتاج إليه البشر في سيره التكاملي نحو السعادة من أسس العقائد والأصول العملية)[١].

والسؤال الذي يرد هنا، هو أنه لماذا اختير الإمام المهدي عجل الله فرجه وريثاً للأنبياء عليهم السلام على اختلاف شرائعهم السماوية وأممهم وأوقاتهم؟

والجواب: يكمن في فعلية تحقق أهلية الإمام المهدي عجل الله فرجه لتحمل رسالات الأنبياء عبر التاريخ، في كونه قريباً من مصادر الإسلام الأولىٰ نسباً ومنهاجاً،

١. القرآن في الإسلام – السيد محمد حسين الطباطبائي: ص٢١، تعريب السيد أحمد الحسيني.

فبذلك يختزل جوهر دين الأنبياء، وللسيد الشهيد محمد باقر الصدر (طاب ثراه) جواب قيم علىٰ مثل هذا السؤال، فقال ما نصه: (ثم إن عملية التغيير المدخرة للقائد المنتظر تقوم علىٰ أساس رسالة معينة، هي رسالة الإسلام، ومن الطبيعي أن تتطلب العملية في هذه الحالة قائداً قريباً من مصادر الإسلام الأولىٰ، قد بنيت شخصيته بناء كاملاً، بصورة مستقلة ومنفصلة عن مؤثرات الحضارة، التي يقدر لليوم الموعود أن يحاربها، وخلافا لذلك، الشخص الذي يولد وينشأ في كنف هذه الحضارة وتتفتح أفكاره ومشاعره في إطارها، فإنه لا يتخلص غالباً من رواسب تلك الحضارة ومرتكزاتها، وإن قاد حملة تغييرية ضدها، فلكي يضمن عدم تأثر القائد المدخر بالحضارة التي أعد لاستبدالها، لابد أن تكون شخصيته قد بنيت بناء كاملاً في مرحلة حضارية سابقة، هي أقرب ما تكون في الروح العامة، ومن ناحية المبدأ إلىٰ الحالة الحضارية التي يتجه اليوم الموعود إلىٰ تحقيقها بقيادته)[١].

وإن من أجلىٰ ما يتحقق به صدق مفهوم وراثة الأنبياء بالنسبة إلىٰ الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف هو استخراج كتبهم السماوية الصحيحة من مواضعها المدخرة فيها في وقت ظهوره، فعن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام، قال: «أول ما يبدأ القائم عليه السلام بأنطاكية، فيستخرج منها التوراة من غار، فيه عصىٰ موسىٰ وخاتم سليمان»[٢]، وفي المأثور الروائي من غير طرقنا، ورد (ويستخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال لها أنطاكية - أخرجه الإمام أبو عبد الله نعيم بن حماد في كتاب الفتن من وجوه)[٣].

١. حوار حول المهدي - السيد الشهيد محمد باقر الصدر: ص٨٩، الطبعة الأولىٰ المحققة - ربيع الثاني ١٤١٧ هـ.

٢. بحار الأنوار - المجلسي: ج٥٢، ص٣٩٠، ط٢، بيروت، ١٤٠٣ هـ.

٣. عقد الدرر في أخبار المنتظر - يوسف بن يحيىٰ المقدسي: ص٤٠، الطبعة الأولىٰ - ١٣٩٩ هـ.

والغرض الواضح من إخراج الكتب السماوية الصحيحة هو القضاء علىٰ التحريف الكبير الذي تعرضت له هذه الكتب، وما فيها من العقائد بعد التنزيل، وعبر التاريخ الطويل، كما أشار القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾ (النساء: ٤٦)، ولإقامة الحجة علىٰ أهل هذه الأديان السماوية، بإظهار النسخ الأصلية الصحيحة النزول. ولا يقتصر الأمر علىٰ بيان الصحيح من هذه الكتب، بل لأجل الحكم بينهم بما فيها، كما هو مورد بعض الروايات التي مر ذكرها «ويحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور»، وهذا لا يكون مدعاة لأهل الكتب السماوية في البقاء علىٰ أديانهم، بل سيعرض عليهم الإسلام الحق، ويحاججهم ويهديهم إليه، كما هو المأثور من طرق العامة، (قال ابن شوذب: إنما سمي المهدي لأنه يهدي إلىٰ جبل من جبال الشام، يستخرج منه أسفار التوراة يحاج بها اليهود، فيسلم علىٰ يديه جماعة من اليهود)[1].

وكذلك لوجود الذكر الشريف للإمام المهدي عجل الله فرجه في هذه الكتب السماوية، كما روىٰ ذلك نعيم بن حماد المروزي في كتابه الفتن (حدثنا ضمرة عن ابن شوذب عن أبي المنهال عن أبي زياد سمعت كعباً يقول: إني أجد المهدي مكتوباً في أسفار الأنبياء، ما في عمله ظلم ولا عيب)[2].

وأيضاً إن من جملة ما يعزز حقيقة تمثل مفهوم ومصداق وراثة الأنبياء بالإمام المهدي عجل الله فرجه في جانب التشريع والعبادة، هو تكريم النبي عيسىٰ عليه السلام له بالصلاة خلفه، بعد نزوله من السماء، فروي عن أبي عبد الله الإمام

١. عقد الدرر في أخبار المنتظر – يوسف بن يحيىٰ المقدسي: ص٤١، الطبعة الأولىٰ – ١٣٩٩ هـ.

٢. الفتن – نعيم بن حماد المروزي: ص٢٢١، طبعة دار الفكر – ١٤١٤هـ.

الصادق عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: «ومنكم القائم يصلي عيسىٰ بن مريم خلفه إذا أهبطه الله إلىٰ الأرض من ذرية علي وفاطمة من ولد الحسين عليه السلام»[١]، وهذا المعنىٰ التعظيمي قد ورد أيضاً في كتب العامة في باب نزول عيسىٰ بن مريم وصلاته خلف المهدي، (فإنه، أي - عيسىٰ بن مريم - ينزل عند صلاة الصبح علىٰ المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيجد الإمام المهدي يريد الصلاة، فيحسن به، فيتأخر ليتقدم فيقدمه عيسىٰ عليه السلام، ويصلي خلفه، فأعظم به فضلاً وشرفاً لهذه الأُمة)[٢].

وأمّا الوراثة في جانب تطبيق منظومة القيم الإلهية العادلة والهادفة لبناء الإنسان واستقامته وتقويم المجتمع وإصلاحه، والتي اعتراها النكوص البشري والتراجع والاستغلال والظلم والفساد ومخالفة الشرع والأخلاق علىٰ مر حركة الأنبياء والتاريخ، فسيعمل الإمام المهدي عجل الله فرجه بوصفه الوريث العادل الصالح علىٰ تقويمها، وإشاعة العدل فيها منهجاً وسلوكاً بين الناس كافة، وهذا المعنىٰ القيم في شأن الإمام المهدي عجل الله فرجه ورد عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «... ويسوي بين الناس، حتىٰ لا ترىٰ محتاجاً إلىٰ الزكاة، ويجيء أصحاب الزكاة بزكاتهم إلىٰ المحاويج من شيعته، فلا يقبلونها، فيصرونها، ويدورون في دورهم، فيخرجون إليهم، فيقولون: لا حاجة لنا في دراهمكم» - إلىٰ أن قال: «ويجتمع إليه أموال أهل الدنيا كلها من بطن الأرض وظهرها، فيقال للناس: تعالوا إلىٰ ما قطعتم فيه الأرحام، وسفكتم فيه الدم الحرام، وركبتم فيه المحارم، فيعطي عطاء لم يعطه أحد قبله»[٣].

١. الكافي - الكليني: ج٨، ص٥٠ - الطبعة الثانية - طهران.
٢. فيض القدير شرح الجامع الصغير من أحاديث البشير النذير - المناوي: ج٦، ص٢٣، طبعة بيروت - ١٤١٥هـ.
٣. بحار الأنوار - المجلسي: ج٥٢، ص٣٩١، ط٣ - بيروت - ١٤٠٣ هـ.

وفي هذه الرواية تستظهر عدة معاني فاضلة وواعدة ينشدها جميع أهل الأديان، ومن أهمها إعادة تمثيل وتجسيد القيم الإلهية العادلة على مستوىٰ التشريع والتطبيق كما هو مطلوب واقعاً، خصوصاً في ما يتعلق بالبعد المالي والاقتصادي والمعاشي للناس عامة، وإعادة توزيع الثروات بعدل وإنصاف، تأميناً للاستقرار الفردي والنوعي في نظام الاجتماع العام والتعايش والتعاطي بين الناس.

المطلب الثاني: إعادة تشكيل منظومة الدين الإلهي الحق وإزالة الاختلاف بين الأديان:

لا شك ولا ريب في أن ظواهر الانحراف والاعوجاج والاختلاف في التعاطي والسلوك عند أهل الأديان السماوية تمثل حقيقة تاريخية وواقعية مشهودة في مختلف الحقب التي مرت بها، مما تحتاج إلىٰ معالجات جذرية شاملة علىٰ مستويات متعددة، في منظومات الأصول والفروع والأخلاق والمنهج.

وعندما يظهر الإمام المهدي عجل الله فرجه ويقيم دولته بالحق والعدل، ويظهر الدين الإسلام علىٰ الدين كله، يتصدىٰ لإعادة الدين الإلهي إلىٰ نصابه الأول، بعدما حل به من التحريف والبدع والاستغلال والزيغ والباطل والمخالفات، وقد بينت الروايات المعتبرة هذا الحراك الديني الإصلاحي العام المنشود في تطبيقاته القرآنية، فعن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام في قوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الأَرضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكاةَ وَأَمَرُوا بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ المُنْكَرِ وَلِلّهِ عاقِبَةُ الأُمُورِ﴾ (الحج: ٤١)، قال: «هذه [الآية] لآل محمد، المهدي وأصحابه، يملكهم الله مشارق الأرض ومغاربها، ويظهر الدين، ويميت الله عز وجل

به وبأصحابه البدع والباطل، كما أمات السفهة الحق، حتىٰ لا يرىٰ أثر من الظلم»[١].

وهذه العملية إنما ستكون بإخضاع المسارات والمواقف إلىٰ الهدىٰ والعدل والاستقامة، حتىٰ يتمكن الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف من بسط دولته ونظامه وفق كتاب الله سبحانه وسنن النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله، وإلىٰ هذا المعنىٰ أشار أمير المؤمنين علي عليه السلام في إحدىٰ خطبه، فقال ما نصه: «يعطف الهوىٰ علىٰ الهدىٰ، إذا عطفوا الهدىٰ علىٰ الهوىٰ، ويعطف الرأي علىٰ القرآن إذا عطفوا القرآن علىٰ الرأي»[٢].

ولن يقف حراك الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في عملية إعادة الدين الحق إلىٰ نصابه علىٰ مستوىٰ النظرية والمفاهيم والرؤىٰ، بل سيطال المستوىٰ العملي في تطبيقاته غير الموافقة لعقائد الدين فعلاً، بإزالة معالم الكفر والشرك والإلحاد والجهل والضلال، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام حينما سئل عن سيرة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف قال: «يصنع كما صنع رسول الله صلى الله عليه وآله، يهدم ما كان قبله كما هدم رسول الله صلى الله عليه وآله أمر الجاهلية، ويستأنف الإسلام جديداً»[٣].

وفي الرواية المأثورة عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، وفي مقطع منها، أنه قال: «فإذا اجتمع له العقد، وهو عشرة آلاف رجل، خرج فلا يبقىٰ في الأرض معبود دون الله عز وجل، من صنم ووثن وغيره، إلّا ووقعت فيه نار فاحترق، وذلك بعد غيبة طويلة، ليعلم الله من يطيعه بالغيب ويؤمن به»[٤].

١. البرهان في تفسير القرآن - السيد هاشم البحراني: ج٣، ص٨٩٣، تحقيق قسم الدراسات الإسلامية - مؤسسة البعثة - قم المقدسة.

٢. نهج البلاغة - تحقيق الدكتور صبحي الصالح: ص١٩٦، الطبعة الأولىٰ - بيروت ١٣٨٧ هـ.

٣. الغيبة - النعماني: ص٢٣٦، الطبعة: الأولىٰ - ١٤٢٢ هـ، قم المقدسة.

٤. الوافي - الفيض الكاشاني: ج٢، ص٤٦٥، منشورات مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام، العامة - أصفهان.

عن أبي عبد الله، الإمام جعفر الصادق عليه السلام، قال: «إذا قام القائم عليه السلام دعا الناس إلىٰ الإسلام جديداً، وهداهم إلىٰ أمر، قد دثر، فضل عنه الجمهور، وإنما سمي القائم مهدياً، لأنه يهدي إلىٰ أمر قد ضلوا عنه، وسمي بالقائم لقيامه بالحق»[١].

وفي المنظور الإصلاحي والتصحيحي المأثور والمنشود أن ما سيقوم به الإمام المهدي عجل الله فرجه من عملية تغييرية كبرىٰ وشاملة لإعادة الدين الإلهي الحق إلىٰ صورته المستقيمة الأولىٰ علىٰ مستوىٰ أصول الدين ومنظومات التكاليف والأخلاق والمنهج والحقوق، والتطبيقات العملية الصالحة والعادلة نظاماً وإدارة وتوزيعاً وإصلاحاً وقضاء وحكماً، سيسهم هذا كله في إنجاح مشروعه الرباني المنتظر، ويزيد من ارتفاع مستوىٰ تقبّل أهل الأديان السماوية الأخرىٰ له، وللإسلام، ويزيل الاختلاف عندهم، (روىٰ علي بن عقبة، عن أبي عبد الله، الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «إذا قام القائم عليه السلام، حكم بالعدل، وارتفع في أيامه الجور، وأمنت به السبل، وأخرجت الأرض بركاتها، ورد كل حق إلىٰ أهله، ولم يبق أهل دين حتىٰ يظهروا الإسلام ويعترفوا بالإيمان، أما سمعت الله تعالىٰ يقول: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]، وحكم بين الناس بحكم داود وحكم محمد عليهما السلام»[٢].

ويظهر من تتبع بعض الروايات المأثورة والمتكاثرة في هذا الجانب، جانب إعادة الدين الإلهي الحق إلىٰ نصابه الأول، أن التصحيح والتقويم سيكون بمعية ومشاركة النبي عيسىٰ عليه السلام وتعاضده بنحو متآزر مع الإمام

١. الإرشاد – المفيد: ج٢، ص٣٨٣، الطبعة الثانية – ١٤١٤هـ – بيروت.

٢. الإرشاد – المفيد: ج٢، ص٣٨٤، الطبعة الثانية – ١٤١٤هـ – بيروت.

المهدي عجل الله فرجه، فروىٰ الحسين بن مسعود في شرح السنة، بإسناده عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، فيفيض المال، حتىٰ لا يقبله أحد»، ثم قال: قوله «يكسر الصليب» يريد إبطال النصرانية، والحكم بشرع الإسلام، ومعنىٰ قتل الخنزير تحريم اقتنائه وأكله وإباحة قتله، وفيه بيان أن أعيانها نجسة، لأن عيسىٰ إنما يقتلها علىٰ حكم شرع الإسلام، والشيء الطاهر المنتفع به لا يباح إتلافه، وقوله «ويضع الجزية» معناه أنه يضعها من أهل الكتاب ويحملهم علىٰ الإسلام)[1].

ومن الواضح هنا في هذه الرواية التي تحكي دور النبي عيسىٰ عليه السلام في إطار التصحيح الديني المتآزر، أن الإصلاح سيبدأ بالعقيدة النصرانية وإعادتها لنصابها المستقيم، وذلك بإلغاء ورفض عقيدة القتل والصليب المزعوم، والتي هي شبهة موهومة وقعت في وقت رفعه إلىٰ السماء، وأصروا عليها، وقد نفاها القرآن الكريم نصاً في آياته الشريفة في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً ﴿١٥٨﴾ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ (النساء: ١٥٧-١٥٩).

وكذلك سيطال الإصلاح جانب التشريع، وسيحرم أكل لحم الخنزير عندهم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ

١. بحار الأنوار - المجلسي: ج٥٢، ص٣٨٣، ط٣، بيروت - ١٤٠٣ هـ.

وَمـا أُهِـلَّ بِـهِ لِغَـيْرِ اللهِ فَمَـنِ اضْطُـرَّ غَـيْرَ بـاغٍ وَلا عادٍ فَـلا إِثْـمَ عَلَيْـهِ إِنَّ اللهَ غَفُـورٌ رَحِيـمٌ﴾ (البقـرة: ١٧٣).

وأمّـا بالنسـبة إلىٰ أتبـاع الديانـة اليهوديـة وموقفهـم مـن عمليـة الإصـلاح الدينـي، فالروايـات المأثـورة تذكرهـم عـلىٰ أصنـاف متعـددة في تعاطيهـم مـع حركـة الإمـام المهـدي عجل الله فرجه العامـة والشـاملة:

الصنـف الأول: صنـف يعلـن إسـلامه عـلىٰ يديـه عجل الله فرجه عندمـا يظهـر لهـم نسـخة التـوراة الأصليـة، ويحاججهـم بهـا ويغلبهـم معرفيـاً بإقامـة الحجـة عليهـم، ومـر آنفـاً ذكـر روايـة بهـذا الصـدد، وكذلـك يظهـر لهـم تراثهـم الدينـي، والـذي يعتقـدون بـه يقينـاً، وفي المأثـور الروائـي مـن طـرق العامـة (عـن سـليمان بن عيسـىٰ قـال قـد بلغنـي أنـه عـلىٰ يـدي المهـدي يظهـر تابـوت السـكينة مـن بحـيرة الطبريـة، حتـىٰ يحمـل فيوضـع بـين يديـه ببيـت المقـدس، فـإذا نظـرت إليـه اليهـود أسـلمت إلا قليـلا منهـم...)[١].

الصنـف الثـاني: صنـف يؤمـن بالسـيد المسـيح عيسـىٰ عليه السلام بعـد نزولـه مـن السـماء إلىٰ الأرض، وقبـل موتـه، كـما يظهـر مـن تفسـير بعـض الآيـات القرآنيـة الشريفـة والروايـات المأثـورة، والتـي سـنذكرها في ثنايـا البحـث.

الصنـف الثالـث: صنـف يدخـل الإمـام المهـدي عجل الله فرجه في قتـال معهـم، فعـن رسـول الله صلى الله عليه وآله، قـال: «لا تقـوم السـاعة حتـىٰ تقاتلـوا اليهـود حتـىٰ يقـول الحجـر وراءه اليهـودي يـا مسـلم هـذا يهـودي ورائـي فاقتلـه»[٢].

وكذلـك مـن يتبعـون الدجـال وحركتـه الضالـة، ويناصرونـه ضـد حركـة الإمـام المهـدي عجل الله فرجه، والدجـال رجـل يهـودي بحسـب المأثـور الروائـي الشـهير،

١. الفتن – نعيم بن حماد المروزي: ص٢٢٠، ط، دار الفكر – ١٤١٤هـ.

٢. صحيح البخاري: ج٣، ص٢٣٢، ط، دار الفكر – ١٤٠١هـ.

وقد يكون حركة أو تياراً دينياً ضالاً، يسهم في إضلال الناس وحرفهم وغوايتهم، فعن أبي جعفر الإمام الباقر عليه السلام قال: «يا خيثمة سيأتي على الناس زمان، لا يعرفون الله ما هو والتوحيد، حتى يكون خروج الدجال، وحتى ينزل عيسى بن مريم عليه السلام، من السماء، ويقتل الله الدجال على يديه...»[١]، أي يكون قتله على يد النبي عيسى عليه السلام: (عن مجمع بن جارية أن النبي [صلى الله عليه وآله] قال: الدجال يقتله عيسى بن مريم على باب اللد)[٢].

وفي المحصلة العقائدية والعملية من مجمل حراك الإصلاح الديني على يد الإمام المهدي عجل الله فرجه وتآزر النبي عيسى عليه السلام معه، يتأكد أن دين الله تعالى الإسلام سيكون هو الدين الحق الغالب والظاهر على الدين كله في الأرض بأصوله وفروعه المستقيمة ومنظومات أخلاقه وحقوقه ومناهجه، وعن (تفسير العياشي: عن رفاعة بن موسى قال: سمعت أبا عبد الله، الإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٤]، قال: «إذا قام القائم لا يبقى أرض إلّا نودي فيها شهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله»[٣].

بحيث تصير الملل كلها ملة واحدة، وهي ملة الإسلام الحنفية، وهذا المعنى العقائدي الموعود قد أشار إليه القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الكِتابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ القِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً﴾ (النساء: ١٥٩)، وبينه الشيخ الطبرسي بقوله: (أي: ليس يبقى أحد من أهل الكتاب، من اليهود والنصارى، إلّا ويؤمنن بالمسيح، قبل موت المسيح،

١. بحار الأنوار - المجلسي: ج١٤، ص٣٤٩، ط٣- بيروت - ١٤٠٣هـ.

٢. معجم أحاديث الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف - الشيخ علي الكوراني: ج١، ص٥٤٤، ط١، ١٤١١هـ - مؤسسة المعارف الإسلامية.

٣. بحار الأنوار - المجلسي: ج٥٢، ص٣٤٠، ط٣، بيروت، ١٤٠٣هـ.

إذا أنزله الله إلىٰ الأرض، وقت خروج المهدي، في آخر الزمان، لقتل الدجال، فتصير الملل كلها ملة واحدة، وهي ملة الإسلام الحنيفية، دين إبراهيم، عن ابن عباس، وأبي مالك، والحسن، وقتادة، وابن زيد، وذلك حين لا ينفعهم الإيمان، واختاره الطبري قال: والآية خاصة لمن يكون منهم في ذلك الزمان)[1].

علىٰ أنه لا يخفىٰ أن مفاد بعض الروايات علىٰ حكمه ﷺ لأهل التوراة بتوراتهم وأهل الإنجيل بإنجيلهم دالة علىٰ جواز تعدد الأديان في زمانه ﷺ وإن كان في دائرة ضيقة من حكمه ﷺ هو أوائل ظهوره.

المحور الثاني: أحداث الظهور ليست خاصة بدين معين - الحراك التغييري العام ومجرياته:

ويشتمل هذا المحور علىٰ عدة مطالب:

المطلب الأول: شواهد علىٰ عمومية وعالمية أحداث الظهور:

من المعلوم - وبحسب المنظور الروائي المشهور والموثوق - أن أحداث الظهور المهدوي الشريف لا تختص بدين دون آخر، أو بمكان دون غيره، أو بأمة دون أخرىٰ، فهي أحداث عامة وشاملة، تستهدف إصلاح الأوضاع البشرية كافة في الأرض قاطبة، في شتىٰ مفاصل الحياة الدينية والدنيوية.

وهذه الأحداث البارزة والملفتة للنظر في وقتها تكون علىٰ قدر عال وكبير من الأهمية، بحيث تستدعي انتباه الناس عامة إليها، وتحديد المواقف والخيارات منها، خاصة وأن لها علاقة بالتاريخ الديني العقائدي الموعود والمنتظر عند جميع أهل الأديان السماوية، ودورها في صناعة المستقبل البشري القويم.

١. مجمع البيان في تفسير القرآن - الشيخ الطبرسي: ج٣، ص٢٣٦، منشورات مؤسسة الأعلمي، ط١، ١٤١٥هـ.

ومن أبرز هذه الأحداث العالمية نزول النبي عيسىٰ بن مريم عليه السلام من السماء إلىٰ الأرض، والذي هو أمر مجمع عليه ومشهور عند علماء الخاصة والعامة في الإسلام، وإن نزوله يتزامن مع ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه في آخر الزمان، بحسب المأثور الروائي، قال القندوزي: وصح مرفوعاً: «ينزل عيسىٰ بن مريم، فيقول أميرهم المهدي: تعال صلِّ بنا، فيقول: لا، إنَّما بعضكم أئمة علىٰ بعض، تكرمة من الله لهذه الأُمَّة»[١].

وقد ذكر الشيخ الطبرسي النوري هذا الأمر الاعتقادي المشهور، وقال: (المشهور بين علماء الخاصة والعامة بقاؤه - أي النبي عيسىٰ عليه السلام -، في السماء حيا بحياة الأرض، وقد رفع حياً إلىٰ السماء، ولم يمت ولا يموت إلىٰ آخر الزمان، فينزل ويصلي خلف المهدي (صلوات الله عليه)، ويكون وزيره، والأخبار في ذلك كثيرة)[٢].

إن المستظهر من مجمل الروايات المعتبرة في شأن نزول النبي عيسىٰ عليه السلام، - بل وحتىٰ من دلالات وتفسير بعض الآيات القرآنية الخاصة بذلك - هو أن للنبي عيسىٰ عليه السلام أدواراً محفوظة ومدخرة ليوم الظهور الشريف، ومن أجلاها:

أولاً: دور الوزير والمساعد في التصديق بدعوة الإمام المهدي عجل الله فرجه والتآزر الوثيق معه في عملية إصلاح الأديان السماوية، والتكريم والتقدير لإمامة وشخص الإمام المهدي بالصلاة خلفه، وتقديمه علىٰ نفسه، كنبي معصوم من أنبياء أولي العزم.

روىٰ السيد ابن طاووس في كتابه (الملاحم والفتن) عن شريح بن عبيد

١. ينابيع المودة لذوي القربىٰ للقندوزي: ج٣، ص٣٤٣.

٢. النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب عجل الله فرجه - الشيخ حسين الطبرسي النوري: ج٢، ص٣٥٠ - إعداد مركز الأبحاث العقائدية.

عن كعب، قال: يهبط المسيح، عيسىٰ بن مريم عند القنطرة البيضاء علىٰ باب دمشق الشرقي إلىٰ طرف الشجر، تحمله غمامة، واضع يديه علىٰ منكب ملكين، عليه ريطتان مؤتزر بإحداهما مرتد بالأخرىٰ، إذا أكب رأسه يقطر منه كالجمان، فيأتيه اليهود فيقولون: نحن أصحابك، فيقول: كذبتم، ثم يأتيه النصارىٰ فيقولون: نحن أصحابك، فيقول: كذبتم، بل أصحابي: المهاجرون بقية أصحاب الملحمة، فيأتي مجمع المسلمين حيث هم، فيجد خليفتهم يصلي بهم، فيتأخر للمسيح حين يراه، فيقول: يا مسيح الله صلِّ بنا، فيقول: بل أنت فصلِّ بأصحابك، فقد رضي الله عنك، فإنما بعثت وزيراً، ولم أبعث أميراً، فيصلي بهم خليفة المهاجرين ركعتين مرة واحدة وابن مريم فيهم - وقال في حديث آخر بإسناده عن حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وآله: فيهبط عيسىٰ، فيرحب به الناس، ويفرحون بنزوله لتصديق حديث رسول الله [صلى الله عليه وآله]، ثم يقول للمؤذن: أقم الصلاة، ثم يقول له الناس: صلِّ بنا، فيقول: انطلقوا إلىٰ إمامكم فليصلِّ بكم، فإنه نعم الإمام، فيصلي بهم إمامهم، فيصلي معهم عيسىٰ)[1].

وإن صلاة النبي عيسىٰ عليه السلام خلف الإمام المهدي عجل الله فرجه أمر متواتر روائياً، وقد صرَّح بهذا الأمر علىٰ نحو التواتر والاستفاضة ابن حجر الهيتمي المكي، حيث قال: (قال أبو الحسن الآبري قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفىٰ بخروجه - خروج المهدي عجل الله فرجه - وأنه من أهل بيته، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأنه يخرج مع عيسىٰ علىٰ نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام، فيساعده علىٰ قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين، وأنه يؤم هذه

١. التشريف بالمنن في التعريف بالفتن - السيد ابن طاووس: ص١٧٤-١٧٥، ط١، أصفهان، ١٤١٦هـ.

الأُمة، ويصلّي عيسىٰ خلفه - وما ذكره من أن المهدي يصلي بعيسىٰ هو الذي دلت عليه الأحاديث، كما علمت)[١].

وكذلك صرح به أيضاً الشيخ القندوزي الحنفي، وقال: (وقد تواترت الأخبار عن النبي صلى الله عليه وآله بخروج المهدي، وأنه من أهل بيته، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأنه يساعد عيسىٰ عليه السلام، علىٰ قتل الدجال بباب لد بأرض فلسطين، وأنه يؤم هذه الأُمة ويصلي عيسىٰ خلفه)[٢].

ثانياً: دور الحكم المقسط:

فإن النبي عيسىٰ عليه السلام سيساهم في رفع الاختلاف وإزالة الانحراف عند أهل الأديان والملل، وخصوصاً أهل الإنجيل، وإعادة ترتيب الوضع التشريعي والمعاشي لهم، كما ورد ذلك في مأثور العامة، فروي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم (صلىٰ الله عليه وسلم) حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتىٰ لا يقبله أحد)[٣].

ثالثاً: دور الآية الإلهية:

فكونه آية تدفع الناس كافة في وقتها إلىٰ الإيمان به والتصديق له، ولمن يتابعه ويدعو إليه، ويصلي خلفه، أي الإمام المهدي عجل الله فرجه، وهذا هو ما حدّث به الإمام محمد الباقر عليه السلام، وقال: «إن عيسىٰ ينزل قبل يوم القيامة إلىٰ الدنيا،

---

١. الصواعق المحرقة في الرد علىٰ أهل البدع والزندقة - أحمد بن حجر الهيتمي المكي: ص١٦٧، ط٢، ١٣٨٥هـ، مكتبة القاهرة.

٢. ينابيع المودة لذوي القربىٰ - القندوزي الحنفي: ج٣، ص٣٤٥، ط١، دار الأسوة للطباعة والنشر.

٣. المحلىٰ - ابن حزم الأندلسي: ج٧، ٣٩١، طبعة دار الفكر.

فلا يبقىٰ أهل ملة، يهودي، ولا غيره، إلّا آمن به قبل موته، ويصلي خلف المهدي»[١]، وهذا ما يعزز دوره عليه السلام في ترسيخ الاعتقاد الحق بالإسلام ديناً وحاكماً ونظاماً.

رابعاً: إن تآزر النبي عيسىٰ عليه السلام مع الإمام المهدي عجل الله فرجه في وقت الظهور هو شكل من أشكال الاجتماع والتواصل الديني الإلهي بين القيادات المعصومة عند أهل الأديان السماوية كافة، تحت جامع الاشتراك في الأصول العقائدية الأولىٰ والمستقيمة، كعقيدة التوحيد والنبوة والعدل والإمامة والمعاد، وتعزيز أبعاد التصحيح الديني عملياً، والتقارب الثقافي والتعارف الاجتماعي، والقبول العقائدي والتشريعي، والتعاون في نصرة محاور وقوىٰ الإيمان والعدل والحق والخير والإصلاح، والتواصل بين أجيال وأتباع الديانات الإلهية بما يجمعهم وينفعهم في طريقة تعايشهم وامتثال تكاليفهم وعلاقاتهم ببعضهم بعضاً.

وتعريف أهل الأديان السماوية كافة بمقام الإمام المهدي عجل الله فرجه وأهل البيت المعصومين عليهم السلام، وأنهم أفضل من جميع الأنام ومتقدمون علىٰ غيرهم.

وهذا المعنىٰ القيم أشار إليه الشيخ الفقيه المتكلم الجليل أبو الفتح الكراجكي، المتوفىٰ في سنة (٤٤٩ هـ ق) في كتابه (التفضيل)، حيث قال: (ومما نقلته الشيعة وبعض محدثي العامة أن المهدي (صلىٰ الله عليه)، إذا ظهر أنزل الله تعالىٰ المسيح عليه السلام فإنهما يجتمعان، فإذا حضرت صلاة الفرض، قال المهدي للمسيح: تقدم يا روح الله، يريد تقدم للإمامة، فيقول المسيح: أنتم أهل بيت لا يتقدمكم أحد، فيتقدم المهدي عليه السلام، ثم يصلي المسيح خلفه (صلىٰ الله

١. بحار الأنوار – المجلسي: ج٩، ص١٩٥، ط٢، ١٤٠٣ هـ، بيروت.

عليهما)، وهذه شاهدة من المسيح عليه السلام بأن أهل البيت عليهم السلام أفضل من جميع الأنام)[١].

المطلب الثاني: موقف أهل الأديان السماوية في معارك الظهور:

مرَّ في بعض المطالب المتقدمة أن موقف أهل الأديان السماوية من حركة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ومشروعه الإصلاحي الشامل، يكون على أصناف عدة، فمنهم من يعلن إسلامه ويؤمن به كأتباع السيد المسيح عيسى عليه السلام وبعض اليهود، ومنهم من يقف ضده، كما في موقف بعض آخر من اليهود، والذين يقاتلونه في معركة تحرير القدس، كما سيأتي بيان ذلك.

وبحسب المأثور الروائي تتوزع معارك الظهور وفق جغرافية البلدان والأُمم والشعوب آنذاك، وهذه المعارك تكون بعد مدة من استقرار الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في العراق، وتثبيت دعائم قيامه وحراكه، وكذلك انضواء بعض البلدان الإسلامية كالحجاز واليمن وإيران وغيرها تحت حكمه، كما تشير الروايات إلى ذلك[٢]، ونذكر بعض المعارك منها، كالآتي:

أولاً: معركة فتح بلاد الروم[٣] والقسطنطينية[٤] - وهذه المعركة من

---

١. التفضيل - أبو الفتح الكراجكي: ص٢٤، طبعة مؤسسة أهل البيت عليهم السلام، ١٤٠٣هـ، طهران.

٢. ينظر عصر الظهور - الشيخ علي الكوراني: ص١٣، ط١١ منقحة ومزيدة.

٣. المقصود بالروم في الأحاديث الواردة عن آخر الزمان وظهور المهدي عجل الله فرجه الشريف: الشعوب الأوربية وامتدادهم في القرون الأخيرة في أمريكا، فهؤلاء هم أبناء الروم، وورثة أمبراطوريتهم التاريخية، ينظر عصر الظهور - الشيخ علي الكوراني العاملي: ص٣١، ط١١، منقحة ومزيدة.

٤. إنما سميت القسطنطينية لأنها نسبت إلى منشئها، وهو قسطنطين الملك، وهو أول من أظهر دين النصرانية.

وهي تقع على خليج يصب في البحر الرومي، وهي متصلة ببلاد رومية والأندلس - أما رومية فهي أم بلاد الروم. ينظر كتاب عقد الدرر في أخبار المنتظر - يوسف بن يحيى المقدسي الشافعي من علماء القرن السابع الهجري: ص١٧٣، ط١، ١٣٩٩هـ، القاهرة.

المعارك المشهورة، وقد ذكرها ورواها المقدسي الشافعي في كتابه عقد الدرر في أخبار المنتظر في باب فتوحات الإمام المهدي عجل الله فرجه عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في قصة المهدي وفتوحاته ورجوعه إلىٰ دمشق، قال: «ثم يأمر المهدي عليه السلام بإنشاء مراكب، فينشئ أربعمائة سفينة في ساحل عكا، وتخرج الروم في مائة صليب، تحت كل صليب عشرة آلاف، فيقيمون علىٰ طرسوس ويفتحونها بأسنة الرماح، ويوافيهم المهدي عليه السلام، فيقتل من الروم حتىٰ يتغير ماء الفرات بالدم، وتنتن حافتاه بالجيف، وينهزم مَن في الروم، فيلحقون بأنطاكية.

وينزل المهدي علىٰ قبة العباس حذو كفرطورا، فيبعث ملك الروم يطلب الهدنة من المهدي، ويطلب المهدي منه الجزية، فيجيبه إلىٰ ذلك، غير أنه لا يخرج من بلد الروم أحد، ولا يبقىٰ في بلد الروم أسير إلّا خرج.

ويقيم المهدي بأنطاكية سنته تلك، ثم يسير بعد ذلك ومن تبعه من المسلمين، لا يمرون علىٰ حصن من بلد الروم، إلّا قالوا عليه: لا إله إلّا الله، فتتساقط حيطانه، وتقتل مقاتلته، حتىٰ ينزل علىٰ القسطنطينية، فيكبرون عليها تكبيرات...»[1].

إن هذه الرواية تنص صراحة علىٰ أن دين بلاد الروم هو المسيحية، بدليل حملهم الصليب، وبملاحظة عدة روايات يظهر أن هذه المعركة إنما تحدث بسبب الهجمات والاعتداءات من قبل بلاد الروم ضد المسلمين ودولتهم عند ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه.

١. عقد الدرر في أخبار المنتظر - يوسف بن يحيىٰ المقدسي الشافعي من علماء القرن السابع الهجري: ص١٩٠، ط١، ١٣٩٩هـ- القاهرة.

وتكون بعدها هدنة بين الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف وملك الروم، يتم فيها دفع الجزية للإمام، وترتيب عملية استكمال فتح القسطنطينية بشكل كامل عن طريق الصلح والدعوة للتسليم وقبول الحق المتمثل بالدين الإلهي الإسلامي.

ففي الرواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «ويبعث جندا إلىٰ القسطنطينية، فإذا بلغوا الخليج كتبوا علىٰ أقدامهم شيئاً ومشوا علىٰ الماء، فإذا نظر إليهم الروم يمشون علىٰ الماء قالوا: هؤلاء أصحابه يمشون علىٰ الماء، فكيف هو؟! فعند ذلك يفتحون لهم أبواب المدينة، فيدخلونها، فيحكمون فيها ما يريدون»[1].

ومعنىٰ ذلك أن أهل القسطنطينية يسلمونها للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف دون قتال.

ثانياً: معركة فتح القدس الشريف، والتي من خلالها يتم تحرير مدينة القدس الشريف من سيطرة الغزاة والغاصبين اليهود، علىٰ يد الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، وبمشاركته بنفسه الشريفة وإشرافه المباشر علىٰ جيوش الفتح، بحسب المأثور الروائي عن أمير المؤمنين علي عليه السلام في رواية طويلة مفصلة، نذكر منها محل الشاهد، حيث قال: «ثم يتوجه المهدي من مدينة القاطع إلىٰ القدس الشريف، بألف مركب، فينزلون شام فلسطين بين عكا وصور وغزة وعسقلان، فيخرجون ما معهم من الأموال، وينزل المهدي بالقدس الشريف، ويقيم بها إلىٰ أن يخرج الدجال، وينزل عيسىٰ بن مريم عليه السلام، فيقتل الدجال»[2].

ولهذه المعركة الحاسمة آثار كبيرة بالنسبة إلىٰ أهل الأديان السماوية وغيرهم آنذاك، بحيث تضعهم أمام خيار الطاعة والتسليم للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

١. الغيبة - النعماني: ص٣٣٤، ط١، ١٤٢٢هـ، منشورات أنوار الهدىٰ - إيران - قم المقدسة.

٢. عقد الدرر في أخبار المنتظر - يوسف بن يحيىٰ المقدسي الشافعي: ص٢٠١، من علماء القرن السابع الهجري - ط١، ١٣٩٩هـ - القاهرة.

طوعاً، وتسليم القدس الشريف إليه، ففي الرواية عن الإمام علي عليه السلام: «ويسير المهدي حتىٰ ينزل بيت المقدس، وتنقل إليه الخزائن، وتدخل العرب والعجم وأهل الحرب والروم وغيرهم في طاعته من غير قتال»[١].

وأمّا بالنسبة إلىٰ اليهود وموقفهم في هذه المعركة هو الهزيمة النكراء، وانتهاء دورهم الديني والعسكري والسياسي والفكري علىٰ يد الإمام المهدي عجل الله فرجه وجيوشه، وإخراجهم من فلسطين وبلاد العرب، كما في الرواية المأثورة عن عباية الأسدي، قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام وهو متكئ، وأنا قائم عليه: «لأبنينَّ بمصر منبراً، ولأنقضن دمشق حجراً حجراً، ولأخرجن اليهود والنصارىٰ من كل كور العرب ولأسوقن العرب بعصاي هذه»، قال: قلت له: يا أمير المؤمنين كأنك تخبر أنك تحيىٰ بعد ما تموت؟ فقال: «هيهات يا عباية ذهبت في غير مذهب يفعله رجل مني»[٢]،[٣].

وكذلك ورد في بعض الروايات المأثورة أن بعضاً من اليهود ممن يناصرون الدجال ضد الإمام المهدي عجل الله فرجه ستكون نهايتهم وهزيمتهم علىٰ يد النبي عيسىٰ عليه السلام، كما روىٰ ابن ماجة في سننه: (فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، وينطلق هارباً، ويقول عيسىٰ عليه السلام: إن لي فيك ضربة لن تسبقني بها، فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله، فيهزم الله اليهود)[٤].

١. كنز العمال – المتقي الهندي: ج١٤، ص٥٨٩.

٢. المقصود الإمام المهدي عجل الله فرجه بقرينة (مني) وحتمية الوعد الإلهي بالقضاء علىٰ اليهود وهزيمتهم، كما ورد ذلك في القرآن الكريم وروايات المعصومين عليهم السلام.

٣. بحار الأنوار – المجلسي: ج٥٣، ص٦٠، ط٣- بيروت – ١٤٠٣هـ.

٤. سنن الحافظ أبىٰ عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجة (٢٠٧ – ٢٧٥ هـ)، ج٢، ص١٣٦١ – طبعة دار الفكر.

المطلب الثالث: رجعة أهل الكهف ودورهم مع الإمام المهدي عجل الله فرجه:

إن قصة أهل الكهف من القصص التاريخية الراشدة والفاعلة عقائدياً وسلوكياً، والتي وردت في سورة الكهف مفصلة في القرآن الكريم، إذ إنها حكت دور فتية آمنوا بربهم وزادهم هدىٰ، وحدث ما حدث معهم، مما هو معروف، وفيه جانب الإعجاز الإلهي الحكيم.

وتنص الروايات علىٰ حقيقة رجعة أهل الكهف في آخر الزمان عند خروج الإمام المهدي عجل الله فرجه، وتعلل رجعتهم بأنهم سيكونون له أعواناً وأنصاراً وحكاماً، ومتابعين للسيد المسيح عيسىٰ بن مريم عليه السلام عند نزوله أيضاً.

فقد ورد في الرواية عن أبي عبد الله الإمام جعفر الصادق عليه السلام قال: «يخرج مع القائم عليه السلام من ظهر الكوفة سبع وعشرون رجلاً، خمسة عشر من قوم موسىٰ عليه السلام، الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون، وسلمان، وأبو دجانة الأنصاري، والمقداد، ومالك الأشتر، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً»[1].

وهذه الرواية صريحة في بيان دور أهل الكهف بعد رجعتهم عند خروج الإمام المهدي عجل الله فرجه في نصرته، وفي إدارة الأقاليم والبلدان التي تفتح بمشاركتهم.

وذكر أيضاً القندوزي الحنفي في ينابيع المودة: (وجاء في روايات: أنه عند ظهوره ينادي فوق رأسه ملك: هذا المهدي خليفة الله فاتبعوه، فيذعن له الناس، ويشربون حبه، وأنه يملك الأرض شرقها وغربها، وأن الله تعالىٰ يمده بثلاثة آلاف من الملائكة، وأن أهل الكهف من أعوانه...)[2].

---

١. الإرشاد - المفيد: ج٢، ص٣٨٦، ط٢، ١٤١٤هـ - تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث - دار المفيد.

٢. ينابيع المودة لذوي القربىٰ - القندوزي الحنفي: ج٣، ص٣٤٤، ط١، دار الأسوة للطباعة والنشر.

ومن المأثور أن دور أهل الكهف لا يقتصر في الرجعة على نصرة وإعانة الإمام المهدي عجل الله فرجه وإدارة البلدان بين يديه، بل سيكون لهم دور مع النبي عيسى عليه السلام بمتابعته والمشي خلفه، أو ما يمكن التعبير عنه بالالتزام بمنهجه اعتقاداً وسلوكاً في عملية الإصلاح الديني لدين النصارى ومناصرة الإمام المهدي عجل الله فرجه في إقامة دولته الحقة العادلة، ونشر الأمن والسلام في ربوع الأرض، كما تصور هذا المعنى بعض الروايات، روى عمر بن إبراهيم الأوس في كتابه عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «ينزل عيسى بن مريم عليه السلام، عند انفجار الصبح ما بين مهرودين، وهما ثوبان أصفران من الزعفران، أبيض الجسم، أصهب الرأس، أفرق الشعر، كأن رأسه يقطر دهناً، بيده حربة، يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويهلك الدجال ويقبض أموال القائم، ويمشي خلفه أهل الكهف، وهو الوزير الأيمن للقائم، وحاجبه ونائبه، ويبسط في المغرب والمشرق الأمن من كرامة الحجة بن الحسن عليه السلام»[1].

المحور الثالث: آليات الحكم المهدوي والتطبيقات الدينية في دولته - نموذج من التعامل الديني مع الأديان السماوية - الشمول والمكتسبات:

ويشتمل هذا المحور على مطلبين:

المطلب الأول: شمولية الأحكام الإسلامية للأديان الأخرى - ونموذج الحكم بحكم داود عليه السلام:

تدل الروايات المعتبرة على أن الإمام المهدي عجل الله فرجه إذا ظهر، وأقام دولته العادلة الحقة، يبعث من رجاله قضاة وحكاماً إلى أقطار العالم لنشر العدل

١. غاية المرام - السيد هاشم البحراني: ج٧، ص٩٣، تحقيق العلامة السيد علي عاشور.

بينها، وأحكام الإسلام الأصيلة فيها، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام أنه قال: «إذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض في كل إقليم رجلاً يقول: عهدك في كفك، فإذا ورد عليك أمر لا تفهمه، ولا تعرف القضاء فيه، فانظر إلىٰ كفك، واعمل بما فيها»[١].

وتجدر الإشارة إلىٰ أن عبارة «وعهدك في كفك» تبيَّن أن هؤلاء الرجال الحكام علماء وفقهاء، وسيكون بيدهم دستور مكتوب ومدون فيه أحكام الدين الإلهي القيم والغالب يؤمئذٍ، والصالح والشامل لجميع أهل الأديان السماوية تشريعاً وقضاء وعملاً، فضلاً عن الاعتقاد به وقبوله.

وإن من أولويات الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف وهؤلاء الحكام هو الحكم بالعدل ودفع الظلم، وتأمين سبل التعايش العام بين الأُمم والشعوب، وإصلاح الأوضاع الاقتصادية والمالية والقانونية والعقائدية عند جميع أهل الأديان السماوية، وتعميم أحكام الإسلام العزيز بينهم، تطبيقاً وسلوكاً، مما تكون مدعاة لاعتناق الإسلام ديناً والإيمان به اعتقادا عند الجميع، كما ذكرت ذلك بعض الروايات المأثورة، روىٰ علي بن عقبة، عن أبيه قال: (إذا قام القائم عليه السلام، حكم بالعدل، وارتفع في أيامه الجور، وأمنت به السبل، وأخرجت الأرض بركاتها، ورد كل حق إلىٰ أهله، ولم يبق أهل دين حتىٰ يظهروا الإسلام ويعترفوا بالإيمان، أما سمعت الله تعالىٰ يقول: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالأَرضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]، وحكم بين الناس بحكم داود وحكم محمد عليهما السلام، فحينئذٍ تظهر الأرض كنوزها، وتبدي بركاتها، فلا يجد الرجل منكم يومئذ موضعا لصدقته، ولا لبره، لشمول الغنىٰ جميع المؤمنين)[٢].

١. الغيبة - النعماني: ص٣٣٤، ط١، ١٤٢٢هـ - منشورات أنوار الهدىٰ - إيران - قم المقدسة.

٢. الإرشاد - المفيد: ج٢، ص٣٨٥، ط٢، ١٤١٤هـ - تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث - دار المفيد.

وببيان الدين الإلهي الإسلامي الحق بين أقاليم الأرض وإقامة العدل فيها، يرتفع الاختلاف بين أهل الأديان والملل، وتتوحد كلمتهم العقائدية في أصول الدين المستقيم الجامع للأديان السماوية توحيداً لله تعالىٰ وإيماناً به، وطاعة له وتسليماً.

ولا ينافي ذلك الشمول والتعميم للدين الإلهي الإسلامي لجميع أهل الأديان السماوية، كونهم أتباع كتب إلهية منزلة من السماء علىٰ أيدي أنبيائهم السابقين، وأنها ستستخرج علىٰ يد الإمام المهدي عجل الله فرجه عند ظهوره، وسيحكم بينهم فيها، كما رود في الرواية عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: «فإنما سمي المهدي، لأنه يهدي لأمر خفي، يستخرج التوراة، وسائر كتب الله من غار بأنطاكية، فيحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل الفرقان بالفرقان...»[١].

وقد أجاب العلامة المجلسي (طاب ثراه) عن هذه المنافاة المدعاة، بقوله: (لأن هذا - أي الحكم بينهم بكتبهم آنذاك - محمول علىٰ أنه يقيم الحجة عليهم بكتبهم، أو يفعل ذلك في بدو الأمر قبل أن يعلو أمره، ويتم حجته)[٢].

وكونهم أهل كتب سماوية منزلة أيضاً لا ينافي ولا يمنع من عرض الإمام المهدي عجل الله فرجه الإسلام الحق عليهم أو حملهم عليه، بالغلبة العسكرية والبرهانية والعلمية والمعرفية وحتىٰ الإعجازية، وهو معنىٰ الإظهار الموعود للدين في آخر الزمان، حتماً مقضياً في آيات القرآن الكريم، كما في قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدىٰ وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ

١. بحار الأنوار - المجلسي: ج٥١، ص٢٩، ط٣- بيروت - ١٤٠٣هـ.
٢. المصدر السابق.

المُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣ - الصف: ٩)، ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدىٰ وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفىٰ بِاللهِ شَهِيداً﴾ (الفتح: ٢٨).

فموقف أهل الأديان السماوية من اليهود والنصارىٰ وغيرهم في نهاية المطاف يتحدد بقبول الإسلام اعتقاداً بعد إظهار الإمام المهدي عجل الله فرجه له في أقاليم الأرض قاطبة، كما ورد ذلك في التفسير المأثور لقوله تعالىٰ: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ عن ابن عباس، الذي قال: أكثر ما قلت في التفسير مأخوذ عن أمير المؤمنين عليه السلام، قال: «لا يكون ذلك حتىٰ لا يبقىٰ يهودي ولا نصراني، ولا صاحب ملة إلّا صار إلىٰ الحق، الإسلام، حتىٰ تأمن الشاة والذئب، والبقرة والأسد، والإنسان والحية، حتىٰ لا تقرض الفأرة جراباً، وحتىٰ توضع الجزية، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، وهو قوله تعالىٰ: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ﴾، وذلك يكون عند قيام القائم عليه السلام»[١].

وتشير الروايات المأثورة إلىٰ أن الإمام المهدي عجل الله فرجه سيحكم بين الناس من جميع أهل الأديان السماوية كافة بالأحكام الواقعية الموافقة لجعل الله تعالىٰ وتشريعه، والتي يلهمها إياه سبحانه، ويحكم بعلمه اللدني، فلا يحتاج إلىٰ بينة في القضاء، وورد هذا الأمر عن أبان بن تغلب، قال: قال لي أبو عبد الله - الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «دمان في الإسلام حلال من الله لا يقضي فيهما أحد حتىٰ يبعث الله قائمنا أهل البيت، فإذا بعث الله عز وجل قائمنا أهل البيت حكم فيهما بحكم الله لا يريد عليهما بينة الزاني المحصن يرجمه ومانع الزكاة يضرب عنقه»[٢].

١. مكيال المكارم في فوائد الدعاء للقائم - الحاج ميرزا محمد تقي الموسوي الأصفهاني: ص٧٢، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت - الطبعة الأولىٰ - ١٤٢١ هـ.

٢. الكافي - الكليني: ج٣، ص٥٠٣، الناشر - دار الكتب الإسلامية.

وكذلك يكشف عجل الله فرجه عن بواطن الناس، ويميز الأعداء من الأولياء بالتوسم، أي بالفراسة والمعرفة البالغة والبصيرة، وهو بذلك يشابه النبي داود عليه السلام في عدم الحاجة إلىٰ بينة، فيحكم بعلمه فيما يعلمه، كما ورد ذلك في الرواية عن أبي عبد الله، الإمام جعفر الصادق عليه السلام، قال: «إذا قام قائم آل محمد (عليه وعليهم السلام) حكم بين الناس بحكم داود، لا يحتاج إلىٰ بيِّنة، يلهمه الله تعالىٰ فيحكم بعلمه، ويخبر كل قوم بما استبطنوه، ويعرف وليه من عدوه بالتوسم»[١].

وفي رواية أخرىٰ عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «يا أبا عبيدة، إذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه وآله، حكم بحكم داود وسليمان لا يسأل بينة»[٢].

وفي رواية ثالثة أشمل وأعم في تصوير حكم الإمام المهدي عجل الله فرجه ومصادره المعرفية والغيبية، عن عمار الساباطي قال: قلت لأبي عبد الله - الإمام جعفر الصادق - عليه السلام، ما منزلة الأئمة؟ قال: «كمنزلة ذي القرنين وكمنزلة يوشع وكمنزلة آصف صاحب سليمان»، قال: فبما تحكمون؟ قال: «بحكم الله وحكم آل داود وحكم محمد صلى الله عليه وآله، ويتلقانا به روح القدس»[٣].

ويظهر من مجمل الروايات المأثورة في شأن تعميم وشمول الدين الإسلامي الحق الغالب آنذاك في وقت ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه لغيره من أهل الأديان السماوية، أن هذا الأمر سيخضع لعوامل عدة، ومراحل مختلفة بحسب طبيعة عملية فتح البلدان، وتنامي وعي الأُمم والشعوب من أهل الأديان السماوية، وغيرهم ممن لم يتخذ ديناً كالمذاهب الوضعية والفكرية

١. الإرشاد - المفيد: ج٢، ص٣٨٦، ط٢، ١٤١٤هـ، تحقيق مؤسسة آل البيت لتحقيق التراث - دار المفيد.
٢. الكافي - الكليني: ج١، ص٣٩٧، الطبعة الثالثة - طهران.
٣. الكافي - الكليني: ج١، ص٣٩٨، الطبعة الثالثة - طهران.

الملحدة، ورفضها لواقعها الراهن آنذاك، بسبب ما تتعرض له من ظلم واستضعاف عقائدي واقتصادي، وحتىٰ سياسي، مما يدفعها ذلك إلىٰ طلب التغيير العادل والخلاص مما هي فيه، أو أنها ستنشد ما يوافق فطرتها السليمة وعقولها المستقيمة في تقبل عملية الإصلاح الديني الإلهي المؤيد بحججه الغيبية الغالبة، كما سيحصل مع نزول السيد المسيح عيسىٰ بن مريم، والذي هو حجة إلهية دينية موعودة ومنتظرة عند أتباعه والمؤمنين به في وقت الظهور المهدوي الشريف، أو كما سيحصل أيضاً مع اليهود في استخراج (التوراة) كتابهم السماوي بنسخته الصحيحة، وبقايا تراثهم الديني القديم، كما سيأتي ذكر ذلك في المطلب الثاني من هذا المحور.

وأيضاً من العوامل البارزة التي ستساعد الإمام المهدي عجل الله فرجه في تعميمه ونشره للإسلام في نطاقات واسعة، تشمل دائرة الأديان السماوية والملل والمذاهب الأخرىٰ دينياً وفكرياً ووضعياً، وغير ذلك، هو العامل الغيبي المصاحب لوقت الظهور، من حدوث الصيحة السماوية وبعض الآيات الكونية، مما تبعث علىٰ التأمل الراشد عقلاً وديناً عند أهل الأديان السماوية الأخرىٰ، فتدفعهم إلىٰ التصديق والتسليم وقبول الإسلام اعتقاداً وإيماناً.

فضلاً عن النجاح العملي الكبير في تطبيقات العدل الإلهي علىٰ يدي الإمام المهدي عجل الله فرجه وشموله لأهل الأديان السماوية في أقاليمهم، كما مرَّت الإشارة إلىٰ ذلك في بعض الروايات، ومن الواضح أن العدل جامع ديني وعقلاني منشود عند الجميع، ويستقطب المؤمنين به إلىٰ قبول حيثياته الدينية والإصلاحية بما يسهم في تقرير حقانية الإسلام في الفطرة والعقول والقلوب والنفوس والسلوك، وتقبله وفق تلك المناطات الإنسانية والعقلانية الواحدة.

المطلب الثاني: استخراج التوراة والإنجيل وتراث الأنبياء وبقاياهم - الأهداف والمكتسبات:

إن استخراج الكتب السماوية الأصلية والصحيحة بنسخها الدينية والتاريخية السليمة من التحريف، والمحفوظة في أماكن مخصوصة، والتراث الديني الإلهي القديم على يد الإمام المهدي عجل الله فرجه عند خروجه، يدخل ضمن التطبيقات العملية لعنوان وارث الأنبياء، الذي يتجلى بشخصه المعصوم حصراً آنذاك.

وهو من أول الأعمال التي سيقوم بها عجل الله فرجه في نطاق التعاطي مع أهل الأديان السماوية من اليهود والنصارى، ودعوتهم إلى قبول عملية الإصلاح الديني العام والتصحيح الفعلي لما وقع من انحرافات ومخالفات ومنعطفات في الاعتقاد والاتباع والتشريع والسلوك.

وقد ذكر المحدث الشيخ الطبرسي النوري في كتابه النجم الثاقب ما نصه: (وجاء في عدة أخبار أن الكتب السماوية الأصلية في غار في أنطاكية، وأنه عليه السلام - أي الإمام المهدي -، سوف يخرجها من هناك.

ومروي في غيبة الفضل بن شاذان عن الإمام الباقر عليه السلام، أنه قال: «أول ما يبدأ القائم عليه السلام بأنطاكية[1]، فيستخرج منها التوراة من غار، فيه عصا

---

١. أنطاكية (باليونانية Αντιόχεια، بالسريانية: ܐܢܛܝܟܝܐ، بالتركية Antakya) مدينة تاريخية تقع على الضفة اليسرى لنهر العاصي على بعد ٣٠ كم من شاطئ البحر المتوسط في لواء الإسكندرون الواقع تحت السيادة التركية.

تعتبر مدينة أنطاكية إحدى أهم المدن في تاريخ سورية، حيث إنها كانت عاصمة سورية قبل الفتح الإسلامي في القرن السابع، وما زالت حتى الآن عاصمة للكنائس المسيحية الشرقية، دعيت مدينة أنطاكية بلقب (مهد المسيحية) نتيجة للدور المحوري الذي لعبته المدينة في ظهور كل من الهلنستية اليهودية والمسيحية المبكرة، انظر الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

موسىٰ، وخاتم سليمان»[١].

ولم يقتصر عمل الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف علىٰ أمر استخراج الكتب السماوية لأهلها وحسب، بل وسيحكم بينهم فيها في أول الأمر، كسبيل قطعي لكسب تصديقهم بدعوته الحقة، وما أشارت إليه ونصت عليه كتبهم السماوية بخصوص البشارة بظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف ولمحاججتهم بها في إثبات مدعاه، ولإقامة الحجة الغالبة عليهم بما يؤمنون به أنفسهم، إلىٰ أن يتم أمره، ويدعوهم إلىٰ قبول الاعتقاد بالإسلام ديناً إلهياً حقاً وجامعاً للناس أجمعين.

فروي عن الإمام محمد الباقر عليه السلام أنه قال: «... وإنما سمي المهدي مهدياً، لأنه يهدي إلىٰ أمر خفي، ويستخرج التوراة وسائر كتب الله عز وجل من غار بأنطاكية، ويحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل القرآن بالقرآن...»[٢].

واستخراج جميع الكتب السماوية من أماكنها المخصوصة يدخل أيضاً في نطاق استكمال دور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في هداية أهل الأديان السماوية إلىٰ الدين الإسلامي الحق في آخر الزمان، وإخراجهم من الظلمات إلىٰ النور، ومن الزيغ إلىٰ الاستقامة، وتوحيدهم تحت الجامع العام للأصول العقائدية المستقيمة الأولىٰ من التوحيد الإلهي والعدل والإيمان بالأنبياء والمعاد، والتي لا تختلف فيها الكتب السماوية، فضلا عن صيرورتها شواهد وبينات قطعية محسوسة علىٰ حجية حراك الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف في دعوته وتعاطيه مع أهل الأديان السماوية أنفسهم وكتبهم الدينية.

---

١. النجم الثاقب في أحوال الإمام الحجة الغائب عجل الله فرجه الشريف - الشيخ حسين الطبرسي النوري: ص٢٦٠، ج١، إعداد مركز الأبحاث العقائدية.

٢. الغيبة - النعماني: ص٢٤٣، ط١، ١٤٢٢هـ، منشورات أنوار الهدىٰ - إيران - قم المقدسة.

وإن تعاطي الإمام المهدي عجل الله فرجه مع أهل الأديان السماوية لا يقف عند حد إخراج كتبهم المنزلة من السماء من مواضعها الموجودة فيها، بل سيخرج لهم أيضاً تراث بعض أنبيائهم، من غير الكتب، كعصا النبي موسىٰ عليه السلام وتابوت آدم، كما ورد ذلك في الرواية عن عبد الله بن سنان، قال: سمعت أبا عبد الله الإمام جعفر الصادق عليه السلام يقول: «عصا موسىٰ قضيب آس من غرس الجنة، أتاه بها جبرائيل عليه السلام لما توجه تلقاء مدين، وهي وتابوت آدم في بحيرة طبرية، ولن يبليا، ولن يتغيرا حتىٰ يخرجهما القائم عليه السلام إذا قام»[1].

ويظهر أيضاً من بعض الروايات المأثورة من طرق العامة أن إخراج الإمام المهدي عجل الله فرجه لتابوت السكينة وللكتب السماوية من مواضعها المحفوظة فيها، يسهم في فتح البلدان، باعتبارها آية لهم، وحجة دامغة عليهم، كما في الرواية المأثورة عن كعب، قال: (المهدي يبعث بقتال الروم يعطي فقه عشرة، يستخرج تابوت السكينة[2] من غار بأنطاكية، فيه التوراة التي أنزل

---

١. الغيبة – النعماني: ص٢٤٣، ط١ – ١٤٢٢هـ – منشورات أنوار الهدىٰ – إيران – قم المقدسة.

٢. تابوت السكينة: ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٤٨).

تابوت السكينة صندوق فيه مواريث الأنبياء عليهم السلام، كان آية لبني إسرائيل علىٰ إمامة من يكون عنده، وقد جاءت به الملائكة تحمله بين جموع بني إسرائيل حتىٰ وضعته أمام طالوت عليه السلام، ثم سلمه طالوت إلىٰ داود، وداود لسليمان، وسليمان إلىٰ وصيه آصف بن برخيا، ثم فقده بنو إسرائيل عندما تركوا وصي سليمان، وبايعوا غيره.

واعتقادنا أن تابوت السكينة وجميع مواريث الأنبياء وصلت إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله ثم إلىٰ أوصيائه عليهم السلام، فهي عند الإمام المهدي عجل الله فرجه. انظر المعجم الموضوعي لأحاديث الإمام المهدي عجل الله فرجه – الشيخ علي الكوراني العاملي: ص٦٤٧، ط١، ١٤٢٦هـ.

الله تعالىٰ علىٰ موسىٰ عليه السلام، والإنجيل الذي أنزله الله عز وجل علىٰ عيسىٰ عليه السلام، يحكم بين أهل التوراة بتوراتهم، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم)[١].

وكذلك سيسهم إخراج الكتب السماوية لأهلها، وخصوصاً من اليهود في تقبل أكثرهم للإسلام ديناً واعتناقهم له، كما في رواية نعيم بسنده عن سليمان بن عيسىٰ، قال: (قد بلغني أنه علىٰ يدي المهدي يظهر تابوت السكينة، من بحيرة الطبرية، حتىٰ يحمل، فيوضع بين يديه ببيت المقدس، فإذا نظرت إليه اليهود أسلمت إلّا قليلاً منهم)[٢].

وورد هذا المعنىٰ أيضاً في رواية أخرىٰ له: عن كعب، قال: إنما سمي المهدي، لأنه يهدي إلىٰ أسفار من أسفار التوراة، يستخرجها من جبال الشام، يدعو إليها اليهود، فيسلم علىٰ تلك الكتب جماعة كثيرة، ثم ذكر نحواً من ثلاثين ألفاً)[٣].

ومن المعلوم أن الدين الإسلامي الخاتم هو الدين الإلهي الذي ستكون له الغلبة علىٰ بقية الأديان في آخر الزمان، وكما وعد القرآن الكريم بذلك، ونصت الروايات الكثيرة والمعتبرة علىٰ هذه الحقيقة الدينية الموعودة، والتي ستتحقق وتكتمل علىٰ يدي الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، وإن لإخراجه الكتب السماوية دوراً في تنجيز ذلك واقعاً وتطبيقاً، باعتبارها شواهد ودلائل إلهية تعزز خاتمية الإسلام وأهليته بالهدىٰ والاستقامة والمنهاج الصالح لأهل الأديان السماوية كافة، مما يدفعهم للدخول في الإسلام.

وفي شأن هذه الحقيقة المستقبلية الموعودة ورد في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدىٰ وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ

١. الفتن – نعيم بن حماد المروزي: ص٢٢٠، طبعة دار الفكر – ١٤١٤هـ.
٢. الفتن – نعيم بن حماد المروزي: ص٢٢٣، طبعة دار الفكر – ١٤١٤هـ.
٣. التشريف بالمنن في التعريف بالفتن – السيد ابن طاووس: ص ١٤٦، ط١ – أصفهان – ١٤١٦هـ.

كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣) ﴿لِيُظْهِرَهُ﴾ أي ليظهر الدين دين الإسلام علىٰ كل دين، قال السدي: ذاك عند خروج المهدي، لا يبقىٰ أحد إلّا دخل في الإسلام أو أدىٰ الجزية[١].

من أهم أهداف ومكتسبات إخراج الكتب السماوية وبقايا تراث الأنبياء لأهل الأديان والمؤمنين بها:

١ - ترسيخ البُعد الروحي والغيبي بين أهل الأديان السماوية كافة ومنزلها الله سبحانه وتعالىٰ، ومخرجها الإمام المهدي عجل الله فرجه، مما تشكل عملية تآزرية متبادلة وفاعلة وراشدة في تقبل الإصلاح العقائدي والتصحيح التشريعي، وإقامة العدل العملي، وإظهار الإسلام ديناً إلهياً للناس أجمعين، كما في نزول ونصرة النبي عيسىٰ عليه السلام وتعاضده مع الإمام المهدي عجل الله فرجه في هذا النطاق.

٢ - يمثل استخراج الكتب السماوية لأهلها عند خروج الإمام المهدي عجل الله فرجه وعلىٰ يديه وثيقة تاريخية حسية مشهودة ومقبولة ومثبتة للحق والهدىٰ ومصداقه وأوصافه نصاً، وهو الإمام المهدي عجل الله فرجه لا غير، والذي أوكل إليه القيام والظهور بالعدل في الأرض قاطبة.

٣ - يسهم استخراج الكتب السماوية في حد ذاتها في تكثير عدد المسلمين والمؤمنين من نفس أتباع الأديان كاليهود والنصارىٰ وغيرهم، كما ورد ذلك في بعض الروايات آنفة الذكر، بوصفها كتباً مقدسة عندهم، وقد أخرجت بنسخها الصحيحة والسليمة من التحريف، مما ترفع الاختلاف بينهم، وتجعلهم ينضون تحت مظلة الكتب الأُم الأصلية حكماً وقضاء وحجة ودليلاً.

---

١. الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) - أبوعبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي: ج٨، ص١٢٢، دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٠٥هـ.

٤ - إن استخراج الكتب السماوية لأهلها المؤمنين بها يعتبر نوعاً من البشارة، أو ما يمكن تسميته نصاً من السابق المعصوم علىٰ اللاحق، في مراحل بعثة الأنبياء والأوصياء عبر التاريخ الطويل، لتعزيز حقانية وصدقية اللاحق المعصوم من قبل السابق مثله، وهذه القاعدة العقائدية معهودة ومعروفة في حراك الأنبياء والرسل وأوصيائهم والأئمة المعصومين من بعدهم، وقد حكاها القرآن الكريم تعزيزاً لها وتعويلاً عليها، وهي ما ستحصل مع الإمام المهدي عجل الله فرجه في تقديم النبي عيسىٰ عليه السلام له في إمامة الصلاة ومؤازرته ونصرته ومساعدته في تحقيق التكليف الإلهي المناط به، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ۝٦ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الإِسْلامِ وَاللهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٧ يُرِيدُونَ لِيُطْفِؤُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ﴾ (الصف: ٦-٨).

٥ - تكميل البُعد المعرفي لمجموع الكتب السماوية بين أهلها كافة.

٦ - المحافظة علىٰ الأصول الدينية الأولىٰ المستقيمة، والجامعة لأهل الأديان السماوية كافة، دون تحريف أو ابتداع أو اعوجاج، لإظهار التوحيد الإلهي الخالص والاعتقاد به، كما هو موجود في كتبه المنزلة والموثوقة نسخاً وتدويناً.

خلاصة البحث:

إن الدين في مفهومه العام يمثل للإنسان سبيلاً فطرياً وفكرياً وسلوكياً ضرورياً في حاجته إليه، يجعله منقاداً ومطيعاً لما يؤمن به من اعتقادات عدة ومختلفة.

ولهذه الاعتقادات أصول إلهية واحدة في جعلها من أول الأمر عند جميع أهل الأديان السماوية، كتوحيد الله تعالىٰ والإيمان بالنبوات والعدل والمعاد وغير ذلك، وإن الضامن الموثوق به لتبليغها للناس وصحتها وحفظها هو المعصوم، من نبي أو إمام منصوب ومنصوص عليه، وقد تعرضت هذه الاعتقادات عبر التاريخ الطويل في أصولها إلىٰ تحريف ومخالفات لما هي عليه واقعاً، بفعل إتباع الهوىٰ والرأي والاستغلال والتوظيف لمأرب باطلة.

ولهذا ستأتي عملية الإصلاح والتصحيح الموعودة علىٰ يد الإمام المهدي عجل الله فرجه بوصفه وارث الأنبياء وعلومهم وبقاياهم الدينية، وبتآزر النبي عيسىٰ عليه السلام معه بعد نزوله، لترجع الأديان السماوية إلىٰ نصابها المستقيم ووضعها السليم، وذلك من خلال القضاء علىٰ مظاهر الانحراف العقائدي تطبيقاً وسلوكاً، كما سيحدث هذا مع النصارىٰ من كسر الصليب وقتل الخنزير، وفتح أقاليم الأرض والحكم فيها بالعدل والتسوية والحق، وكذلك باستخراج الكتب السماوية لأتباعها، لإقامة الحجة عليهم، ولتعريفهم بالدين الإلهي الحق القويم، ورفع الاختلاف بينهم، مما يسهم ذلك في إسلام الكثير منهم، يهوداً أو نصارىٰ، أو من بقية الملل.

وإن عملية نشر الإسلام الدين الإلهي الغالب والظاهر آنذاك ستكون وفق مراحل تراتبية، بعد إقامة دول العدل والقضاء علىٰ الظلم والفساد في الأرض قاطبة، وشمول هذا العدل لأهل الأديان السماوية كافة، مما يدعوهم للإيمان بالإسلام ديناً ومنهاجاً، وعنده ستتحقق الأغراض المطلوبة والمكتسبات المنشودة.

المعود
ALMAUOOD

الازدهار الاقتصادي في الدولة المباركة

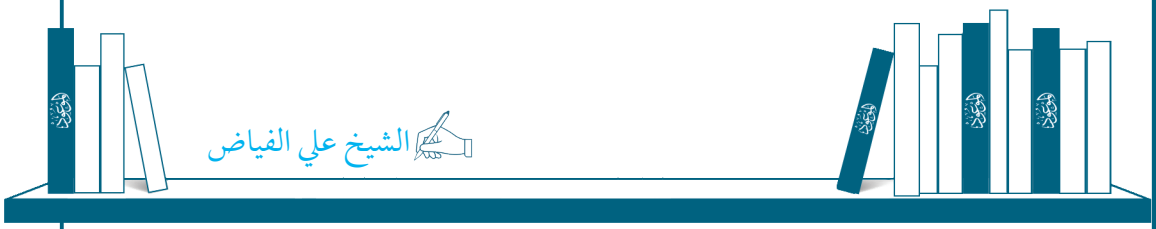

الشيخ علي الفياض

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وصلىٰ الله علىٰ محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين سيّما إمام زماننا الإمام المهدي المنتظر عجل الله فرجه قائد الدولة المباركة.

يلعب العامل الاقتصادي دوراً مهماً في حياة الفرد والمجتمع ولا يقل أهمية عن العامل السياسي، وأحد أسباب سعادة الإنسان أن يتم تأمين غذائه ومسكنه وملبسه وعمله بشكل لا يصاحبه القلق من العوز والفقر والحاجة.

وهذا الأمر تعدنا السماء بتحققه في المستقبل الزاهر وتبشرنا النصوص الوحيانية بإتمامه علىٰ أحسن وجه في دولة كاملة كريمة تحت راية الإمام المعصوم عجل الله فرجه.

وهذا البحث محاولة لرسم صورة من صور الاقتصاد المستقبلي للدولة المباركة من خلال تحليل النصوص الشريفة حيث يبلغ الازدهار أوجَّه في جميع بقاع العالم.

إنّ التطور والنمو والازدهار الاقتصادي في دولة التوحيد له مميزات وخصائص حاولنا الوقوف عليها واختصرناها في مباحث أربعة كان الأول في

القضاء على الفقر وكيف أن الإمام عجل الله فرجه يستطيع فعل ذلك، وأمّا المبحث الثاني فكان عرضاً مجملاً لظاهرة العمران الحضاري في دولته الشريفة، وأمّا المبحث الثالث فتعرضنا فيه إلى وجود البركات الإلهية في دولة التوحيد، وكان المبحث الرابع في التوزيع العادل للثروات.

وأنهينا البحث بخاتمة تحتوي على نتائجه، ومن الله نستمد العون والتوفيق ونسأل الله أن يتقبل هذا القليل ويعجّل في فرج المولى (روحي فداه).

تمهيد:

تتنوع البحوث في مجال العقيدة المهدوية لتشمل جميع ما يرتبط بشؤون الفرد والمجتمع، ولا شك أن من أهم المجالات التي ينبغي الخوض فيها هو البحث في المجال الاقتصادي على مستوى المذهب الاقتصادي والنظرية الاقتصادية بشقيها الجزئي والكلي والسياسات المستخدمة في الإدارة والنفقات.

على أن البحث في العقيدة المهدوية يمكن أن يشتمل على معالجات للمشاكل الاقتصادية في زمن الغيبة الكبرى وأيضاً يمكن أن يكون البحث عن مميزات وخصائص الحكومة المهدوية في الجانب الاقتصادي.

ونقصر البحث هنا على مميزات وخصائص الاقتصاد في دولة الإمام المهدي عجل الله فرجه وكيف يقوم القائد بتطبيق السياسات الاقتصادية الناجحة في إدارة المجتمع بإلهام وتسديد من السماء.

السياسات الاقتصادية:

إن تحليل النصوص الاقتصادية للظهور ودراسة السياسات الاقتصادية التي ينفذها الإمام عجل الله فرجه يُعد محوراً أساسياً للعقيدة المهدوية ليس فقط على مستوى التنظير بل على مستوى التطبيق أيضاً.

ونرىٰ أن إبراز القوة الاقتصادية والنمو والازدهار والتطور الاقتصادي في دولته عجل الله فرجه مسألة مهمة، خصوصاً في وقتنا الحاضر وما نعيشه من مناخ التدهور الاقتصادي والأزمات المالية الخانقة وفشل النظريات الاقتصادية من شيوعية ورأسمالية وغيرها، وتأثر البعض بما تطرحه وسائل الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي إلىٰ درجة أصبح الشاب المسلم يأخذ ثقافته وأفكاره مما تطرحه هذه الوسائل ولا يميز الغث من السمين.

إن رجوع المسلم إلىٰ مبادئ الإسلام وإلىٰ حضارة التوحيد التي عمل علىٰ ترسيخها الأئمة المعصومون عليهم السلام هو الحل الأمثل لنجاح الفرد والمجتمع في دار الدنيا وفي الآخرة.

خصائص الازدهار الاقتصادي في الدولة المهدوية:

لا شك أن النظام الاقتصادي الجديد في الدولة المهدوية له خصائص ومميزات تنتج من التطبيقات التي سوف يقوم بها القائد المعصوم علىٰ جميع بقاع الأرض، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣ - الصف: ٩).

رغم وجود ثلاث تجارب تاريخية معصومية في إدارة اقتصاد الدولة متمثلة بحكومة المدينة المنورة للرسول صلى الله عليه وآله وحكومة الكوفة لأمير المؤمنين عليه السلام وأيضاً فترة قصيرة من حكومة الإمام الحسن عليه السلام، إلّا أن الإدارة الاقتصادية والسياسية للإمام المهدي عجل الله فرجه ستشمل جميع أنحاء الأرض حتىٰ تصل حكومته وعدله إلىٰ آخر قرية من قرىٰ العالم المترامية الأطراف.

إن مكافحة الإمام المهدي عجل الله فرجه لظاهرة الفقر المستشرية في المجتمع تكون ضمن أولويات برنامجه الاقتصادي إضافة إلىٰ بقية الآليات التي يستخدمها

الإمـام ﷺ في تنميـة الدولـة اقتصاديـاً، وسـوف نبحـث ذلـك ضمـن أربعـة مباحـث، هـي:

المبحث الأول: القضاء علىٰ الفقر.

المبحث الثاني: العمران.

المبحث الثالث: البركات الإلهية.

المبحث الرابع: التوزيع العادل للثروة.

ولنبسـط الـكلام في النقطـة الأولىٰ مـع بعـض التمهيـدات ويكـون المحـور هـو: كيـف يتمكَّـن الإمـام ﷺ مـن معالجـة مشـكلة الفقـر؟

المبحث الأول: القضاء علىٰ الفقر:

تعـد مشـكلة الفقـر مـن المشـاكل البـارزة في حيـاة البشريـة منـذ القِـدَم، وهـي ظاهـرة أرضيـة لا سـماوية، فهـي مـن صنيعـة الإنسـان وجنايتـه لمـا قدمتـه يـداه وقـد نزلـت التشريعـات الإلهيـة لمعالجـة هـذه المشـكلة بإنـزال أحـكام وقوانـين إذا مـا طبقـت فـإن المشـكلة سـتزول بشـكل كلي، لـذا في عـصر ظهـور الدولـة المباركـة وبسـبب تطبيـق الإسـلام بحذافـيره سـوف يـزول الفقـر وكل مـا يتعلـق بـه مـن مصائـب.

تعريف الفقر:

مفهـوم الفقـر كغـيره مـن المفاهيـم الكثـيرة وقـع الاختـلاف في تعريفـه، وقبـل الدخـول في تعريفـه لابـد أن نلقـي نظـرة ولـو عابـرة عـلىٰ معنـاه اللغـوي وأصـل اشـتقاقه.

المعنىٰ اللغوي:

بحسب اللغة فإن الفقر هو الحاجة، فالفقير عند العرب هو المحتاج[١].

الفقر في إطلاقات الفقهاء:

تناول الفقهاء موضوع الفقر والغنىٰ في موارد عديدة، منها: بحث الزكاة وزكاة الفطرة والخمس وغيرها. وتعريفهم يختلف شيئاً ما عن التعريف اللغوي حيث إنهم حددوا فترة زمنية للحاجة، وهي أن تكون سنة واحدة، فالفقير هو الذي لا يملك مقدار ما ينفق علىٰ نفسه وعلىٰ عياله لمدة سنة كاملة، والغني هو الذي عنده قوت سنة سواء كان عنده ذلك بالفعل أو عنده عمل مستمر يستطيع من خلاله أن يكتسب المال بشكل مستمر.

قال صاحب الجواهر قدس سره: (... مضافاً إلىٰ ما يظهر من الأصحاب في تعريف الفقر والغنىٰ بملك ما يمول به نفسه وعياله سنة وعدمه)[٢]، وقال الشيخ الأنصاري قدس سره: (... إنهم صرحوا في تعريف الفقر بأنه من لا يملك مؤنة السنة له ولعياله...)[٣].

الفقر في العلم الحديث:

طبقاً لعلم الاقتصاد الحديث فإن الفقر هو (عدم القدرة علىٰ تحقيق الحد الأدنىٰ من مستوىٰ المعيشة...)[٤]. ويعرف الفقر في علم الاجتماع بأنه (مستوىٰ معيشي منخفض لا يفي بالاحتياجات الصحية والمعنوية والمتصلة بالاحترام الذاتي لفرد أو مجموعة من الأفراد...)[٥].

١. مجمع البحرين: ٣/ ٤٤١؛ تاج العروس: ٧/ ٣٥٤.
٢. جواهر الكلام: ١٥/ ٣١١.
٣. كتاب الطهارة: ٢/ ٥٠٤.
٤. اقتصاد الفقر وتوزيع الدخل: ١٥.
٥. اقتصاد الفقر وتوزيع الدخل: ١٥.

أسباب الفقر:

من المهم جداً في دراسة أي ظاهرة الوقوف علىٰ العوامل المسببة لها إذ تنفع دراسة الأسباب في وضع استراتيجيات للوقاية والعلاج.

من الجدير الإشارة إلىٰ أن الأسباب للفقر متعددة جداً ولا يمكن حصرها بسبب أو سببين، ويمكن أن تكون هناك سلسلة طولية من الأسباب أي وجود سبب قريب وسبب بعيد وأسباب متوسطة، وهكذا يمكن القول بوجود أسباب وعلل وعوامل متعددة ويمكن تقسيم الأسباب إلىٰ ثلاثة أقسام:

أولاً: أسباب مرتبطة بسلوك الفرد:

من العوامل المهمة المسببة للفقر والتي غالباً ما يُتغافل عنها هي الذنوب التي يرتكبها الإنسان تجاه خالقه، فيكون أحد أضرارها الفقر المادي والمعنوي وتختلف الذنوب شدة وضعفاً في تسبيب الفقر، فبعضها تسرع في تسبيبه، وفي الدعاء: «واغفر لي الذنوب التي تغير النعم»[١]، وأيضاً في الدعاء: «واغفر لي الذنوب التي تحبس غيث السماء»[٢]، وورد أيضاً: «واغفر لي الذنوب التي تحبس القسم»[٣].

ولنأخذ بذكر نماذج من الذنوب وتأثيرها المباشر علىٰ افتقار الإنسان، ولو أردنا استقصاء ذلك لطال بنا البحث.

---

١. المقنعة: ٣٢١.

٢. مصباح المتهجد: ١٤٦.

٣. مصباح المتهجد: ١٤٥، وورد عن الإمام زين العابدين عليه السلام: «... والذنوب التي تدفع القسم إظهار الافتقار والنوم عن صلاة العتمة وصلاة الغداة واستحقار النعم وشكوىٰ المعبود والزنا...» [راجع الوافي ٩/ ١٦٦٨].

أ - قطيعة الرحم:

من الذنوب الكبيرة التي تكون سبباً للفقر هي قطيعة الرحم وهي (ترك الإحسان إلىٰ الأقربين والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم)[١].

تشددت الشريعة الإسلامية في منع وتحريم قطيعة الرحم بحيث صدرت اللعنة في حق القاطع في القرآن الكريم كما ورد في الرواية عن الإمام علي بن الحسين عليهما السلام: «... وإياك ومصاحبة القاطع لرحمه فإني وجدته ملعوناً في كتاب الله عزّ وجلّ في ثلاث مواضع، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحامَكُمْ ۝٢٢ أُولئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمىٰ أَبْصارَهُمْ﴾ [محمد صلى الله عليه وآله: ٢٢-٢٣] وقال: ﴿الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثاقِهِ وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٧]»[٢].

وقال الإمام الصادق عليه السلام: «اتقوا الحالقة فإنها تميت الرجال»، قلت: وما الحالقة؟ قال: «قطيعة الرحم»[٣].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: «إذا قطعوا الأرحام جعلت الأموال في أيدي الأشرار»[٤]، إلىٰ غير ذلك من النصوص الكثيرة المحذرة من عواقب هذا الذنب العظيم.

---

١. شرح أصول الكافي: ٩/ ٤١٤.
٢. بحار الأنوار: ٧١/ ٢٠٨.
٣. شرح أصول الكافي: ٩/ ٤١٤.
٤. شرح أصول الكافي: ٩/ ٤١٧.

ب - الزنا:

الزنا من الجرائم الاجتماعية الكبيرة والتي شدد الإسلام علىٰ تحريمه لما فيه من أضرار جسيمة مادية ومعنوية علىٰ حياة الفرد والمجتمع، وهنا نذكر ما يتعلق بموضوع البحث وهو كونه سبباً مهماً من أسباب الفقر وقلة الرزق، ورد النص عن الإمام الصادق عليه السلام: «الذنوب التي تحبس الرزق الزنا»[١].

وقد يتولد الفقر بشكل غير مباشر من الزنا حيث إن الزنا يكون سبباً في كثرة وقوع الزلازل، والأخير هو سبب واضح للفقر، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «إذا فشا أربعة ظهرت أربعة: إذا فشا الزنا ظهرت الزلزلة، وإذا فشا الجور في الحكم احتبس المطر، وإذا خفرت الذمة أديل لأهل الشرك من أهل الإيمان، وإذا منعوا الزكاة ظهرت الحاجة»[٢].

وعن الرسول صلى الله عليه وآله: «... وإذا ظهر الزنا ظهر الفقر والمسكنة...»[٣].

وأيضاً عنه صلى الله عليه وآله: «... يا علي في الزنا ست خصال: ثلاث منها في الدنيا وثلاث في الآخرة: فأمّا التي في الدنيا فيذهب بالبهاء ويعجل الفناء ويقطع الرزق، وأمّا في الآخرة: فسوء الحساب وسخط الرحمن والخلود في النار...»[٤].

وأيضاً عنه صلى الله عليه وآله: «الزنا يورث الفقر ويدع الديار بلاقع»[٥]، وبلاقع جمع لكلمة بلقع، وبلقعة وهي الأرض القفر لا شيء بها، والمعنىٰ أنه يفتقر ويذهب ما في بيته من الرزق[٦].

---

١. الكافي: ٢/ ٤٤٨.

٢. الوافي: ٥/ ١٠٤٠، وقال صاحب كتاب الوافي بعد نقله للحديث: (بيان: خفر الذمة نقضها والأدلة لأهل الشرك من أهل الإيمان نصرة أهل الشرك وجعل الدولة لهم علىٰ أهل الإيمان).

٣. مجمع الزوائد: ٥/ ١٩٦.

٤. الوافي: ٢٦/ ١٧٨.

٥. وسائل الشيعة: ٢٠/ ٣١٠.

٦. الوافي: ١٥/ ٢١٣.

ج - منع الزكاة:

لمنع الزكاة آثار وعواقب وضعية وخيمة فضلاً عن أن ذلك من الذنوب الكبيرة ومن ضمن هذه الآثار هو الفقر، ونكتفي بإيراد بعض النصوص الشريفة في هذا المجال، عن أبي عبد الله عليه السلام: «ما ضاع مال في بر ولا بحر إلّا بتضييع الزكاة...»[١].

وعن الرسول صلى الله عليه وآله: «إذا منعت الزكاة منعت الأرض بركاتها»[٢].

فهذه بعض الأخبار الصريحة في أن مآل مانع الزكاة إلىٰ الفقر وتأثير منع الزكاة سلباً علىٰ المجتمع أمر واضح، لذا ورد النص أن الإمام المهدي عجل الله فرجه يقتل مانع الزكاة في دولته، عن أبي عبد الله عليه السلام: «دمان في الإسلام حلال من الله لا يقضي فيهما أحد حتىٰ يبعث الله قائمنا أهل البيت، فإذا بعث الله عز وجل قائمنا أهل البيت حكم فيهما بحكم الله لا يريد عليهما بينة: الزاني المحصن يرجمه ومانع الزكاة يضرب عنقه»[٣].

د - منع الخمس:

الخمس من أهم الفرائض الإلهية التي فرضها الله تعالىٰ علىٰ الأغنياء، وهي حق من حقوق أهل البيت عليهم السلام والفقراء من بني هاشم، وقد وردت نصوص عديدة في وجوبه[٤].

---

١. الكافي: ٣/ ٥٠٥.

٢. الكافي: ٣/ ٥٠٥.

٣. الكافي: ٣/ ٥٠٣.

٤. أشار صاحب كتاب الحدائق الناظرة إلىٰ الخلاف الفقهي في مسألة حكم الخمس في زمن غيبة الإمام القائم عجل الله فرجه وأوصل الأقوال إلىٰ أربع عشر قولاً. [راجع الحدائق الناظرة: ج١٢، ص٤٣٧-٤٤٤]

لا شك أن مانع الخمس يعاقب بعقوبات دنيوية وأخروية، ومنها الفقر، وتشير النصوص الشريفة إلىٰ ذلك، فعن الإمام الرضا عليه السلام: «إن إخراجه مفتاح رزقكم»[١]، علىٰ أن نصوص الزكاة يمكن أن يستفاد منها ذلك إذا قلنا إن الزكاة بمعناها العام شاملة للخمس.

هـ - الربا:

من بين المعاملات المحرمة المتداولة في زماننا هي المعاملات الربوية حيث نجد التعامل بالربا علىٰ نطاق واسع في المجتمع فضلاً عن أن المعاملات الرئيسية في البنوك قائمة علىٰ الربا.

ويقسم الفقهاء الربا إلىٰ قسمين، فقد يكون الربا في البيع وقد يكون في القرض، أمّا في البيع بأن يبيع شخص لآخر مادة من المكيل أو الموزون بزيادة كأن يبيع كيلواً من الحنطة بكيلو ونصف من حنطة ثانية. وأمّا في القرض بأن يقرض شخص شخصاً آخر مالاً ويشترط عليه الزيادة عند إرجاعه.

وقد حرمت الشريعة الإسلامية الربا أشد تحريم قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا﴾ (البقرة: ٢٧٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام: «درهم ربا أشد من سبعين زنية كلها بذات محرم»[٢].

ويدل علىٰ أن الربا سبب من أسباب الفقر عدة نصوص.

فعن زرارة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إني سمعت الله يقول: ﴿يَمْحَقُ اللهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقاتِ﴾ [البقرة: ٢٧٦] وقد أرىٰ من يأكل

١. الوافي: ١٠/ ٣٣٤ - ٣٣٥.

٢. وسائل الشيعة: ١٨/ ١٣.

الربا يربو ماله، فقال: «أي محق أمحق من ربا يمحق الدين وإن تاب منه ذهب ماله وافتقر»[١]، ونفهم من النص أن من يأكل الربا سوف يذهب ماله ويصبح فقيراً حتىٰ لو صدرت منه التوبة.

وعن هشام بن الحكم أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام عن علة تحريم الربا، فقال: «إنه لو كان الربا حلالاً لترك الناس التجارات وما يحتاجون إليه...»[٢].

أسباب أخرىٰ:

ذكرت النصوص أسباباً أخرىٰ كثيرة تورث الفقر مثل اعتياد الكذب وكثرة الاستماع إلىٰ الغناء وقطيعة الرحم وغيرها.

وأمّا القسم الثاني من أسباب الفقر فهو:

ثانياً: أسباب مرتبطة بسلوك المجتمع:

إن السلوك الجماعي لمجتمع ما قد يكون سبباً في توليد حوادث كونية، فإذا كان سلوكاً صالحاً تكون النتائج فيوض البركات من السماء والأرض، وإذا كان سلوكاً طالحاً تكون النتيجة ظهور الفساد في البر والبحر، قال الله تعالىٰ: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (الروم: ٤١).

يقول صاحب تفسير الميزان: (ومن أحكام الأعمال: أن بينها وبين الحوادث الخارجية ارتباطاً، ونعني بالأعمال الحسنات والسيئات... والآيات

١. وسائل الشيعة: ١٨/ ١١٩.

٢. وسائل الشيعة: ١٨/ ١١٩.

ظاهرة في أن بين الأعمال والحوادث ارتباطاً ما شراً أو خيراً)[١].

وواحدة من هذه النتائج المهمة هو إصابة الناس بالفقر فالزلازل والفيضانات وحبس الأمطار وقلة المياه والحروب وغيرها هي أسباب مهمة للفقر ومسببة عن انحرافات المجتمع.

ثالثاً: أسباب مرتبطة بسياسة الدولة:

لا شك أن طبيعة النظام السياسي والاقتصادي للدولة قد يكون سبباً مهماً من أسباب الفقر، فتعيين السياسات الاقتصادية من جهة وتطبيقها من جهة أخرىٰ هو عامل مهم في تحديد مصير المجتمع.

فمثلاً في النظام الاقتصادي الرأسمالي الذي يكون أساسه إطلاق حريات التملك بشكل واسع لوسائل الإنتاج نجد أن الثروة تتكدس في طبقة معينة وهم أصحاب الأموال والثروات تاركة بقية أفراد المجتمع تعاني من العوز والحاجة والفاقة ولم يستطع النظام الرأسمالي بما أُوتي من إمكانات وسياسات من القضاء علىٰ مشكلة الفقر، بل نجد أن الأزمات الاقتصادية متتالية وآخرها الأزمة العالمية التي حدثت سنة (٢٠٠٨م) بسبب المعاملات الربوية لدىٰ البنوك وبقيت آثار هذه الأزمة إلىٰ الآن.

ولا شك أن جميع الأزمات والمشاكل الاقتصادية ومن أهمها مشكلة الفقر سوف تزول ببركات ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه وتطبيقه للسياسات الاقتصادية الناجحة.

كيف يستطيع الإمام المهدي عجل الله فرجه القضاء علىٰ الفقر؟

يقوم الإمام المهدي عجل الله فرجه بالقضاء علىٰ هذه الظاهرة المعقدة والمستشرية في جميع بقاع العالم بعد أن عجزت حكومات الدول عن حلها ضمن الاستراتيجيات التالية:

---

١. تفسير الميزان: ٢/ ١٨٠ - ١٨١.

أولاً: تطبيق الأحكام الإسلامية.

ثانياً: تخلي البشر عن الذنوب بمساعدة الإمام عجل الله فرجه.

ثالثاً: رزقان في الشهر وعطاءان في السنة.

رابعاً: تحريم ربح المؤمن علىٰ المؤمن.

خامساً: استيفاء الأموال وإرجاع كل حق إلىٰ أهله.

سادساً: يقضي ديون الناس.

سابعاً: استعمال ذخائر الأغنياء.

هذه الاستراتيجيات تم استنباطها من النصوص الواردة في العقيدة المهدوية حيث قمنا بقراءتها من منظور اقتصادي وإداري وهي تمثل السياسات الاقتصادية التي يقوم الإمام المهدي عجل الله فرجه بتطبيقها.

أولاً: تطبيق الأحكام الإسلامية:

تطبيق حكم السماء هو أمل الأنبياء والصالحين، وقد تمكَّن الرسول صلى الله عليه وآله من تطبيق الأحكام الشريفة في المدينة المنورة فترة حكومته، وكذا أمير المؤمنين عليه السلام، والإمام الحسن عليه السلام.

من النعم التي يحظىٰ بها الإنسان في دولة القائم عجل الله فرجه أن مكَّنه الله تعالىٰ من إيصال جميع الأحكام الشرعية إلىٰ الناس والإشراف علىٰ تطبيقها في المجتمع، وتخبرنا النصوص الشريفة أن التطبيق للحكم الإلهي سيشمل جميع دول بل قرىٰ العالم، فلا تبقىٰ بقعة من الأرض إلّا يتم فيها نداء لا إله إلّا الله محمد رسول الله، علي ولي الله، قال تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ (التوبة: ٣٣ - الصف: ٩).

وعن الإمام الباقر عليه السلام: «... ولا تبقىٰ أرض إلّا نودي فيها شهادة أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأن محمداً رسول الله وهو قوله: ﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]...»[١].

ومن جملة التطبيقات هي تطبيق الأحكام المالية التي تتعلق بالأموال وأهمها أداء الزكاة والخمس اللذين يشكلان مورداً مالياً هائلاً للدولة، ولابد للإمام عجل الله فرجه من تطبيق وتنفيذ ذلك بشدة حتىٰ تستقيم العدالة في المال، حتىٰ ورد أنه عجل الله فرجه يقتل مانع الزكاة، يقول الإمام الصادق عليه السلام: «دمان في الإسلام حلال لا يقضي فيهما أحد بحكم الله حتىٰ يقوم قائمنا الزاني المحصن يرجمه ومانع الزكاة يضرب عنقه»[٢]، كل ذلك في سبيل القضاء علىٰ الفقر - التي هي مشكلة مصطنعة - وكذا تحقيق الرخاء المالي حيث يجد الإنسان الأثر الواضح للنعمة الإلهية بسبب بركات وجود الإمام عجل الله فرجه.

إن تطبيق الإمام عجل الله فرجه للأحكام الإسلامية بما فيها الأحكام المتعلقة بالأموال لهي كفيلة بتحقيق الازدهار والنمو في اقتصاد الدولة المباركة.

ثانياً: تخلي البشر عن الذنوب بمساعدة الإمام عجل الله فرجه:

يشير النص الوارد عن الإمام الباقر عليه السلام وحيث يقول: «إذا قام قائمنا وضع الله يده علىٰ رؤوس العباد فجمع بها عقولهم وكملت به أحلامهم»[٣]، إلىٰ التكامل العقلي الذي يحصل عند البشر بسبب هداية الله تبارك وتعالىٰ بتوسط الإمام عجل الله فرجه ولا شك أن هذا التكامل العقلي يدعو الإنسان إلىٰ الإقلاع عن الذنوب والمعاصي التي هي سبب كل بلاء ونقمة وفقر.

١. معجم أحاديث الإمام المهدي عجل الله فرجه: ٥/ ٢٩.
٢. معجم أحاديث الإمام المهدي عجل الله فرجه: ٤/ ٦٩.
٣. الكافي: ١/ ٢٥.

على أن كل ذنب يذنبه الإنسان يُنقِص منه مقداراً من العقل، كما ورد النص في ذلك عن الرسول ﷺ: «من قارف ذنباً فارقه عقل لا يرجع إليه أبداً»[١]، فهناك نقص مستمر سببه الذنوب الأمر الذي يجبره الإمام عجل الله فرجه للمؤمنين عند ظهوره، وقد أشرنا سابقاً إلى أن الذنوب سبب مهم من أسباب فقر الإنسان الأمر الذي لم تتنبه له الحضارة المادية الغارقة في الشهوات.

فإذا أقلع الإنسان عن الذنوب ببركات الوجود المقدس للحجة عجل الله فرجه فإن هذه المشكلة ستزول حتماً ويكون في زمن ظهوره تطبيق واضح لقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنا عَلَيْهِمْ بَرَكاتٍ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف: ٩٦).

ثالثاً: رزقان في الشهر وعطاءان في السنة:

من البرامج الناجحة التي سوف يستخدمها الإمام المهدي عجل الله فرجه لعلاج ظاهرة الحاجة والفاقة والفقر هو أن يقوم عجل الله فرجه بتأمين احتياج الناس، فيقوم بإعطاء الناس ما يسد جميع احتياجاتهم كل خمسة عشر يوماً، يعني مرتين في الشهر كما ويؤمن احتياج الناس من الأموال بإعطائهم عطاءً كل ستة أشهر، يعني مرتين في السنة.

هكذا ورد النص الشريف عن الإمام الباقر عليه السلام: «... ويعطي الناس عطايا مرتين في السنة ويرزقهم في الشهر رزقين»[٢]، الأمر الذي يوفر سيولة نقدية في السوق، لذا فإن الاقتصاد سوف ينتعش وتكون عملية التسويق يسيرة وسهلة ويزيد في معدل دخل الفرد، وبالتأكيد فإن هذا العطاء يكفي في سد حاجات الناس المختلفة.

١. ميزان الحكمة: ٢/ ٩٨٧.
٢. بحار الأنوار: ٥٢/ ٣٩٠.

ويبدو أن هذا العطاء من الإمام عجل الله فرجه هو هبة منه للناس وليس في مقابل عمل يقومون به، فلا ينبغي أن نفهم أن هذا من الدخل الشهري كما أن النص لا ينفي وجود موارد مالية أخرىٰ للناس كالقيام بالأعمال الحرة في ميدان الزراعة والتجارة والصناعة والتعليم أو الأعمال الحكومية الرسمية في دولته المباركة أو مصادر أخرىٰ للرزق كالحيازة وغيرها، وإنما يتعرض النص إلىٰ ما يتفضل به الإمام عجل الله فرجه من إعطائه الناس الأموال والأرزاق.

وفي وسع هذا النص إعطاء فهم لبرنامج اقتصادي للحكومات في زمن الغيبة الكبرىٰ حيث يمكن أن تستمد من فعل الإمام عجل الله فرجه، هذا بأن تقوم بإعطاء حصص غذائية لمواطنيها مرتين في الشهر.

وأيضاً إعطاء منح وهبات مجانية - وليست قروضاً - كل ستة أشهر فإنها كفيلة بتحقيق التوازن الغذائي والمالي في المجتمع وسد احتياجاتهم المتعددة من خلال هذا البرنامج ويظهر من النص الشريف أنه عجل الله فرجه يعطي ذلك للفقراء والأغنياء علىٰ حد سواء، كما ويظهر من نصوص أخرىٰ أنه عجل الله فرجه يأخذ من الأغنياء الكنوز التي كنزوها ليستخدمها في تطوير وتنمية اقتصاد الدولة، وسنذكر ذلك النص في بحث (استعمال ذخائر الأغنياء).

رابعاً: منع ربح المؤمن علىٰ المؤمن:

من الأحكام المهمة والسياسات المالية التي يقوم بها الإمام عجل الله فرجه هو إصداره الحكم بتحريم البيع علىٰ المؤمن بربح ففي زمنه عجل الله فرجه يقوم المؤمن ببيع السلع علىٰ مؤمن آخر بنفس قيمة السلعة وبدون ربح، وهذا بدوره سيساهم في سد حاجات الناس وسلعهم بسهولة، لأن أغلب المشاكل الاقتصادية ناتجة من التضخم وارتفاع الأسعار بحيث إن الفقير لا يتمكن من شراء ما يحتاج

إليه بشكل طبيعي لسد فقره بسبب ارتفاع الأسعار، فكم من إجحاف وإجحاف في أسواقنا الحالية ناتجة من طمع وظلم الباعة، ولا يكاد القانون الوضعي يضع حلاً مناسباً أو جذرياً لهذه المشكلة في المجتمع.

الإمام عجل الله فرجه من خلال تطبيقه لهذا البرنامج الاقتصادي سوف يكوِّن عاملاً مهماً في معالجة ومكافحة الفقر.

ولننقل هنا النص الشريف الذي تحدث عن ذلك وهو ما رواه الشيخ الطوسي بسند عن علي بن سالم عن أبيه قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الخبر الذي روي أن من كان بالرهن أوثق منه بأخيه المؤمن، فأنا منه بريء، فقال: «ذاك إذا ظهر الحق وقام قائمنا أهل البيت عليهم السلام»، قلت: فالخبر الذي روي أن ربح المؤمن علىٰ المؤمن ربا ما هو؟ فقال: «ذاك إذا ظهر الحق وقام قائمنا أهل البيت عليهم السلام، فأمّا اليوم فلا بأس أن يبيع من الأخ المؤمن ويربح عليه»[١].

خامساً: استيفاء الأموال وإرجاع كل حق إلىٰ أهله:

من المهمات التي يقوم بها الإمام عجل الله فرجه هو إرجاع الحقوق إلىٰ كل ذي حق - سيما إذا كانت حقوقاً مالية - ضمن برنامجه الواسع في تطبيق عدل السماء مطبقاً سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في حكمه عند استلام زمام أمور المسلمين حيث يقول: «... والله لو وجدته قد تزوج به النساء وملك به الإماء لرددته... فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق»[٢].

فمهما يسرف الإنسان العاصي في السرقات وغصب أموال الناس وتمرده في عدم أداء الزكاة والخمس، وغير ذلك من الحقوق، كل ذلك سوف

١. تهذيب الأحكام: ٧/ ١٧٨.

٢. نهج البلاغة: ج١، ص٤٦.

يقوم الإمام عجل الله فرجه بإرجاعه إلىٰ أهله ومستحقيه جاء في الرواية الشريفة: «إذا قام القائم حكم بالعدل وارتفع في أيامه الجور وأمنت به السبل وأخرجت الأرض بركاتها وردّ كل حق إلىٰ أهله»[١].

إن إرجاع أموال وحقوق الناس قد يكون سبباً مهماً في القضاء علىٰ الفقر، حيث يحدث إشباعاً في حاجات الإنسان فيزداد علىٰ أثر ذلك دخل الفرد والمجتمع وينمو اقتصاد الدولة المباركة.

وثمة نصوص شريفة تتحدث عن أن الإمام عجل الله فرجه يقوم بإرجاع وأخذ الأراضي من الناس لأنه هو صاحبها، إلّا ما كان في أيدي شيعته فلا يأخذها منهم، وإنما يأخذ منهم مقداراً من المال، ونكتفي هنا بنقل النص عن أبي جعفر عليه السلام قال: «وجدنا في كتاب علي عليه السلام ﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨] أنا وأهل بيتي الذين أورثنا الله الأرض، ونحن المتقون، والأرض كلها لنا، فمن أحيا أرضاً من المسلمين فليعمرها وليؤدِّ خراجها من الإمام من أهل بيتي وله ما أكل منها حتىٰ يظهر القائم من أهل بيتي بالسيف فيحويها ويمنعها ويخرجهم منها كما حواها رسول الله صلى الله عليه وآله ومنعها، إلّا ما كان في أيدي شيعتنا فإنه يقاطعهم علىٰ ما في أيديهم ويترك الأرض في أيديهم»[٢].

سادساً: يقضي ديون الناس:

من السياسات الاقتصادية العامة التي يقوم الإمام عجل الله فرجه بتطبيقها هو أن يقوم بقضاء الديون عن المديونين وأدائها إلىٰ مستحقيها، ورد في النص الشريف

١. الإرشاد: ٢/ ٣٨٢.
٢. الكافي: ١/ ٤٠٧.

عن أمير المؤمنين عليه السلام: «... فلا يترك عبداً مسلماً إلّا اشتراه وأعتقه ولا غارماً إلّا قضىٰ دينه»[١].

تعد مسألة الديون من أهم المشاكل الاقتصادية والاجتماعية في حياتنا اليومية، فلا يكاد مؤمن يخلو من الدين كما وأن معظم الدول المعاصرة هي مديونة للدول الكبرىٰ عن طريق ما يسمىٰ بصندوق النقد الدولي، فهو يعطي قروضاً ولكن بفوائد ربوية، هذا من ناحية ومن ناحية أخرىٰ تقوم بإملاء شروط معينة سياسية أو غيرها علىٰ الجهة التي تطلب القروض.

وعلىٰ أي حال تشكل مسألة الدين عاملاً مهماً من عوامل انهيار الدول اقتصادياً كما وتشكل تحدياً كبيراً علىٰ مستوىٰ الفرد أيضاً في مجاله الاجتماعي والنفسي وهو سبب مهم من أسباب الهم والقلق.

سابعاً: استعمال ذخائر الأغنياء:

رغم أن الأرض تخرج بركاتها للإمام عجل الله فرجه فإنه يقوم بإرجاع التوازن المالي في المجتمع بأخذ الكنوز التي يكنزها الأغنياء، قال الله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾ (التوبة: ٣٤)، وقال تعالىٰ: ﴿كَيْ لا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ﴾ (الحشر: ٧).

ويظهر من الرواية الشريفة أن ذلك يكون في بداية نهضته المباركة وليس بعد استقرار الدولة، فعن معاذ بن كثير، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «موسع علىٰ شيعتنا أن ينفقوا مما أيديهم بالمعروف فإذا قام قائمنا حرم علىٰ كل ذي كنز كنزه، حتىٰ يأتيه به فيستعين به علىٰ عدوه وهو

١. تفسير العياشي: ١/ ٦٤.

قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤]»[١].

ومن هنا نفهم أن ظاهرة كنز الأموال وحبسها سوف تختفي بسبب التنفيذ العادل لأحكام الإسلام من قبل الإمام المهدي عجّل الله فرجه.

وبهذا ننهي الكلام عن الخصيصة الأولىٰ من خصائص الازدهار الاقتصادي في الدولة المهدوية والتي كانت حول كيفية القضاء علىٰ الفقر ونبدأ الحديث عن الخصيصة الثانية وهي العمران في زمنه عجّل الله فرجه.

المبحث الثاني: العمران:

يعد الاهتمام بعمران البلاد من أبرز الظواهر في اقتصاد الدولة المهدوية فيقوم الإمام عجّل الله فرجه بنهضة عمرانية واسعة وشاملة لجميع بقاع الأرض.

ونقتصر هنا علىٰ ذكر بعض جوانب هذه النهضة المباركة.

١ - تطوير شبكة الطرق والمواصلات:

ورد في النص عن الإمام الباقر عليه السلام: «إذا قام القائم عليه السلام سار إلىٰ الكوفة فهدم بها أربعة مساجد فلم يبق مسجد علىٰ وجه الأرض له شُرف إلّا هدمها وجعلها جماء ووسع الطريق الأعظم وكسر كل جناح خارج في الطريق وأبطل الكنف والمآزيب إلىٰ الطرقات...»[٢].

ونفهم من النص أن الطريق الأعظم من الطرق الرئيسية والمعروفة في ذلك الزمان.

١. الكافي: ٤/ ٦١.

٢. الإرشاد: ٢/ ٣٨٥.

وتنص إحدىٰ الروايات أن الإمام عجل الله فرجه يوسع هذا الطريق فيصبح عرضه ستين ذراعاً، وهي أمارة علىٰ السعة الكبيرة خصوصاً مع ملاحظة حكم الطرق في ذلك الزمان، فعن أبي جعفر عليه السلام: «... ويوسع الطريق الأعظم فيصير ستين ذراعاً...»[١].

٢ - كسر الأجنحة الخارجة في الطريق:

وهناك عمل آخر يأمر به الإمام عجل الله فرجه وهو إزالة الأبنية من الجدران الخارجة من الطريق والتي هي تضيق فضاء الطريق وتسبب أذىٰ للمارة.

إن الإمام القائم عجل الله فرجه هو إمام الإنسانية ويريد للناس العيش براحة وطمأنينة وسعادة وسلامة، فيعمد علىٰ إزالة هذه الأجنحة[٢] للحفاظ علىٰ سلامة المارة، وأيضاً لكي يحافظ علىٰ سلامة البيوت والسكان، فكم من حوادث ربما يكون سببها مركبات السير نتيجة الاصطدام بالبيوت بسبب هذه الأجنحة.

أمّا فتوىٰ الفقهاء بجواز إخراج الأجنحة فهذا لا يتعارض مع الخبر المتقدم لأن الفقهاء قيَّدوا ذلك بعدم الضرر، وفي زمان الإمام عجل الله فرجه نحتمل أن تكون هذه الأجنحة مضرة بالطريق، هذا فضلاً عن أن الإمام عجل الله فرجه له الولاية المطلقة علىٰ الناس في دولته الواسعة المباركة.

يقول صاحب الوسائل تعليقاً علىٰ الخبر المتقدم: (وذكر جماعة من علمائنا منهم العلامة والشهيد الثاني أنه لا بأس بإخراج الرواشن[٣] والأجنحة

١. الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٧٥.
٢. الجناح: ما يبنىٰ فوق الطريق من شرفات يستفاد منها كبيوت سكنىٰ. [تخطيط المدن في الإسلام: ١٢٣].
٣. الرواشن: جمع روشن وهي أن تخرج أخشاباً إلىٰ الدرب ويبنىٰ عليها ويجعل عليها قوائم من أسفل. [مجمع البحرين: ٦/ ٢٥٥].

إلىٰ الطرق النافذة إذا كانت لا تضر بالطريق لاتفاق الناس عليه في جميع الأعصار والأمصار من غير نكير وسقيفة بني ساعدة وبني النجار أشهر من الشمس في رابعة النهار وقد كانتا بالمدينة في زمن النبي صلى الله عليه وآله)[١].

٣ - إبطال الكنف والمآزيب:

في الرواية السابقة أن الإمام عجل الله فرجه يبطل الكنف والمآزيب إلىٰ الطرقات.

والكنف: جمع كنيف وهو أن أهل العراق كانوا يسمون ما أشرعوا أعالي دورهم كنيفاً[٢].

أمّا المآزيب: فهي مجاري المياه من السطح، فهذه من الأمور التي قد تسبب أذىٰ للناس فضلاً عن أنها قد تكون ظاهرة غير حضارية لا تنسجم مع الطراز المعماري لعاصمة الدولة العالمية.

والإمام عجل الله فرجه سوف يزيل هذه الكنف والمآزيب سواء كان ذلك في الطريق الأعظم أم غيره من الطرق التي يحتاجها الناس.

٤ - تعمير جميع الخراب الذي يكون علىٰ الأرض:

عن محمد بن مسلم الثقفي، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام: «القائم منا منصور بالرعب... ويظهر الله عز وجل دينه علىٰ الدين كله ولو كره المشركون، فلا يبقىٰ في الأرض خراب إلّا قد عُمّر...»[٣].

وهذا المقطع من الرواية «فلا يبقىٰ في الأرض خراب إلّا قد عُمّر» يدل علىٰ أن آخر الزمان وقبل ظهور الإمام عجل الله فرجه.

---

١. وسائل الشيعة: ٢٥/ ٤٣٦.

٢. هامش الأنوار البهية: ٣٨٣.

٣. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٣١.

ففي النصوص الشريفة أن ثلث العالم يموت بالموت الأحمر وثلثاً آخر يموت بسبب الموت الأبيض وهو الطاعون.

فعن سليمان بن خالد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «قدّام القائم موتتان: موت أحمر وموت أبيض، حتىٰ يذهب من كل سبعة خمسة، الموت الأحمر السيف، والموت الأبيض الطاعون»[١].

وعن محمد بن مسلم وأبي بصير قالا: سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول: «لا يكون هذا الأمر حتىٰ يذهب ثلثا الناس»، فقلنا: إذا ذهب ثلثا الناس فمن يبقىٰ؟ فقال: «أما ترضون أن تكونوا في الثلث الباقي»؟[٢].

وعن ابن حماد بسند عن أمير المؤمنين عليه السلام: «لا يخرج المهدي حتىٰ يقتل ثلث ويموت ثلث ويبقىٰ ثلث»[٣].

إذا عرفنا حجم الخراب الذي يحصل في الأرض يتبين لنا أهمية وضرورة الإعمار الذي يقوم به الإمام عجل الله فرجه ولا يقتصر ذلك علىٰ منطقة جغرافية محددة، بل هو إعمار واسع يشمل جميع مناطق الدولة العالمية وهو معنىٰ قول الإمام الباقر عليه السلام: «فلا يبقىٰ في الأرض خراب إلّا قد عُمّر» وجاء حرف التحقيق هنا (قد) لغرض التأكيد علىٰ ذلك فضلاً عن أسلوب الحصر الذي جاءت به العبارة الشريفة.

ونحن قد أمرنا في زمن الغيبة بالدعاء للإمام المهدي عجل الله فرجه في توفيقه وتسديده لعمران البلاد حيث جاء في دعاء العهد المروي عن الإمام الصادق عليه السلام: «واعمر اللهم به بلادك»[٤].

---

١. كمال الدين وتمام النعمة: ٦٥٥.

٢. الغيبة للشيخ الطوسي: ٣٣٩.

٣. معجم أحاديث الإمام المهدي عجل الله فرجه: ٣/ ٢١.

٤. المزار ابن المشهدي: ٦٦٥.

وهذه الفقرة من الدعاء تقوّي العلاقة النفسية بين الداعي وبين الإمام عجل الله فرجه حيث يستشعر المؤمن بالمشاركة في التمهيد لهذا العمران العظيم، ولو كان ذلك التمهيد من خلال الدعاء وعن طريق الطلب من الله تعالىٰ بتهيئة الأسباب للظهور الشريف لمولانا الحجة عجل الله فرجه لكي يقوم بتعمير الأرض.

ولعل نسبة البلاد إلىٰ الله تعالىٰ فيه تعظيم وتبجيل لشأن الأرض الذي يقوم إمامنا عجل الله فرجه بأحيائها وتعميرها.

المبحث الثالث: إخراج البركات الإلهية:

ورد في النصوص الشريفة أن البركات الإلهية والنعم الربانية سيعطيها الله تعالىٰ للإنسان ببركة دولة الإمام القائم عجل الله فرجه وإذا نظرنا إلىٰ هذه النصوص نلاحظ أن هناك بركات متعددة يتم إخراجها إلىٰ الناس منها الأمطار والنبات والكنوز والمعادن وازدهار الثروة الحيوانية وغيرها.

١ - الأمطار:

إن وجود شحة في الأمطار وقلة المياه وجفاف الأنهار لا ينافي ما ورد في جملة من علامات الظهور ووجود فيضان في نهر الفرات حتىٰ أن مياهه تدخل في طرق الكوفة، فعن أبي عبد الله عليه السلام: «سنة الفتح ينبثق الفرات حتىٰ يدخل في أزقة الكوفة»[1]، إذ إن هذا الفيضان هو حدث وعلامة خاصة غير مستمرة بخلاف الجفاف ونقص الموارد المائية فإنها حالة عامة قبل الظهور الشريف.

أمّا قبل الظهور بسنة فتحدث زيادة غير طبيعية في الموارد المائية بسبب الأمطار الغزيرة المباركة حيث تصف الرواية سنة الظهور بأنها سنة غيداقة

١. معجم أحاديث الإمام المهدي عجل الله فرجه: ٣/ ٤٨٧.

نظراً لكثرة الأمطار، ويمكن اعتبار ذلك علامة من علامات ظهوره عجل الله فرجه.

فعن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إن قدام القائم لسنة غيداقة يفسد التمر في النخل فلا تشكوا في ذلك»[١].

وتصف بعض النصوص أن هناك أربعاً وعشرين مطرة وهي أيضاً من علامات الظهور، فعن سعيد بن جبير، قال: «إن السنة التي يقوم فيها المهدي عليه السلام تمطر الأرض أربعاً وعشرين مطرة ترىٰ آثارها وبركاتها»[٢].

وتزداد الأمطار في دولة القائم عجل الله فرجه وتزدهر الزراعة ويعم الرخاء ويزول الفقر كما تشير نصوص كثيرة إلىٰ ذلك، منها عن النبي صلى الله عليه وآله: «... يملأ الأرض قسطاً وعدلاً وتنبت الأرض نباتها وتمطر السماء مطرها وتنعم أُمتي في ولايته نعمة لم ينعموا مثلها»[٣].

وأيضاً عنه صلى الله عليه وآله قال: «يرضىٰ عنه ساكن السماء وساكن الأرض ولا تدع السماء قطرها شيئاً إلّا صبته ولا الأرض من نباتها إلّا أخرجته حتىٰ تتمنىٰ الأحياء الأموات»[٤].

وفي رواية: «... تعطي الأرض زكاتها والسماء بركتها»[٥].

وعن النبي صلى الله عليه وآله: «إذا ظهر المهدي في أمتي أخرجت الأرض زهرتها وأمطرت السماء مطرها»[٦].

---

١. الغيبة للشيخ الطوسي: ٤٤٩.
٢. الإرشاد: ٢/ ٣٧٣.
٣. التشريف بالمنن في التعريف بالفتن (الملاحم والفتن): ٣٢٤.
٤. التشريف بالمنن في التعريف بالفتن (الملاحم والفتن): ١٤٦.
٥. الفتن: ٢٢١.
٦. شرح إحقاق الحق: ١٩/ ٦٧٧.

٢ - النبات:

تشكل الزراعة مورداً هاماً من الموارد الاقتصادية ويمكن اعتبارها عموداً فقرياً لاقتصاد الدول.

والزراعة في دولة القائم عجل الله فرجه تكون مزدهرة بسبب نشاط الناس في العمل والسبب الأهم هو التدخل الإلهي وبركات وجود الإمام عجل الله فرجه فينبت النبات وتنمو المحاصيل الزراعية، وقد تقدم في النصوص السابقة بعض الفقرات الدالة علىٰ ذلك ونذكرها هنا اختصاراً:

«... وتنبت الأرض نباتها...»[١]، «... ولا الأرض من نباتها شيئاً إلّا أخرجته...»[٢]، «... تعطي الأرض زكاتها...»[٣]، «... أخرجت الأرض زهرتها...»[٤]، «... وتخرج الأرض نباتها...»[٥].

٣ - الكنوز:

الكنوز هي الموارد الثمينة الموجودة في باطن الأرض من ذهب ومعادن وغيرها وسوف يخرجها الله تعالىٰ إلىٰ الإمام القائم عجل الله فرجه، وهذه الكنوز تشكل عاملاً مهماً من عوامل الازدهار الاقتصادي في الدولة المباركة، ونكتفي هنا بالإشارة إلىٰ بعض النصوص.

عن أبي عبد الله عليه السلام: «إن قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربها واستغنىٰ العباد عن ضوء الشمس، وذهبت الظلمة، ويعمر الرجل في ملكه حتىٰ يولد

---

١. التشريف بالمنن في التعريف بالفتن (الملاحم والفتن): ٣٢٣.
٢. التشريف بالمنن في التعريف بالفتن (الملاحم والفتن): ١٤٦.
٣. الفتن: ٢٢١.
٤. شرح إحقاق الحق: ١٩/ ٦٧٧.
٥. التشريف بالمنن في التعريف بالفتن (الملاحم والفتن): ٢٧٥.

لـه ألـف ذكـر لا تولـد فيهـم أنثـىٰ، وتظهـر الأرض كنوزهـا حتـىٰ تراهـا النـاس علىٰ وجهها، ويطلـب الرجـل منكـم مـن يصلـه بمالـه ويأخـذ مـن زكاتـه لا يوجـد أحـد يقبـل منـه ذلـك، اسـتغنىٰ النـاس بـما رزقهـم الله مـن فضلـه»[١].

وعـن أبي جعفـر محمـد بـن عـلي الباقـر عليه السلام يقـول: «القائـم منـا منصـور بالرعـب مؤيـد بالنـصر تطـوىٰ لـه الأرض وتظهـر لـه الكنـوز...»[٢].

وعـن الإمـام موسـىٰ بـن جعفـر عليهما السلام: «... يسـهل الله لـه كل عسـير ويذلـل لـه كل صعـب ويظهـر لـه كنـوز الأرض...»[٣].

المبحث الرابع: التوزيع العادل للثروة:

مبـدأ العدالـة مـن المبـادئ المهمـة التـي يـسرع الإمـام عجل الله فرجه بتطبيقهـا في طريقـه لحـل مشـكلة الفقـر والحرمـان، ويقـول الإمـام الكاظـم عليه السلام: «... لـو عـدل النـاس لاستغنوا...»[٤].

ويقـول الإمـام أمـير المؤمنـين عليه السلام: «بالعـدل تتضاعـف الـبركات»[٥]، وعـن الإمـام الصـادق عليه السلام: «... مـا أوسـع العـدل» ثـم قـال: «يسـتغنون إذا عـدل فيهـم وتنـزل السـماء رزقهـا وتخـرج الأرض بركتهـا بـإذن الله»[٦].

مـن البرامـج العمليـة المهمـة التـي يقـوم بهـا الإمـام عجل الله فرجه بتنفيذهـا لغـرض تحقيـق العدالـة الاقتصاديـة هـو قيامـه بتقسـيم الأمـوال والثـروات بالتسـاوي بـين

---

١. بحار الأنوار: ٥٢/ ٣٢٧.
٢. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٣١.
٣. كمال الدين وتمام النعمة: ٣٦٩.
٤. الكافي: ١/ ٥٤٢.
٥. مستدرك الوسائل: ١١/ ٣٢٠.
٦. روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه: ٣/ ١٥٤.

الناس وليس بالتفاوت، لأن التفاوت قد يخلق البغضاء والشحناء بين أفراد المجتمع.

ورد في الرواية عن الإمام الباقر عليه السلام: «... إذا قام قائم أهل البيت قسم بالسوية، وعدل في الرعية، فمن أطاعه فقد أطاع الله...»[١].

وعن الرسول صلى الله عليه وآله: «أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي علىٰ اختلاف من الناس وزلزال يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضىٰ عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحاً»، فقال رجل: ما صحاحاً؟ قال: «بالسيوية بين الناس...»[٢].

سؤال وجواب:

ورد في النص الشريف أن الإمام المهدي عجل الله فرجه يلبس لباساً غليظاً ويأكل الطعام الجشب[٣]، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «... فوالله ما لباسه إلّا الغليظ، وما طعامه إلّا الجشب...»[٤].

السؤال:

لماذا يمارس الإمام عجل الله فرجه هذا اللون من الزهد في الملبس والمأكل مع أن كل الأمور متاحة له من رفاهية وترف ونعومة عيش وعنده كنوز الأرض وبركات السماء؟

الجواب:

لأن مقام الإمامة يقتضي ذلك وهو المعهود من آبائه عليهم السلام.

---

١. الغيبة للشيخ النعماني: ٢٤٣.
٢. بحار الأنوار: ٥١/ ٩٢.
٣. الجشب بمعنىٰ الغليظ الخشن.
٤. الغيبة للشيخ النعماني: ٢٣٩.

نتائج البحث:

يحتل البحث في الجانب الاقتصادي - لغرض رسم معالم الدولة المهدوية - مساحة واسعة ومهمة، وما ينتهي إلىٰ نتائج من تطوير ونمو اقتصاد الفرد والمجتمع وبمكن الخروج بالنتائج التالية:

١ - تم الوقوف علىٰ الأسباب المهمة للفقر والتخلف الاقتصادي وإعطاء الحلول والمعالجات المناسبة لمشكلة الفقر.

٢ - إبراز الاستراتيجيات التي يقوم بها الإمام المهدي عجل الله فرجه للقضاء علىٰ الفقر، وبالتالي تطوير اقتصاد الدولة وازدهارها.

٣ - إن التطور والازدهار الاقتصادي يشمل جميع مناطق العالم بلا استثناء حتىٰ القرىٰ الصغيرة، وهذا أمر قد لا يعهد حدوثه في أي زمن من أزمان الغيبة الكبرىٰ.

٤ - يبلغ الازدهار الاقتصادي أوجّه في الدولة العالمية المباركة، فهناك سعة ونوعية في النمو والتطور الاقتصادي لا يكاد العقل المعاصر يحيط به.

المعود
ALMAUOOD

أحداث عصر الظهور
بين الإعجاز والتطور العلمي

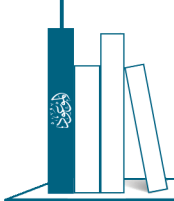

م. د ساجد صباح ميس العسكري

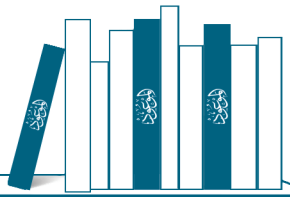

مقدمة:

تُعدّ القضية المهدوية من أهم قضايا الفكر الإسلامي؛ لارتباطها بالإمامة، ولكونها قضية جدلية كثرت الأقوال فيها، وتعددت الآراء بين إفراطٍ وتفريطٍ، فقد أفرط بعضهم في سرد المغيبات التي دلت عليها الروايات من دون إخضاع تلك الروايات لمنهج النقد العلمي، وفرط آخرون عندما رفضوا جميع القضايا الغيبية وأصرّوا علىٰ إخضاعها للمنهج الحسي، وبين هذا وذاك يقع المنهج المعتدل في قراءة القضية المهدوية.

ومن المسائل المرتبطة بالقضية المهدوية: القضايا الإعجازية الخارقة، سواء كانت قبل الظهور المبارك أم بعده.

وجاء هذا البحث الموسوم (أحداث عصر الظهور بين الإعجاز والتطور العلمي) ليميز ما هو معجزٌ وما هو غير معجزٍ، وفق شروط وقوانين المعجزة.

وعُنْون البحث بأحداث الظهور ولم يُعَنْون بعلامات الظهور؛ لأنّ الأحداث أعم، تشمل العلامات وغيرها، كما أن العلامات سابقة لعصر الظهور بينما البحث تناول الأحداث قبل الظهور وبعده.

واقتضت طبيعة البحث أن يقسم على مبحثين:

الأول: نظري تأصيلي اختص ببيان مفهوم المعجزة وشرائطها والفرق بينها وبين غيرها من الخوارق.

والثاني: تطبيقي اقتصر على ذكر بعض النماذج المهمة قبل الظهور وبعده، اختصاراً بما يناسب المقام وفق منهج البحث العلمي.

هذا وقد بذل الباحث جهداً ليكون البحث بالصورة المطلوبة، فإن كان كذلك فللّه الحمد أولاً وأخيراً، وإن لم يكن فألتمسكم العذر فالنقص من سمات الممكن.

المبحث الأول: دراسة نظرية في مفهوم المعجزة:

المطلب الأول: مفهوم المعجزة وشرائطها:

أولاً: المعجزة في اللغة:

المعجزة: الجذر اللغوي، والذي له في اللغة معنيان هما:

١ – الضعف: فقد جاء في العين: (عجز: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه. والعجزُ نقيض الحزم. وعَجَزَ يَعْجِزُ عَجْزاً فهو عاجزٌ ضعيفٌ)[١].

وجاء في معجم مقاييس اللغة: (عَجِزَ عَنِ الشَّيْءِ يَعْجِزُ عَجْزاً، فَهُوَ عَاجِزٌ، أَيْ ضَعِيفٌ. وَقَوْلُهُمْ إِنَّ الْعَجْزَ نَقِيضُ الْحَزْمِ فَمِنْ هَذَا؛ لِأَنَّهُ يَضْعُفُ رَأْيُهُ... وَمِنَ الْبَابِ: الْعَجُوزُ: الْمَرْأَةُ الشَّيْخَةُ، وَالْجَمْعُ عَجَائِزُ)[٢].

١. معجم العين، الفراهيدي: ١/ ٢١٥.

٢. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس: ٤/ ٢٣٢.

٢- مؤخر الشيء: (فَالْعَجُزُ: مُؤَخَّرُ الشَّيْءِ، وَالْجَمْعُ أَعْجَازٌ، حَتَّىٰ إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: عَجُزُ الْأَمْرِ، وَأَعْجَازُ الْأُمُورِ)[١]، وقال الراغب: (وأَعْجَزْتُ فلاناً وعَجَّزْتُهُ وعَاجَزْتُهُ: جعلته عَاجِزاً)[٢].

أمّا الإعجاز فمشتق من الفعل الرباعي (أعجز) وتعني الفوت والسبق، يقال: أعجزه الأمر أي فاته، ويقال: أعجز الرجل خصمه: أي سبقه وغلبه[٣].

ثانياً: المعجزة في الاستعمال القرآني:

جاءت الإشارة إلىٰ المعجزة في القرآن الكريم بالجذر اللغوي ومشتقاته كثيراً نحو:

قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آياتِنا مُعاجِزِينَ أُولئِكَ أَصْحابُ الْجَحِيمِ﴾ (الحج: ٥١).

وقوله تعالىٰ: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ﴾ (يونس: ٥٣).

وجاءت الإشارة إليها بألفاظ أخرىٰ منها:

١ - الآية: قال تعالىٰ: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لَئِنْ جاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِها قُلْ إِنَّمَا الْآياتُ عِنْدَ اللهِ وَما يُشْعِرُكُمْ أَنَّها إِذا جاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنعام: ١٠٩).

٢ - البينة: قال تعالىٰ علىٰ لسان موسىٰ عليه السلام: ﴿وَإِلىٰ ثَمُودَ أَخاهُمْ صالِحاً قالَ يا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ ما لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرُهُ قَدْ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ

١. المصدر نفسه: ٤/ ٢٣٣.
٢. المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٥٤٧.
٣. ينظر: لسان العرب، ابن منظور: ٥/ ٣٧١.

رَبِّكُمْ هذِهِ ناقَةُ اللهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللهِ وَلا تَمَسُّوها بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ﴾ (الأعراف: ٧٣).

ثالثاً: المعجزة في الاصطلاح:

عُرِّفت المعجزة بتعريفات متعددة، فعرَّفها الخواجة نصير الدين الطوسي (ت٦٧٢هـ) بأنها: (ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوة)[١].

وعرفها السيوطي (ت٩١١هـ) بقوله: (أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، مصون عن المعارضة)[٢].

وعرفها الزرقاني (ت ١٣٦٧هـ) بأنها: (أمرٌ يعجز البشر متفرقين ومجتمعين عن الإتيان بمثله أو هي أمر خارق للعادة خارج عن حدود الأسباب المعروفة يخلقه الله تعالىٰ علىٰ يد مدَّعي النبوة عند دعواه إيّاها شاهداً علىٰ صدقه)[٣].

وجاء تعريف العلامة البلاغي بقيود أكثر مما تقدم فعرفها بقوله: (المعجزة هو الذي يأتي به مدَّعي النبوة بعناية الله الخاصة، خارقاً للعادة وخارجاً عن حدود القدرة البشرية وقوانين العلم والتعلم، ليكون بذلك دليلاً علىٰ صدق النبي وحجيته في دعواه النبوة ودعوته)[٤].

فذكر العلامة البلاغي في تعريفه أن المعجزة خاصة بالأنبياء عليهم السلام، وذكر أيضاً البُعد الوظيفي للمعجزة بقوله: (ليكون بذلك دليلاً علىٰ صدق النبي...).

---

١. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، العلامة الحلي: ٢٥٥.
٢. الاتقان في علوم القرآن: ٤/ ٣.
٣. مناهل العرفان، الزرقاني: ١/ ٧٣.
٤. آلاء الرحمن، البلاغي: ١/ ٢٣.

وما ذكره من قيد بقوله: (خارقاً للعادة)، يقصد به أن المعجزة خرق لقوانين الطبيعة، وفوق قدرة الإنسان ولا يقصد بالعادة المصطلح الأشعري الذي يقضي أن لا تلازم ذاتياً بين العلة والمعلول، وإنما اقتضت العادة أن يكون هناك تلازم، فمثلاً التلازم بين النار والحرارة ومسألة الأكل والشبع لا تلازم ذاتياً بينهما على حد قولهم، وإنما كل ذلك حصل بسبب اقتضاء العادة على ذلك، وهذا ما أكده أبو حامد الغزالي بقوله: (الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا)[١]، وإنما تترسخ تلك العادة في الأذهان بسبب (استمرار العادة بها مرة بعد أخرى يرسخ في أذهاننا جريانها على وفق العادة ترسيخاً لا تنفك عنه)[٢].

وعرّف السيد الطباطبائي المعجزة بأنها: (الأمر الخارق للعادة الدال على تصرف ما وراء الطبيعة في عالم الطبيعة ونشأة المادة لا بمعنى الأمر المبطِل لضرورة العقل)[٣].

وفي هذا التعريف يُشير السيد الطباطبائي إلى البعد الفلسفي للمعجزة، كونها تقع تحت نظام العلية، ولم يشر إلى ارتباط المعجزة بالأنبياء أو بغيرهم، بل ما من شأنه أن يكون أعلى من قوانين الطبيعة فهو معجز، فلم تكن المعجزات العلة الوحيدة لإيجاد الشيء، وإنما العلة التي حدثت بسببها المعجزة غير متعارفة عند الناس (فإبراء الأكمه والأبرص مثلاً يحصل حسب العلة المتعارفة من خلال تناول الدواء المخصوص إلّا أن ذلك لا يمنع أن يكون للإبراء علة أخرى لم يشاهدها الناس من قبل ولم يطّلع عليها العلم الطبيعي

١. تهافت التهافت، ابن رشد: ٧٧٧
٢. تهافت الفلاسفة، الغزالي: ١٠٥.
٣. تفسير الميزان: ١/ ٧٣.

المتعارف عندهم، فالمعجزة ليست صدور المعلول بلا علة، بل هي صدوره من علة غير معروفة للناس ولم تتداولها العلوم الطبيعية المتعارفة)[١].

وبذلك تكشف المعجزة عن عجز القانون الطبيعي عن تحقيق بعض الأمور التي لا يمكن أن تحدث إلّا من قبل مدبر الكون.

وعرفها السيد الخوئي قدس سره بأنها: (أن يأتي المدعي لمنصب من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه)[٢].

فقد ذكر في التعريف شروط المعجزة وبعدها الوظيفي ووسّع من دائرة المعجزة لتشمل الإمام المعصوم عليه السلام كون الإمامة منصباً إلهياً، وهذا التعريف هو الراجح عند الباحث كونه جامعاً مانعاً.

وبهذا يكون تعريف السيد الخوئي قدس سره أتم وأشمل، ولكن قد سجل بعضهم ملاحظة على تعريف السيد الخوئي قدس سره وهو أنه ليس بالضرورة أن يكون المعجز أمراً خارقاً لنواميس الطبيعة، إذ يرى الشيخ ضياء الدين زين الدين أن المعجز قد يكون ضمن نواميس وقوانين الطبيعة ولكن ضمن شرطها الأتم ومستوى تحققها الأعلى[٣].

المطلب الثاني: شروط المعجزة:

ذكر العلماء للمعجزة شروطاً كثيرةً، ومن مجموع التعريفات المتقدمة للمعجزة يتبين أن من أهم شروط المعجزة هي:

١ – أن تقترن المعجزة مع الدعوى، فلو تقدمت أو تأخرت عن دعواه لما عدّت معجزة، وكذا إذا حصلت من دون دعوى، فمثلاً رد الشمس للإمام

١. الإعجاز بين النظرية والتطبيق، كمال الحيدري: ٢٠.
٢. البيان، أبو القاسم الخوئي: ٣٣.
٣. ينظر مبادئ عامة في التدبر القرآني، ضياء الدين زين الدين: ٢ / ٣٥

علي عليه السلام وإن كانت خارقة يعجز البشر عن الإتيان بمثلها، إلّا أنها لا تعدّ معجزة لعدم اقترانها بدعوىٰ الإمام عليه السلام ذلك، وبذلك تخرج الكرامة عن دائرة الإعجاز.

٢ - عجز الغير عن الإتيان بمثلها، قال القرطبي: (مِنْ شُرُوطِهَا - المعجزة - أَنْ تَكُونَ مِمَّا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا إِلَّا اللهُ سُبْحَانَهُ. وَإِنَّمَا وجب حصول هذا الشرط للمعجزة لأنه أَتَىٰ آتٍ فِي زَمَانٍ يَصِحُّ فِيهِ مَجِيءُ الرسل وادعىٰ الرسالة وجعل معجزته أن يَتَحَرَّكَ وَيَسْكُنَ وَيَقُومَ وَيَقْعُدَ لَمْ يَكُنْ هَذَا الَّذِي ادَّعَاهُ مُعْجِزَةً لَهُ، وَلَا دَالًّا عَلَىٰ صِدْقِهِ لِقُدْرَةِ الْخَلْقِ عَلَىٰ مِثْلِهِ، وَإِنَّمَا يَجِبُ أَنْ تَكُونَ الْمُعْجِزَاتُ كَفَلْقِ الْبَحْرِ، وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ، وَمَا شَاكَلَهَا مِمَّا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا الْبَشَرُ)[١].

وبذلك يخرج السحر والنبوغ العلمي عن دائرة الإعجاز لأنها من الأمور التي يمكن أن يؤتىٰ بمثله، كونها قابلة للعلم والتعلم.

٣ - أن تكون المعجزة شاهداً علىٰ صدق المدَّعي للمنصب الإلهي، فإذا امتنع صدق دعواه بحكم العقل كأن يدَّعي المدَّعي أنه إله، أو بحكم النقل الثابت عن المعصوم كأن يدَّعي شخص النبوة بعد النبي محمد صلى الله عليه وآله فإن ذلك لا يكون شاهداً علىٰ صدق الدعوىٰ ولا يسمىٰ ما يأتي به معجزة[٢].

والمنصب الإلهي أعم من النبوة، فتشمل الإمامة أيضاً، ومن الشواهد علىٰ ذلك تكليم الحجر للإمام السجاد عليه السلام عندما أراد إثبات إمامته، عندما كانت الناس تشكك بإمامته وتقول بإمامة محمد بن الحنفية[٣].

---

١. تفسير القرطبي: ١/ ٧٠.

٢. ينظر البيان، أبو القاسم الخوئي: ٣٥.

٣. ينظر: مستدرك سفينة البحار، الشاهرودي: ٩/ ١٧٣.

٤ – أن تكون مطابقة لدعوىٰ مدَّعي النبوة، قال القرطبي في بيانه لشروط المعجزة: (وَإِنَّمَا وَجَبَ اشْتِرَاطُ هَذَا الشَّرْطِ لِأَنَّهُ لَوْ قَالَ الْمُدَّعِي لِلرِّسَالَةِ: آيَةُ نُبُوَّتِي وَدَلِيلُ حُجَّتِي أَنْ تَنْطِقَ يَدِي أَوْ هَذِهِ الدَّابَّةُ فَنَطَقَتْ يَدُهُ أَوِ الدَّابَّةُ بِأَنْ قَالَتْ: كَذَبَ وَلَيْسَ هُوَ نَبِيٌّ فَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ الَّذِي خلقه الله تعالىٰ دال علىٰ كذب الْمُدَّعِي لِلرِّسَالَةِ، لِأَنَّ مَا فَعَلَهُ اللهُ لَمْ يَقَعْ عَلَىٰ وفْقِ دَعْوَاهُ.

وَكَذَلِكَ مَا يُرْوَىٰ أَنَّ مُسَيْلَمَةَ الْكَذَّابَ لَعَنَهُ اللهُ تَفَلَ فِي بِئْرٍ لِيَكْثُرَ مَاؤُهَا فَغَارَتِ الْبِئْرُ وَذَهَبَ مَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْمَاءِ، فَمَا فَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ مِنْ هَذَا، كَانَ مِنَ الْآيَاتِ الْمُكَذِّبَةِ لِمَنْ ظَهَرَتْ عَلَىٰ يَدَيْهِ، لِأَنَّهَا وَقَعَتْ عَلَىٰ خِلَافِ مَا أَرَادَهُ الْمُتَنَبِّئُ الْكَذَّابُ)[1].

٥ – أن تكون المعجزة متناسبة مع ما هو مشهور في عصر حدوثها وهذا ما عبّر عنه السيد الخوئي بقوله: (خير المعجزات ما شابه أرقىٰ فنون العصر)[2]، فمثلاً لما كان الرائج في زمن موسىٰ عليه السلام هو السحر جاء بما يفوق السحر، ولما كان الرائج في زمن عيسىٰ عليه السلام هو الطب جاء بما يفوق الطب، ولما كان الرائج في زمن النبي صلى الله عليه وآله البلاغة جاء بما يفوق بلاغة الشعر، فقد روي عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «إن الله لمّا بعث موسىٰ عليه السلام كان الغالب علىٰ أهل عصره السحر، فآتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجة عليهم، وأن الله بعث عيسىٰ عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزمانات واحتاج الناس إلىٰ الطب، فآتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيىٰ لهم الموتىٰ، وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجة عليهم، وأن الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله في وقت كان الغالب علىٰ

١. تفسير القرطبي: ١/ ٧١.

٢. البيان، ابو القاسم الخوئي: ٣٢.

أهل عصره الخطب والكلام - وأظنه قال: الشعر - فآتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم، وأثبت به الحجة عليهم»[١].

ولعل هذا الشرط كمالي وليس شرطاً أساسياً، فكثير من الأنبياء لهم معجزات متعددة، ولعل هذا الأمر يكون في المعجزات الكبرىٰ كما في الأمثلة المتقدمة.

المطلب الثالث: الفرق بين المعجزة والخوارق الأخرىٰ:

أولاً: الفرق بين المعجزة والكرامة:

عُرفت الكرامة بأنها: (أمرٌ خارقٌ للعادة يظهره الله تعالىٰ علىٰ يد عبد من عباده الصالحين حياً أو ميتاً إكراماً له، فيدفع به عنه ضراً أو يحقق له نفعاً أو ينصر به حقاً)[٢].

وعُرفت أيضاً: (فعلٌ لله سبحانه يكرم الله به من يشاء من عباده)[٣]، ومن الكرامات التي ذُكرت في القرآن الكريم، الطعام الذي كان ينزل علىٰ مريم عليها السلام، قال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (آل عمران: ٣٧).

ومن الكرامات ما حصل لأصحاب الكهف وغيرها[٤].

وبهذا يتبين أن الكرامة تشترك مع المعجزة في كونها من الخوارق التي يعجز عن إيتائها البشر، وكذا في كونهما تجريان علىٰ أيدي الصالحين،

١. الكافي، الكليني: ١/ ٢٥.
٢. فتاوىٰ اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، أحمد بن عبد الرزاق الدويش: ١/ ٣٨٨.
٣. اعجاز القرآن، فضل عباس: ٢٢.
٤. ينظر المصدر نفسه.

ولكن تفترق الكرامة عن المعجزة بأمرٍ مهمٍ يُعد أحد شروط المعجزة وهو: عدم اقترانها بدعوىٰ منصب إلهي علىٰ خلاف المعجزة التي تقترن مع هذه الدعوىٰ.

ثانياً: الفرق بين المعجزة والسحر:

يُخيل للناس أن السحر من الخوارق ولكنه ليس كذلك فهو في أكثره خداع للبصر، وهو مما يمكن أن يُتعلم، فهو خاضع لقوانين علمية قابلة للتعلم فقد عُرّف السحر بأنه: (أمرٌ غريب يشبه الخارق وليس به، إذ يجري فيه التعلم ويستعان في تحصيله بالتقرب إلىٰ الشيطان واعتقاداً كاستحسان ما يوجب التقرب إليه ومحبته إياه)[١].

وتفترق المعجزة عن السحر بعدة أمور، أهمها[٢]:

١ - إن المعجزة لا تجري إلّا علىٰ يد الصادق ويمكن للسحر أن يجري علىٰ يد الكاذب والمخادع.

٢ - إن المعجزة وظيفتها إثبات دعوىٰ إلهية من شأنها أن تكون طريقاً لهداية الناس، بخلاف السحر الذي غالباً ما يكون للإضرار بالناس.

٣ - إن المعجزة لا يستطيع أحد أن يأتي بمثلها، بينما السحر يمكن أن يُتحدىٰ، لأنه قابل للعلم والتعلم، قال الزرقاني: (المعجزة نفحة من نفحات الحق تخرج عن أفق الأسباب المعتادة والوسائل المشاهدة والغايات المألوفة.

أمّا السحر وما أشبهه فإنها فنون خبيثة ذات قواعد وأوضاع يعرفها كل من ألمّ بها ويصل إلىٰ وسائلها وغاياتها كل من عالجها من بابها. ولهذا كان أول

١. روح المعاني، الآلوسي: ٢/ ٣٤٥

٢. ينظر: اعجاز القرآن الكريم، فضل عباس: ٢٣.

من آمن بموسىٰ هم السحرة أنفسهم لأنهم أعلم بهذا الفرق الواضح والبون الشاسع)[١].

ثالثاً: الفرق بين المعجزة والنبوغ العلمي:

النبوغ والسبق العلمي وإن كان في بعض الأحيان من الخوارق، ولكنه لا يخرج عن دائرة العلم والتعلم فليس هو كالمعجزة والكرامة التي يعجز البشر عن الإتيان بمثلها، كل ما في الأمر أن المبتكر سبق غيره للوصول إلىٰ ما وصل إليه.

وهذا ما أشار إليه السيد محمد باقر الحكيم ﷺ بقوله: (إن سبق النوابغ من العلماء في الحقول العلمية، لا يعتبر معجزة، فإذا افترضنا أن شخصاً من العلماء اليوم سبق أنداده، ونجح في اكتشاف الورم السرطاني مثلاً والمادة التي تقضي عليه، فهو يستطيع بحكم اكتشافه أن يبرأ مريضاً من السرطان، بينما يعجز عن ذلك جميع العلماء الآخرين، ولكن عمله هذا ليس معجزة لأنه إنما يتحدىٰ جهل العلماء الآخرين بالسر والعلة والدواء)[٢].

المبحث الثاني: أحداث عصر الظهور بين الإعجاز الغيبي والتطور العلمي:

المطلب الأول: ركائز تأسيسية:

قبل الخوض في ذكر أحداث الظهور، وتمييز ما هو معجز عن غيره لابد من التأسيس لمطالب نظرية يرتكز عليها المبحث التالي، ومن أهم تلك المطالب هي:

---

١. مناهل العرفان، الزرقاني: ١/ ٧٧.

٢. علوم القرآن محمد باقر الحكيم: ١٢٨-١٢٩.

أولاً: فلسفة ذكر علامات الظهور:

إن لعلامات الظهور أكثر من هدف، منها: التهيؤ والاستعداد لليوم الموعود، ومن أهم أهداف العلامات هو إثبات حقيقة الإمام المهدي عجل الله فرجه وصدق دعواه، فبعض العلامات فيها بُعدٌ إعجازيٌ، يعرفها أصحاب الاختصاص فيذعنون لها، ويرجع غير العالم بالمعجزة للعالم بها فتكون حجة علىٰ الجميع، كما هو شأن المعجزات[١].

ورد عن المفضل عندما سأل الإمام الصادق عليه السلام عن كيفية معرفة الإمام عجل الله فرجه بعد أن ذكر له الإمام أحداث آخر الزمان حتىٰ بكىٰ خوفاً من عدم معرفة الحق، فقال له الإمام عليه السلام: «والله لأمرنا أبين من هذه الشمس»[٢].

الأمر المهم الذي يجب أن يسجل هنا هو أن علامات الظهور ليست بمرتبة واحدة.

ثانياً: التفريق بين العلامات والشرائط:

ذكرت كتب الأحاديث كثيراً من العلامات، والتي قُسّمت إلىٰ علامات حتمية وغير حتمية، وقسمت بتقسيم آخر إلىٰ علامات تسبق الظهور وعلامات ما بعد الظهور، وقُسمت بتقسيم ثالث إلىٰ ظواهر سماوية وظواهر اجتماعية.

فالعلامات الحتمية: الصيحة، السفياني، اليماني، قتل النفس الزكية، والخسف بالبيداء[٣]، والعلامات غير الحتمية غيرها من العلامات الأخرىٰ.

---

١. ينظر: العقيد المهدوية اشكاليات ومعالجات، أحمد الأشكوري: ١٦٦-١٦٧.

٢. كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٣٤٧.

٣. ينظر: كمال الدين، الصدوق: ٦٥٠.

ومن العلامات التي تسبق الظهور: الصيحة، السفياني... إلخ، ومن العلامات التي تكون ما بعد الظهور: النصر بالرعب وغيره.

ومن العلامات التي تُعد ظواهر طبيعية: الخوف والكسوف، والصيحة... إلخ، ومن العلامات التي تُعد ظواهر اجتماعية: الدجال، يأجوج ومأجوج... إلخ.

وقد أكد العلماء علىٰ ضرورة مراعاة شرائط الظهور والاهتمام بها لأن العلامات لا يتوقف عليها ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه وإنما يتوقف علىٰ الشرائط فالمشروط عدم عند عدم شرطه.

ثالثاً: المهدوية بين الجمود والحداثة:

إن المهدوية تعاني من وجود:

الجمود علىٰ النصوص الروائية دون إعمال للعقل كما هو الحال عند بعض، وبين رفض جميع الروايات التي تشير للغيبيات كما هو عند بعضٍ آخر، فبعضهم ينغمس في المغيبات اعتماداً علىٰ ظاهر النصوص الدينية لدرجة تصوير القضية المهدوية بصورةٍ أقرب ما تكون للخرافة، فهم يُفسرون الأحداث والعلامات بما يخالف معطيات العلم والعقل القطعي، بينما مال دعاة الحداثة إلىٰ تجريد القضية المهدوية من الغيب، وتفسير كل الأحداث والعلامات علىٰ أساس الحس والعقل، من دون مراعاة لظواهر النصوص.

وأمّا الخط الوسطي وهو الذي عليه القضية المهدوية، فلا يرفض الروايات لتضمنها أموراً ميتافيزيقية ولا يرفض تحكيم العقل والعلم في الكشف عن أطروحات محتملة تنسجم مع ظاهر النصوص الدينية، فيجب عقلنة القضية المهدوية من دون رفض للغيب كما أن عدم رفض الغيب لا يعني إلغاء دور العقل[1].

١. ينظر: العقيدة المهدوية إشكاليات ومعالجات: ١٤٩-١٥١.

رابعاً: علامات الظهور بين الإعجاز والرمزية:

ذكرت الروايات علامات عديدة، يمكن حمل بعضها علىٰ الظاهر كخروج السفياني واليماني والحسني، وتحمل بعضها علىٰ الرمزية كما جاء في الروايات عن يأجوج ومأجوج، والتخاطب بين أصحاب الإمام المهدي عجل الله فرجه وأحدهم في الشرق والآخر في الغرب.

هذه العلامات وإن كان بعضها يحمل علىٰ الرمزية، ولكن يبقىٰ من الضروري أن نشير إلىٰ أن الحمل علىٰ الرمزية يبقىٰ أطروحة محتملة تعوض عن التنازل عن أصل الحديث المنسوب للنبي صلى الله عليه وآله)[1].

وتبقىٰ هذه الرمزية أطروحة ظنية، يمكن أن تفسر بأكثر من تفسير، وتحتمل أكثر من مصداق، ولعلنا لم نصل لمعناها الحقيقي، وبمرور الزمن قد ينكشف معنىٰ يتناسب مع ظاهر الروايات، فربما كانت رواية تُحسب معجزة في وقت معين، إلّا أنها مع مرور الوقت تصبح من الأمور المتسالم عليها، كما هو الحال في مسألة التخاطب بين أصحاب الإمام المهدي عجل الله فرجه حتىٰ لو كان أحدهما في المشرق والآخر في المغرب، فقد يفسر هذا التخاطب بأنه من خلال وسائل الاتصال الحديثة.

المطلب الثاني: نماذج من أحداث ما قبل الظهور:

ورد في بعض الروايات ذكر الأحداث التي تسبق عصر الظهور والتي تُعدّ من الخوارق، فبعضها معجزٌ، وبعضها ظواهر طبيعية أثبتها العلم الحديث والتي كانت في وقت سابق غير معروفة علمياً وربما تُعدّ معجزة لعدم إمكانية البشر من الإتيان بمثلها ومن تلك الخوارق والتي هي نفسها علامات الظهور وبعضها من علامات يوم القيامة هي:

١. خطوات علىٰ طريق الإمام المهدي، عماد الهلالي: ٦٨.

أولاً: الخسوف والكسوف في غير وقتهما:

ورد في بعض الروايات أن من العلامات التي تحدث قبل الظهور هي كسوف الشمس في وسط شهر رمضان والخسوف في آخره، فقد روىٰ الكليني بسنده عن بدر بن الخليل الأزدي قال: (كنت جالساً عند أبي جعفر عليه السلام فقال: آيتان تكونان قبل قيام القائم عجل الله فرجه لم تكونا منذ هبط آدم إلىٰ الأرض: تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان والقمر في آخره فقال، رجل: يا ابن رسول الله تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف؟! فقال أبو جعفر عليه السلام: إني أعلم ما تقول ولكنهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام)[١]

والخسوف والكسوف حالة كونية طبيعية، فالخسوف يحصل إذا توسطت الأرض بين الشمس والقمر، ويحدث الكسوف إذا توسط القمر بين الشمس والأرض وما تحصل في علم فيزياء الفلك أن حدوث الكسوف والخسوف في شهر واحد لا إشكال فيه إلا أن الإشكالية في حدوثهما في غير أوانهما، فطبيعة الأمر تقتضي أن يحدث الخسوف في وسط الشهر لا في نهايته وأن يحدث الكسوف في أوله أو في آخره لا في وسط الشهر[٢].

أمّا ما ذكرته الرواية فهو العكس تماماً، وهذا الأمر لا يحصل إلّا بتدخل غيبي إعجازي.

ومن الواضح أن هذا الأمر حتىٰ لو كان ممكناً من الناحية العقلية، فإنه يُعد حالة نادرة وأنه فوق قوانين البشر، أو علىٰ أقل تقدير أنه قانون لم يتوصل إليه البشر بعد، مما يثبت صفة الإعجاز لهذه العلامة، وهذا ما أشارت إليه الروايات صراحة عندما عدّتها آية لم تحدث سابقاً.

---

١. الكافي، الكليني: ٨/ ٢١٢.

٢. ينظر: فيزياء الفضاء، فياض النجم، حميد مجول النعيمي: ١١٣.

فالخسوف والكسوف الذي ذُكر في روايات الظهور يُعدّ إعجازاً غيبياً ممكناً من الناحية العقلية.

ثانياً: الصيحة والنداء والفزعة:

وردت العديد من الروايات التي تنص علىٰ حدوث صيحة في السماء، حتىٰ عُدّت تلك العلامة من العلامات الحتمية، فقد روي عن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: (... وإن من علامات خروجه: خروج السفياني من الشام، وخروج اليماني (من اليمن) وصحية من السماء في شهر رمضان، ومناد ينادي من السماء باسمه واسم أبيه)[١].

وروي الصدوق بسنده عن عمر بن حنظلة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: (قبل قيام القائم خمس علامات محتومات اليماني، والسفياني، والصيحة، وقتل النفس الزكية، والخسف)[٢].

وما رواه السفير الرابع عن الإمام المهدي عجل الله فرجه أنه قال (... ألا فمن ادعىٰ المشاهدة) قبل خروج السفياني والصيحة فهو كذاب مفتر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم)[٣].

كما أن بعض الروايات لم تقتصر علىٰ ذكر الصيحة فقط بل ذكرت وصفها، فقد روىٰ الشيخ الطوسي بسنده عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (النداء من المحتوم، والسفياني من المحتوم، واليماني من المحتوم، وقتل النفس الزكية من المحتوم، وكف يطلع من السماء من المحتوم، قال: وفزعة

١. كمال الدين وتمام النعمة، الصدوق: ٣٢٨.
٢. المصدر نفسه: ٦٥٠.
٣. الغيبة، الطوسي: ٣٩٥.

في شهر رمضان توقظ النائم، وتفزع اليقظان، وتخرج الفتاة من خدرها)[١].

وظاهر هذه الروايات يُشير إلىٰ أن معنىٰ الصيحة هو صوت عظيم وليس كبقية الأصوات، وقرنها بنداء جبرائيل، وقالوا إن الصيحة هي نداء جبرائيل فقد روىٰ الشيخ الطوسي بسنده عن محمد بن مسلم (ينادي مناد من السماء باسم القائم عليه السلام، فيسمع ما بين المشرق إلىٰ المغرب، فلا يبقىٰ راقد إلا قام، ولا قائم إلا قعد، ولا قاعد إلا قام علىٰ رجليه من ذلك الصوت، وهو صوت جبرئيل الروح الأمين)[٢].

وما يلاحظ من الروايات المتقدمة أنها ذكرت ثلاثة ألفاظ وهي: الصيحة والنداء والفزعة، وجميع تلك الألفاظ تُشير إلىٰ معنىٰ مشترك وحادثة واحدة، إلا أن روايات الصيحة والفزعة مجملة، وروايات النداء مفصلة، فتكون روايات النداء أوضح تلك الأخبار فيمكن أن تكون مفسرة لإجمال روايات الصيحة والفزعة، ولا شك أن هذا الصوت من الدلائل الواضحة علىٰ قرب ظهور الإمام المهدي عليه السلام، الأمر الذي يدفع إلىٰ استعداد المؤمنين لنصرته.

ثالثاً: ظهور الدجال:

ورد في العديد من الروايات العامية ذكر الدجال ووصفه، حتىٰ عُدّت تلك الأحاديث من الأحاديث المتواترة علىٰ رأي بعض علمائهم[٣]، فقد أخرج

---

١. الغيبة، النعماني: ٢٦٢.

٢. الغيبة، الطوسي: ٤٥٤.

٣. كتب القاضي محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) كتاباً بعنوان (التوضيح في تواتر ما جاء في المهدي المنتظر والدجال والمسيح) نقلاً عن: علامات الظهور جدلية صراع أم تحديات مستقبل، محمد علي الحلو: ٣٨-٣٩.

مسلم في صحيحه بسنده عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ (لأنا اعلم بما مع الدجال منه معه نهران يجريان أحدهما رأىٰ العين ماء ابيض والآخر رأىٰ العين نار تأجج فإما أدركن أحد فليأت النهر الذي يراه نارا وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد وان الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب)[١].

وأمّا من طرفنا فإن ذكره يكاد يكون معدوماً سوىٰ بعض الروايات ومنها ما أخرجه الشيخ الصدوق بسنده عن الإمام علي عليه السلام في وصف الدجال أنه قال (... يخرج من بلدة يقال لها أصفهان، من قرية تعرف باليهودية، عينه اليمنىٰ ممسوحة، والعين الأخرىٰ في جبهته تضيء كأنها كوكب الصبح، فيها علقة كأنها ممزوجة بالدم، بين عينيه مكتوب كافر، يقرؤه كل كاتب وأمي، يخوض البحار وتسير معه الشمس، بين يديه جبل من دخان، وخلفه جبل أبيض يري الناس أنه طعام، يخرج حين يخرج في قحط شديد تحته حمار أقمر، خطوة حماره ميل، تطوي له الأرض منهلا منهلاً، لا يمر بماء إلا غار إلىٰ يوم القيامة، ينادي بأعلىٰ صوته يسمع ما بين الخافقين من الجن والإنس والشياطين يقول: إلي أوليائي (أنا الذي خلق فسوىٰ وقدر فهدىٰ، أنا ربكم الأعلىٰ...))[٢].

وفي تفسير المقصود بالدجال علىٰ وفق الروايات التي ذكرت أوصافه هناك رأيان هما:

١ - إن الدجال هو شخص اسمه صائد أو صاف ابن صيّاد وأشارت بعض الأخبار إلىٰ أنه ولد في زمن الرسول ﷺ ويبقىٰ حياً حتىٰ ظهور

١. صحيح مسلم: ٨/ ١٩٥.
٢. كمال الدين: ٥٢٧.

المهدي عجل الله فرجه وأنه يهودي الديانة، يدعي الربوبية ويحدث بعض الخوارق عن طريق السحر، وأنه يأمر السماء أن تمطر فتمطر، وأنه سيُقتل علىٰ يد عيسىٰ بن مريم وقد ذكرت له أوصاف وخوارق كثيرة[١].

وهذا القول من الغرائب إلّا أننا نقلناه في مقام البحث العلمي وذكر الأقوال المختلفة فقط.

٢ - إن الدجال هو رمز للحضارة الغربية المادية المعادية الإسلام، وما ذكر من أوصاف تتمثل بأساليب الغزو الثقافي الفكري[٢].

ولا يمكن حمل ما ذكر من الخوارق التي يقوم بها علىٰ أنها معجزة أو كرامة، لأن الله سبحانه لا يجريها إلا علىٰ يد خاصة أوليائه ويمكن حمل كثير من الخوارق علىٰ الرمزية أو إيكالها للعلم الحديث لإيجاد تفسير لها، فمثلاً من تلك الخوارق أن يأمر السماء أن تمطر فتمطر، وهذا الأمر وفق التطور العلمي ممكن ففي بعض الدول هناك تجارب لإحداث أمطار صناعية من خلال تقنيات معينة[٣].

نعم يمكن أن تُعد في زمن سابق أمراً خارقاً ولكن الآن أثبت العلم الحديث إمكانية ذلك بل إن بعض القوىٰ العالمية لها إمكانية التحكم في المناخ وتوجيهه بما تريد بحسب التقارير الإخبارية[٤].

---

١. ينظر: مسند أحمد:٣/ ٣٦٧، وينظر: سنن ابن ماجة:٢/ ١٣٦٠.

٢. تاريخ ما بعد الظهور: ١٤١.

٣. الاستمطار الصناعي.. آفاق وتحديات، مقال للدكتور وحيد محمد مفضل علىٰ الرابط:

http / /:www.aljazeera.net /news /scienceandtechnology

٤. ينظر شهادة أحد علماء الفيزياء الأمريكان علىٰ الرابط:

http / /:eslamelbahrawy.blogspot.com

المطلب الثالث: نماذج من أحداث عصر الظهور:

ورد في بعض الروايات أن للإمام المهدي عجل الله فرجه ولأصحابه مجموعة من المعجزات والكرامات التي تُعد من الخوارق ومنها:

أولاً: أصحاب الإمام المهدي عجل الله فرجه وإمكانية رؤية بعضهم وهم في بلدان مختلفة:

ورد في بعض الروايات أن أصحاب الإمام المهدي عجل الله فرجه يرىٰ بعضهم بعضاً وكل في بلده، ويرون الإمام عجل الله فرجه ويسمعونه وهو في مكانه، ففي الرواية عن الصادق عليه السلام أنه قال: «إن قائمنا إذا قام مدّ الله لشيعتنا في أسماعهم وأبصارهم، حتىٰ لا يكون بينهم وبين القائم بريد يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه، وهو في مكانه»[١].

وفي رواية أخرىٰ عنه عليه السلام أنه قال: «وأن المؤمن في زمانه بالمشرق يرىٰ أخاه الذي في المغرب، وكذا الذي في المغرب يرىٰ أخاه الذي في المشرق»[٢].

وهذه الروايات من السهل جداً حملها علىٰ الظاهر في ظل التطور التقني في عصرنا الحاضر (فليس صعباً الآن وبإنجازات العلم الباهرة: أن يتكلم قائد فيسمعه أفراد رعيته في كل أنحاء العالم، كما أنه أصبح من المعتاد أن يسمع أهل المشرق صوت أهل المغرب، وبالعكس ولعل هناك اختراعات واكتشافات أخرىٰ سيتفتق عنها عقل الإنسان في مستقبل التاريخ ولتكون عوناً ودعماً لحكومة الإمام الواحدة القائدة لجميع العالم)[٣].

١. بحار الأنوار، المجلسي: ٥٢/ ٣٣٦.
٢. مستدرك بحار الأنوار، الشاهرودي: ٣/ ١٨٨.
٣. الإمام المهدي عجل الله فرجه أمل الشعوب، حسن الصفار: ٨١-٨٢.

فليس في هذه الروايات إعجازٌ ولا رمزية، نعم كانت في وقت سابق قبل ظهور تقنيات الاتصال الحديثة إعجازاً، أما اليوم فالأمر طبيعي.

ثانياً: أصحاب الإمام المهدي عجل الله فرجه يمشون على الماء:

روى النعماني في الغيبة بسنده عن الصادق عليه السلام أنه قال: (إذا قام القائم بعث في أقاليم الأرض في كل إقليم رجلا يقول: عهدك في كفك فإذا ورد عليك أمر لا تفهمه ولا تعرف القضاء فيه فانظر إلى كفك واعمل بما فيها، قال: ويبعث جندا إلى القسطنطينية، فإذا بلغوا الخليج كتبوا على أقدامهم شيئا ومشوا على الماء، فإذا نظر إليهم الروم يمشون على الماء قالوا: هؤلاء أصحابه يمشون على الماء، فكيف هو؟! فعند ذلك يفتحون لهم أبواب المدينة، فيدخلونها فيحكمون فيها ما يريدون)[1].

والمقصود بالقسطنطينية عاصمة الروم سابقاً، ولعل المراد منها دول أوربا بشكل عام.

ولا يمكن تفسير سيرهم على الماء أنه سيكون بواسطة السفن، لأن السفن كانت مستعملة آنذاك، ولكن في الرواية اشاره لكرامة لأصحاب الإمام المهدي عجل الله فرجه وإلا فلماذا سيحصل الاستغراب عند الأوربيين من مشي أصحاب الإمام عجل الله فرجه على الماء، ويكون هذا الفعل سبباً في إيمانهم وإتباعهم للإمام عجل الله فرجه؟! ومادام الأوربيون يمتلكون تقنيات علمية هائلة، فلا بد أن استغرابهم واندهاشهم يدل على أن ما حصل ليس خاضعاً لقوانين العلم بل هو قانون أعلى ممّا توصلوا له، فهو إما أمر إعجازي كونه كرامة

١. الغيبة، النعماني: ٣٣٤.

لأصحاب المهدي عجل الله فرجه لغرض هداية الأوربيين، أو أنها تدخل في إطار التطور العلمي والتقني الذي لم يصله العالم بعد وربما هو علم خاص بأصحاب الإمام المهدي عجل الله فرجه فعلىٰ كلا التصورين يكون المشي علىٰ الماء من الخوارق التي تعجز البشرية في وقتها علىٰ أقل تقدير من أن يأتوا بمثلها.

ثالثاً: أن أصحاب المهدي عجل الله فرجه ينتقلون عن طريق السحاب:

روىٰ الصدوق بسنده عن الصادق عليه السلام أنه قال: (لقد نزلت هذه الآية في المفتقدين من أصحاب القائم عليه السلام قوله عز وجل: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللهُ جَمِيعاً﴾ (البقرة: ١٤٨) إنهم ليفتقدون عن فرشهم ليلا فيصبحون بمكة، وبعضهم يسير في السحاب يعرف باسمه واسم أبيه وحليته ونسبه)[١].

وقد ذُكرت هذه الرواية، وغيرها من الروايات في تفسير سرعة اجتماع أصحاب الإمام المهدي عجل الله فرجه في مكة، وقد فسرت بنحويين[٢]:

الأول: أن هذا الأمر إعجازي فهو من قبيل طي الأرض، ففي الرواية عن الباقر عليه السلام أنه قال: (لكأني به في يوم السبت العاشر من المحرم قائما بين الركن والمقام. جبرئيل عليه السلام علىٰ يمينه ينادي البيعة لله فيصير إليه شيعته من أطراف الأرض، تطوىٰ لهم طياً حتىٰ يبايعوه فيملأ الله به الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً)[٣].

١. كمال الدين، الصدوق: ٦٧٢.
٢. تاريخ ما بعد الظهور: ٢٧٠-٢٧١.
٣. الوافي، الفيض الكاشاني: ٢/ ٤٦٧.

ويفهم من الرواية أن اجتماعهم بهذه السرعة يكون عن طريق إعجازي بحت.

الثاني: أن يكون اجتماعهم بصورة طبيعية وليس فيه أي إعجاز، فهم يجتمعون في مكة بعد الصيحة والخسوف والكسوف ويكون اجتماعهم للحج، وهذا وإن كان أمراً ممكناً إلّا أن الذي يبدو من الرواية إضفاء صفحة الإعجاز عليه.

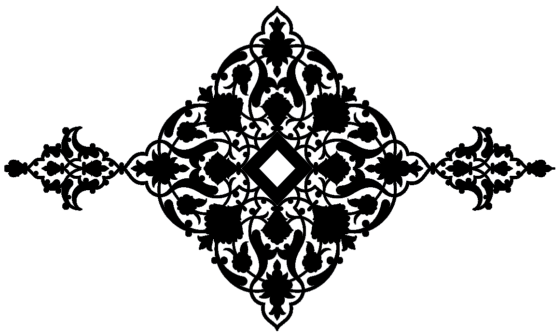

المعود
ALMAUOOD

دابة الأرض
قراءة في الحقيقة والصفات

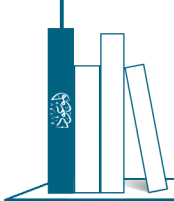

الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي

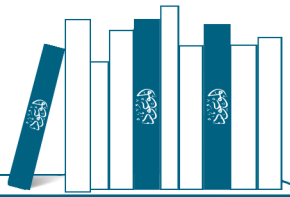

مقدمة:

١ - تعد القضية المهدوية من القضايا الإسلامية الثرية المنابع والمصادر والنصوص، وهي من أهم القضايا التي ذكرت مسائلها ونصوصها جميعُ المذاهب الإسلامية بل وغير الإسلامية، بل وحتىٰ غير الدينية السماوية، وهي بذلك تفتح باب البحث العلمي أمام الباحث، إذ يجد فيها ما يسدُّ شغفه العلمي.

نعم هي - أي النصوص - لم تشبع جميع المسائل المتعلقة بالبيان التفصيلي، لكنها علىٰ كل حال كثيرة ومتنوعة.

إن كثرة النصوص المهدوية في الوقت الذي توفر مادة البحث العلمي، هي تضفي تعقيداً من نوع آخر علىٰ البحث، من جهة أن التراث الواصل إلينا - مما يتعلق بها، حاله حال عموم التراث الإسلامي - لم يأت عن طريق أهل البيت عليهم السلام فقط، فالكثير - إن لم يكن أغلب - ما ورد فيها في كتب العامة مبتلىٰ بضعف السند، كونه لم يرو عن المعصوم، بل هناك الكثير من النصوص الضعيفة حتّىٰ علىٰ مباني القوم، وبعضها موضوع مكذوب علىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله.

وهذا يقتضي جهداً استثنائياً من الباحث لفرز النصوص ومعالجتها.

إلّا أنه رغم ذلك نجد أن هناك مسائل مهدوية عديدة اتّفقت النصوص علىٰ كلياتها، وإن اختلفت في بعض تفصيلاتها، ومن تلك المسائل هي مسألة (دابة الأرض) التي تخرج في آخر الزمان، وهي الدابة التي تحدث عنها القرآن الكريم بقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ﴾ (النمل: ٨٢).

قال في أشراط الساعة الكبرىٰ[١]: وخروج هذه الدابة لا مرية فيه فهو ثابت بالكتاب والسنة، أمّا الكتاب فقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ﴾ (النمل: ٨٢).

أمّا الأحاديث فهي كثيرة سبق منها... حديث حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطلع النبي [صلى الله عليه وآله] علينا ونحن نتذاكر، فقال: «ما تذاكرون»؟ قالوا: نذكر الساعة، قال: «إنها لن تقوم حتىٰ ترون قبلها عشر آيات»، وذكر منهن الدابة.

وفي المسند من حديث أبي أمامة يرفعه إلىٰ النبي صلى الله عليه وآله قال: «تخرج الدابة فتسم الناس علىٰ خراطيمهم[٢] ثم يعمّرون فيكم حتّىٰ يشتري الرجل البعير فيقول: ممن اشتريته؟ فيقول: اشتريته من أحد المخطمين»[٣].

---

١. أشراط الساعة الكبرىٰ ص١٢٧ - د. فهد بن عبد العزيز الفاضل - دار طيبة للنشر والتوزيع - الطبعة الأولىٰ ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م.

٢. الخرطوم: مقدم الأنف والفم؛ انظر: لسان العرب: ج٢، ص١٢٠٣.

٣. مسند الإمام أحمد ٥/ ٢٨٦؛ والتاريخ الكبير للبخاري: ٦/ ١٧٢؛ ومسند الجعدِ، لعلي بن الجعد الجوهري ٢/ ١٠٤٥، ١٠٤٦؛ وذكر أخبار أصبهان لأبي نعيم الأصبهاني ٢/ ١٢٤؛ قال الهيثمي: رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح غير عمر بن عبد الرحمن بن عطية وهو ثقة؛ مجمع الزوائد ٨/ ٦؛ وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١/ ٥٧٦.

٢ – من العقائد الممكنة في حدّ نفسها، والتي دلّ الدليل النقلي علىٰ وقوعها فيما مضىٰ، وعلىٰ وقوعها في المستقبل، هي عقيدة الرجعة، والتي تعني باختصار: أن الله تعالىٰ يحيي بعض الموتىٰ ليرجعهم إلىٰ الحياة في هذه الدنيا، لهدف ولآخر، ثم بعد أن يستوفوا الفترة المقررة لهم، يموتون مرة أخرىٰ.

هذه العقيدة ليست مستحيلة علىٰ قدرة الله تعالىٰ، ولا دليل يدل علىٰ امتناعها، بل الدليل علىٰ إمكانها بل ووقوعها، وقد بُحثت بالتفصيل في علم الكلام، ونأخذها هنا كأصل موضوعي.

ودابة الأرض – علىٰ الصحيح المستفاد من نصوص أهل البيت عليهم السلام وبقية الأدلة التي سنذكرها في محلها إن شاء الله تعالىٰ – هو أمير المؤمنين عليه السلام، وهذا يعني أنه عليه السلام سيكون من الراجعين في آخر الزمان، ولا مانع عقلياً ولا نقلياً من هذا المعنىٰ.

٣ – إن القرآن الكريم لم ينزل بلغة خاصة به، أو بأسلوب لا يعرفه العرب، وإنما هو كتاب نزل باللغة العربية، واستعمل نفس الأساليب العربية، ولذا تجد فيه المجاز، والكناية، والتصريح والإضمار، واعتمد القرائن المتصلة والمنفصلة في بيان مطالبه، وغيرها من أساليب اللغة العربية.

وهذا يعني: أن فهمه يقتضي الرجوع إلىٰ اللغة العربية وأساليبها ومعاجمها لفهم ظواهره، بل ومراداته الجدية في بعض الأحيان.

٤ – إن اللغة العربية لغة متحركة، بمعنىٰ أن لفظاً ما قد يكون مستعملاً في معنىٰ، ولكنه يتغير معناه بمرور الزمن، بأن يضيق معناه المدلول له، أو يتسع، أو حتىٰ قد يُستعمل في غير ما وُضع له.

وهـذا يعنـي أننـا وإن كنـا نرجـع إلىٰ قوانـين اللغـة العربيـة في فهـم المعنىٰ المـراد مـن لفـظ مـا، ولكـن علينـا أن ننتبـه إلىٰ حقيقـة، وهـي: أن اللفـظ قـد يكـون لـه معنىٰ لغـوي معين نجـده في القواميـس اللغويـة، ولكـن وبعـد مـرور فـترة مـن الزمـن، يكتسـب ذلـك اللفـظ معنىٰ جديـداً مضافـاً إلىٰ معنـاه اللغـوي، أو ربـما لا يمـتّ إلىٰ المعنىٰ اللغـوي بصلـة، ومـن أمثلـة ذلـك لفـظ (العصابـة)، فـأي واحـد منا اليـوم إذا سـمع لفـظ (عصابـة)، فإنـه يتبـادر إلىٰ ذهنـه معنىٰ سـلبي تمامـاً يحكـي عـن مجموعـة مـن قطّـاع الطـرق أو المجرمـين، ولكـن لـو رجعنـا إلىٰ القواميـس اللغويـة لوجدنـا أن معناهـا هـو فقـط: (الجماعـة مـن النـاس والخيـل والطـير)[1] (والعُصْبـةُ والعِصابـةُ: جماعـةُ مـا بـين العَـشَرة إلىٰ الأَربعـين)[2].

ومـن ذلـك أيضـاً لفـظ (الحيـوان) حيـث إنـه وضـع للدلالـة عـلىٰ كل مـا يـدبّ عـلىٰ الأرض، ولكـن اليـوم حصـل في معنـاه زحـاف واضـح بحيـث صـار يُسـتعمل في غـير الإنسـان، أي أنـه حصـل تضييـق في مفهومـه بإخـراج الإنسـان منه.

وهـذا يعنـي: أنـه إذا ورد لفـظ مـا في نـص شرعـي، فلابـد أن نرجـع إلىٰ زمـن صـدور النـص لنعـرف مـا هـو المعنىٰ الـذي كان يُسـتعمل فيـه اللفـظ آنـذاك، ونفـسّر اللفـظ بالمعنىٰ المقصـود في ذلـك الزمـن، والـذي قـد يكـون هـو نفـس المعنىٰ المسـتعمل في زمننـا، وقـد يكـون غـيره كـما أوضحنـا.

٥ - إن النصـوص التـي تعرضـت لذكـر الدابـة كثـيرة، والملاحـظ فيهـا أنّ كـماً معتـداً بـه ورد في روايـات العامـة، وهـي ضعيفـة السـند، ولكننـا سـنتعرض لها لأجـل:

---

١. صحاح الجوهري مادة (عصب).

٢. لسان العرب مادة (عصب)

١ – أنها علىٰ كل حال تمثل تراثاً روائياً لا مانع من الاطلاع عليه.

٢ – أنها تنفع في محاججة الطرف الآخر بطريقة الإلزام.

٣ – أن بعضها يحتوي علىٰ تفاصيل لم ترد في رواياتنا الخاصة.

٤ – أنها تتفق مع رواياتنا الخاصة في ذكر أصل مسألة الدابة.

بناءً علىٰ كل ما تقدم، فإن البحث عن (دابة الأرض) التي ذكرتها الآية الكريمة، يقتضي أولاً البحث في النصوص الواردة فيها، ثم العمل علىٰ فهم المقصود منها وبيان ماهيتها بالرجوع إلىٰ النصوص المفسرة، وتقويته من خلال تأييد معاجم اللغة العربية في مدلول لفظ (الدابة).

فهنا نقاط عديدة:

النقطة الأولىٰ: أن الدابة من علامات الساعة:

نصوص عديدة تصرح بأن هناك علامات تسبق القيامة، وإن اختلفت في عددها، بعضها أطلقت عليها عنوان (الآيات)، وبعضها (العلامات)، وبعضها (الأشراط)، وكثير من تلك النصوص تؤكد علىٰ أن واحدةً منها هي دابة الأرض، من قبيل:

مرسلة أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: ﴿إِنَّ اللهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً﴾ (الأنعام: ٣٧): «وسيريكم في آخر الزمان آيات، منها دابة في الأرض، والدجال، ونزول عيسىٰ بن مريم عليه السلام وطلوع الشمس من مغربها...»[1].

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «إِنَّكُمْ لَا تَرَوْنَ اَلسَّاعَةَ حَتَّىٰ تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ: طُلُوعَ اَلشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَاَلدَّجَّالَ، وَدَابَّةَ الأَرْضِ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ فِي الأَرْضِ: خَسْفٌ بِالمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ

١. تفسير القمي ج١ ص١٩٨.

العَرَبِ، وَخُرُوجُ عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ عليه السلام، وَخُرُوجُ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَتَكُونُ فِي آخِرِ اَلزَّمَانِ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ اليَمَنِ مِنْ قَعْرِ الأَرْضِ لَا تَدَعُ خَلْفَهَا أَحَداً، تَسُوقُ اَلنَّاسَ إِلَىٰ اَلْمَحْشَرِ، كُلَّمَا قَامُوا قَامَتْ لَهُمْ تَسُوقُهُمْ إِلَىٰ اَلْمَحْشَرِ»[١].

الملاحظ أن هذا النص ذكر تسع آيات، ولعل العاشرة سقطت أثناء النقل أو النسخ.

قال البيهقي: أمّا انتهاء الحياة الأولىٰ فإن لها مقدمات تسمىٰ أشراط الساعة وهي أعلامها منها خروج الدجال ونزول عيسىٰ بن مريم عليه السلام وقتله الدجال ومنها خروج يأجوج ومأجوج ومنها خروج دابة الأرض ومنها طلوع الشمس من مغربها فهذه هي الآيات العظام[٢].

وقال ابن أبي الحديد في معرض حديثه عن ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه: (... وتبدو أشراط الساعة، وتظهر دابة الأرض...)[٣].

والحاصل: أن كون (خروج دابة الأرض) من علامات الساعة أمرٌ متفق عليه بين الخاصة والعامة.

النقطة الثانية: موضع خروج الدابة:

لم أجد في رواياتنا الخاصة اهتماماً كبيراً بتحديد مكان خروج الدابة، ولعله لأجل أنه ليس أمراً مهماً بقدر ما هو مهم التركيز علىٰ أصل خروج الدابة وبيان ماهيتها، بمعنىٰ أن رواياتنا ركزت علىٰ إثبات ماهية الدابة أكثر من التفاصيل الأخرىٰ، إذ هي حسب نصوصنا - كما سيأتي -

١. الخصال (ص ٤٤٩/ ح٥٢).
٢. شعب الإيمان لأحمد بن الحسين البيهقي: ج١، ص٣٠٧.
٣. شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٧، ص٥٩.

أمير المؤمنين عليه السلام، سواء أكان خروجه من مكة أم موضع دفنه في النجف الأشرف أم أي مكان آخر.

إن قلت:

إن الطابع العام للروايات المهدوية هو بيان أدق التفاصيل المتعلقة بالقضية المهدوية، فهذه الروايات التي ذكرت أدق تفاصيل صفات الإمام المهدي عجل الله فرجه الخُلُقية والخَلْقية، وتفاصيل ثواب المنتظرين والانتظار، وما يتعلق بعلامات الظهور، فلماذا اختلف الأسلوب هنا؟

قلت:

أولاً: لا نسلم أن الطابع العام للروايات المهدوية هو ذلك، بل المسألة تختلف من مورد لآخر، فهناك من الشخصيات المهمة في القضية المهدوية لم يرد في حقها الكثير من التفاصيل، كاليماني، وشعيب بن صالح، والخراساني.

ثانياً: أشرنا إلىٰ أن الأمر المهم في الدابة ليس هو مكان خروجها، بقدر ما هو مهم بيان ماهيتها، وهذا هو ما ركزت عليه نصوصنا الخاصة، فبينا تجد النصوص العامية اهتمت كثيراً بذكر التفاصيل - وبعضها أقرب إلىٰ الأساطير منه إلىٰ الرواية -، تجد نصوصنا الخاصة اهتمت ببيان ماهيتها، وبينا تجد الروايات العامية تركز علىٰ أن الدابة مجرد حيوان غير عاقل، إلّا أنه تصدر منه أفعال العقلاء - وهذا ما كان أحد مؤشرات بل أدلة بطلان هذا القول -، تجد نصوصنا تركز علىٰ أن الدابة هو أمير المؤمنين عليه السلام، الإنسان الكامل المعصوم، وفرق بين الأمرين كما هو واضح.

وثالثاً: ولو سلّمنا أن التفاصيل المتعلقة بدابة الأرض ضرورية، وأنه لابد من ذكر تفاصيلها، فيمكن القول: لعل النصوص الخاصة ذكرت تلك التفاصيل، ولكنها لم تصل إلينا لسبب ولآخر، كالتقية، وإحراق الكتب، وضياعها، وما شابه من الأسباب التي ذكروها في محلها.

رابعاً: ورغم هذا، فإننا إذا عدمنا التركيز علىٰ مكان خروجها، فإنا لا نعدم بعض النصوص الخاصة التي ذكرت ذلك ولو من دون تأكد أو تركيز شديد، من قبيل ما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «خروج دابة (من) الأرض من عند الصفا، معها خاتم سليمان بن داود، وعصىٰ موسىٰ عليهما السلام ...»[١].

ورواية علي بن مهزيار الأهوازي: «... تخرج دابة الأرض من بين الصفا والمروة، ومعه عصا موسىٰ وخاتم سليمان، يسوق الناس إلىٰ المحشر»[٢].

هذا، وأمّا روايات العامة، فقد اتفقت العديد من النصوص علىٰ خروجها من مكة المكرمة.

من قبيل ما رواه ابن أبي شيبة بسنده عن سماك عن إبراهيم قال: «دابة الأرض تخرج من مكة»[٣].

ولكنها اختلفت في تحديد المكان بالضبط:

١ - بعضها حددت مكان خروجها من جبل الصفا: فقد روىٰ ابن أبي شيبة بسنده عن عطية عن ابن عمرو: «تخرج الدابة من صدع في الصفا...»[٤].

---

١. كمال الدين للشيخ الصدوق: ص٥٢٧، ب٤٧، ح١.
٢. الغيبة للطوسي: ص٢٥٥، ح٢٢٨.
٣. المصنف - ابن أبي شيبة الكوفي: ج٨، ص٦٧١/ ١٥٢.
٤. المصنف - ابن أبي شيبة الكوفي: ج٨، ص٦١٩/ ١٧٩.

والصفا هو الجبل المعروف في مكة، والصدع: الشقّ في شيء صلب[١].

وعن النبي ﷺ أنه قال: «إذا طلعت الشمس من مغربها خر إبليس ساجداً ينادي: إلهي، مرني أن أسجد لمن شئت، قال فتجتمع إليه زبانيته، فيقولون: يا سيدهم، ما هذا التضرع؟ فيقول: أنا سألت ربي ﷻ أن ينظرني إلىٰ يوم الوقت المعلوم، وهذا الوقت المعلوم، ثم تخرج دابة الأرض من صدع في الصفا أول خطوة تضعها في أنطاكية فتأتي إبليس فتلطمه»[٢].

وهذه الرواية غير معقولة ومربطة المعنىٰ، فكيف يكون خروج الدابة من جبل الصفا في مكة المكرمة، وتكون أول خطوة لها في أنطاكية، وهي حالياً مدينة تركية؟!

وسترىٰ كثيراً من روايات العامة في هذا الشأن فيها من الغرابة ما هو أكثر من هذا.

وفي رواية عقد الدرر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في ذكر الدابة قال: ألا وينشر الصفا، وتُخرِجُ منه الدابةُ أولَ رأسِها، ذات وبر وريش، فيها من كل الألوان، معها عصا موسىٰ عليه السلام، وخاتم سليمان عليه السلام، تسم المؤمن مؤمناً، وتسم الكافر كافراً، تنكت وجه المؤمن بالعصا فتتركه أبيض، وتنكت وجه الكافر بالخاتم، فتتركه أسود، فلا يبقىٰ أحد في سوق ولا برية، إلّا وسمت وجهه[٣].

---

١. القاموس المحيط: ج٣، ص٤٩.

٢. سبل الهدىٰ والرشاد: ج١٠، ص١٩٣.

٣. عقد الدرر للمقدسي: ص٣١٧.

لاحظ أن هذه الرواية العامية[١] في الوقت الذي أكدت على أن الدابة حيوان غير عاقل، هي تصفها بأوصاف متضادة، فكيف تكون الدابة ذات شعر ووبر، ومعلوم أن ذوات الريش من الطيور، وهي تختلف عن ذوات الوبر من الدواب، ثم كيف تصدر منها أفعال لا تصدر إلّا من العقلاء، بل من الأولياء والكُمَّل من البشر؟! إذ إنها تصرح بأن الدابة تعرف المؤمن من الكافر، وهذا ما لا يُتاح إلّا للأولياء الذين ينظرون بعين الله تعالىٰ، فاحفظ هذا المعنىٰ، ولا تغفل عنه، لأنه سينفعنا في تحديد ماهية الدابة.

ومثل هذا التعليق يرد علىٰ أكثر الروايات العامية الواردة في شأن الدابة.

٢ - وبعضها أنها تخرج من شعب في جبل أجياد القريب من المسجد الحرام، فقد روىٰ المروزي بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: تخرج الدابة من شعب بالأجياد...[٢].

نعم، ورد في نصٍّ أنها تخرج من جبل حياد: فعن عبد الله بن عمرو، قال: تخرج الدابة من جبل حياد أيام التشريق والناس بمنىٰ...[٣].

وهو خطأ في النسخ، إذ لم نجد جبلاً في مكة أو غيرها باسم (حياد) ويبدو أن المقصود هو (أجياد)، وقد يكون الصحيح لفظ (جياد).

فهذه النصوص اتَّفقت علىٰ خروجها من مكة المكرمة، وربما الاختلاف المذكور مغتفر لقرب الأماكن المذكورة بعضها من البعض الآخر.

٣ - وهناك رواية عبرت بأنها تخرج من أعظم المساجد، في إشارة إلىٰ المسجد الحرام، وهي لا تختلف مع السابقات كما هو واضح في أن الدابة تخرج من مكة المكرمة.

---

١. الرواية وإن رواها المقدسي عن أمير المؤمنين عليه السلام، إلّا أنها أولاً ضعيفة بالإرسال، وثانياً لم ترد في كتبنا، بل رواتها من العامة، لذا عبرنا عنها بالعامية.

٢. الفتن للمروزي: ص٤٠٢.

٣. المصنف - ابن أبي شيبة الكوفي: ج٨، ص٦١٩/ ١٧٨.

ففي رواية الطبراني بسنده عن حذيفة بن أسيد - أراه رفعه - قال: تخرج الدابة من أعظم المساجد حرمة، فبينا هم قعود إذ رنت الأرض، فبينا هم كذلك إذ تصدعت[١].

٤ - عبرت رواية بأنها تخرج من بادية قرب مكة، فقد روىٰ أحمد بسنده عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: ذهب بي رسول الله [صلى الله عليه وآله] إلىٰ موضع بالبادية قريباً من مكة فإذا أرض يابسة حولها رمل، فقال رسول الله [صلى الله عليه وآله] تخرج الدابة من هذا الموضع فإذا فتر في شبر[٢].

تخريج الاختلاف في تحديد مكان الدابة:

رأينا أن النصوص مختلفة في تحديد مكان خروج الدابة بالضبط، وهذا الاختلاف يُحتمل فيه أمران:

الأمر الأول: أن يُحمل علىٰ أن الدابة تخرج عدة خرجات بالرجعة، أي إنها ترجع أكثر من مرة، وفي كل مرة تخرج في مكان يختلف عن السابق، وهو ما ربما يُستفاد من أمرين:

الأول: ما رواه ابن أبي شيبة الكوفي في مصنفه بسنده عن حذيفة، قال: تخرج الدابة مرتين قبل يوم القيامة حتىٰ يضرب فيها رجال، ثم تخرج الثالثة عند أعظم مساجدكم، فتأتي القوم وهم مجتمعون عند رجل فتقول: ما يجمعكم عند عدو الله، فيبتدرون فتسم الكافر حتىٰ أن الرجلين ليتبايعان، فيقول هذا: خذ يا مؤمن، ويقول هذا: خذ يا كافر[٣].

---

١. المعجم الأوسط للطبراني: ج٢، ص١٧٦.

٢. مسند أحمد: ج٥، ص٣٥٧.

٣. المصنف لابن أبي شيبة الكوفي: ج٨، ص٦١٨، رقم ١٧٧.

الثاني: بناءً على الصحيح من كون الدابة هو أمير المؤمنين عليه السلام، فيُستفاد هذا الوجه من الحمل من النصوص الخاصة التي دلت على أن أمير المؤمنين عليه السلام يرجع عدة مرات، من قبيل ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «... وإِنِّي لَصَاحِبُ الكَرَّاتِ ودَوْلَةِ الدُّوَلِ وإِنِّي لَصَاحِبُ العَصَا والمِيسَمِ والدَّابَّةُ الَّتِي تُكَلِّمُ النَّاسَ...»[١].

الأمر الثاني: أن يُحمل على أن المراد من خروج الدابة في عدة أماكن هو تواجدها فيها، بأن يكون لها تواجد رسمي مثلاً في مكان ما، ثم تتواجد في مكان آخر وتصدر منها أفعال معينة تختلف أو تُشابه أفعالها في المكان السابق، وهكذا، وهو ما ربما يُستفاد من رواية السيوطي قال: أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وآله]: تخرج دابة الأرض ولها ثلاث خرجات فأول خرجة منها بأرض البادية والثانية في أعظم المساجد وأشرفها وأكرمها ولها عنق مشرف يراها من بالمشرق كما يراها من بالمغرب ولها وجه كوجه إنسان ومنقار كمنقار الطير ذات وبر وزغب معها عصا موسى وخاتم سليمان بن داود تنادي بأعلى صوتها أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون، ثم بكى رسول الله [صلى الله عليه وآله] قيل: يا رسول الله وما بعد؟ قال: هنات وهنات ثم خصب وريف حتى الساعة[٢].

والملاحظ أن هذا النص لم يذكر الخرجة الثالثة، اللهم إلّا أن يكون لفظ (هنات وهنات ثم خصب وريف حتى الساعة) إشارة لها، وليس هذا بالأمر المهم في المقام.

وفي هذا المعنى أيضاً روى المروزي بسنده عن أبي سريحة قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وآله]: «للدابة ثلاث خرجات من الدهر تخرج خرجة في أقصى اليمن

١. الكافي للكليني: ج١، ص١٩٨، بَابُ أَنَّ الأَئِمَّةَ هُمْ أَرْكَانُ الأَرْضِ، ح٣.
٢. الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي: ج٥، ص١١٦.

فيفشو ذكرها في أهل البادية فلا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث زماناً طويلاً بعد ذلك ثم تخرج خرجة أخرىٰ قريباً من مكة فيفشو ذكرها بالبادية ثم تمكث زماناً طويلاً ثم بينما الناس ذات يوم في أعظم المساجد عند الله تعالىٰ حرمة وخيرها وأكرمها علىٰ الله مسجداً مسجد الحرام لم يرعهم إلّا ناحية المسجد يربو ما بين الركن الأسود إلىٰ باب بني مخزوم عن يمين الخارج إلىٰ المسجد فأرفض الناس لها تبثيثاً وتثبت لها عصابة من المسلمين وعرفوا أنهم لن يعجزوا الله خرجت عليهم تنفض عن رأسها التراب فبدت بهم فجلت وجوههم حتىٰ تركتها كأنها الكواكب الدرية ثم ولت في الأرض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتىٰ أن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول أي فلان الآن تصلي فيقبل عليه بوجهه فتسمه في وجهه ثم تذهب فيتجاور الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الأموال ويعرف الكافر من المؤمن حتىٰ أن الكافر ليقول للمؤمن يا مؤمن اقضي حقي ويقول المؤمن للكافر يا كافر اقضي حقي»[١].

النقطة الثالثة: وقت خروج الدابة:

ذكرت النصوص العامية وقتين لخروجها:

الوقت الأول: أنها تخرج ضحىٰ:

فقد روىٰ أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنَّ أوَّل الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابَّة ضحىٰ، فأيَّتهما ما كانت قبل صاحبتها فالأُخرىٰ علىٰ إثرها»[٢].

١. الفتن لنعيم بن حماد المروزي: ص٤٠١.

٢. مسند أحمد (ج ٢/ ص٢٠١).

وروىٰ مسلم في صحيحه عن النبيِّ ﷺ: «إنَّ أوَّل الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابَّة علىٰ الناس ضحىٰ، وأيّهما ما كانت قبل صاحبتها فالأُخرىٰ علىٰ إثرها قريباً»[١].

إشارة: هل تخرج الدابة قبل أو بعد طلوع الشمس من مغربها؟

أشار النصان المتقدمان إلىٰ إمكان أن تخرج قبل أو بعد طلوع الشمس من مغربها، إذ عبرا: (فأيَّتهما ما كانت قبل صاحبتها فالأُخرىٰ علىٰ إثرها).

ولكن هناك نص للمروزي يبدو منه أن خروجها بعد طلوع الشمس، إذ روىٰ بسندِه عنِ النّبيّ ﷺ قال: «خروجُ الدّابّةِ بعدَ طلوعِ الشّمسِ...»[٢]، ولعل رواية نعيم ذكرت أحد الفردين الممكنين، أو الفرد الذي سيتحقق فعلاً بعلم الله تعالىٰ.

ويمكن تأكيد خروجها بعد طلوع الشمس من مغربها بما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «خروج دابة (من) الأرض من عند الصفا... ثم ترفع الدابة رأسها فيراها من بين الخافقين بإذن الله جل جلاله وذلك بعد طلوع الشمس من مغربها، فعند ذلك ترفع التوبة، فلا توبة تقبل ولا عمل يرفع ﴿لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً﴾ [الأنعام: ١٥٨]...»[٣].

الوقت الثاني: أنها تخرج ليلة (جُمع) مزدلفة:

يعني ليلة العاشر من ذي الحجة، فقد روىٰ المروزي بسنده عن ابن

١. صحيح مسلم (ج ٨/ ص٢٠٢).
٢. الفتنُ لنعيمِ بنِ حماد: ص٤٠٢.
٣. كمال الدين للشيخ الصدوق ص٥٢٧ ب٤٧ ح١.

عمر، قال: تخرج الدابة ليلة جمع يسيرون إلىٰ جمع فتخرج الدابة وعنقها ذكر من طوله فلا تدع منافقاً إلّا خطمته[١].

وفي لفظ الطبري بسنده عن ابن عمر: يبيت الناس يسيرون إلىٰ جمع، وتبيت دابة الأرض تسايرهم، فيصبحون وقد خطمتهم من رأسها وذنبها، فما من مؤمن إلّا مسحته، ولا من كافر ولا منافق إلّا تخبطه[٢].

النقطة الرابعة: صفات الدابة:

تبين - وسيتبين - أن نصوصنا الروائية ركزت كثيراً علىٰ ماهية الدابة، وعلىٰ ما تفعله بعد خروجها، ولم تعدم شيئاً ولو إجمالياً عن صفاتها.

أمّا روايات العامة، فقد صرحت بالكثير من صفاتها، وهي علىٰ نحو الإجمال:

الصفة الأولىٰ: أنها دابة عملاقة:

فرأسها يمس السحاب علىٰ ما رواه المروزي بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: تخرج الدابة من شعب بالأجياد رأسها يمس السحاب وما خرجت رجلاها من الأرض حتىٰ تأتي الرجل وهو يصلي، فتقول ما الصلاة من حاجتك ما هذا إلّا تعوذا ورياء فتخطمه[٣].

وأول خطوة تضعها في أنطاكية علىٰ ما رووه عن النبي صلى الله عليه وآله: «... تخرج دابة الأرض من صدع في الصفا أول خطوة تضعها في أنطاكية فتأتي إبليس فتلطمه»[٤].

١. الفتن لنعيم المروزي: ص٤٠٤.
٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبري: ج٢٠، ص١٩، رقم ٢٠٦٢١.
٣. الفتن للمروزي: ص٤٠٢.
٤. سبل الهدىٰ والرشاد: ج١٠، ص١٩٣.

وأن عنقها طويل جداً، ففي رواية السيوطي عن ابن عباس قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وآله]: «تخرج دابة الأرض... ولها عنق مشرف يراها من بالمشرق كما يراها من بالمغرب...»[١].

الصفة الثانية: أنها ملمعة:

ففي رواية حذيفة عن النبي صلى الله عليه وآله: ... وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو رأسها ملمعة...[٢].

قال الحربي في غريب الحديث: والملمع: التي أشرق ضرعها للحلب[٣].

وقال الجوهري: والملمع من الخيل: الذي يكون في جسده بقع تخالف سائر لونه[٤].

ولا أدري ماذا يقصدون من كون الدابة ملمعة، هل المعنىٰ الأول أو الثاني؟

وعلىٰ كل حال، فمثل هذه الصفات هي صفات للدواب الحيوانية، وهو ما لا يتناسب مع ما يصدر من الدابة من أفعال لا تصدر إلّا من الأولياء، كما تقدمت الإشارة إليه وسيأتي الحديث عنه.

الصفة الثالثة: أنها ذات ريش ووبر:

وهذا من غرائب ما وصفوا به الدابة، ففي رواية حذيفة المتقدمة عن النبي صلى الله عليه وآله: «... وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو رأسها ملمعة ذات وبر وريش...»[٥].

---

١. الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي: ج٥، ص١١٦.
٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبراني: ج٢٠، ص١٩، ح٢٠٦٢٣.
٣. غريب الحديث للحربي: ج١، ص١٠٢.
٤. الصحاح للجوهري: ج٣، ص١٢٨١.
٥. جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبراني: ج٢٠، ص١٩، ح٢٠٦٢٣.

الصفة الرابعة: أنها سريعة جداً بحيث لا يفوتها مطلوب لها:

ففي رواية حذيفة عن النبي ﷺ: «... وتخرج الدابة من الصفا أول ما يبدو رأسها ملمعة ذات وبر وريش، لم يدركها طالب، ولن يفوتها هارب...»[١].

وفي بعض النصوص ما ربما يُشير إلىٰ العلة وراء هذه الصفة، وأنها ذات سلطان من الله تعالىٰ، فقد روىٰ المتقي الهندي عن النبي ﷺ: «... كذلك أمتي عند خروج الدابة لا يفر منها أحد إلّا مثلت بين عينيه، ولها سلطان من ربنا عظيم»[٢].

الصفة الخامسة: أن لها وجهاً كوجه الإنسان، ومنقاراً كمنقار الطير:

فقد روىٰ السيوطي عن ابن عباس قال: قال رسول الله [ﷺ]: «تخرج دابة الأرض... ولها وجه كوجه إنسان ومنقار كمنقار الطير...»[٣].

الصفة السادسة: فيها من كل الألوان:

ففي رواية عقد الدرر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في ذكر الدابة قال: «ألا وينشر الصفا، وتُخرِجُ منه الدابةُ أولَ رأسِها، ذات وبر وريش، فيها من كل الألوان...»[٤].

ولا ندري ما المقصود من (كل الألوان)، أهو المعنىٰ الحقيقي، بحيث تكون الدابة ملونة بأكثر من اثني عشر لوناً (وهي الألوان الرئيسية كما

---

١. جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبراني: ج٢٠، ص١٩، ح٢٠٦٢٣.
٢. كنز العمال للمتقي الهندي: ج١٤، ص٣٤٣، رقم ٣٨٨٨١.
٣. الدر المنثور في التفسير بالمأثور لجلال الدين السيوطي: ج٥، ص١١٦.
٤. عقد الدرر للمقدسي: ص٣١٧.

يقولون في هذا الفن)، وربما كانت الألوان مع تدرجاتها تزيد على العشرات بل المئات، ولعمري كيف سيكون شكل الدابة آنذاك!

أو أن المقصود الكناية عن جمال الدابة، أو عن أمر آخر، لم يُبين في النص، ولا أستطيع تبيّن حقيقته!

ويبدو أن الروايات العامية كانت في صدد رسم دابة فيها من كل حيوان صفة، ليتوهم القارئ للنصوص حيواناً خرافياً أغرب من (العنقاء) وأضخم من (الديناصور) وأسرع من (الفهد) و...

انظر إلى ما ذكره السمرقندي في تفسيره قال: وروى ابن جريج عن أبي الزبير، قال: رأسها رأس ثور وعيناها عينا خنزير وأذناها أذنا فيل وقرناها قرنا أيل وعنقها عنق نعامة وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هرة وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين منها اثني عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام...[1].

ولربما سيجيبك من تسأله عن ذلك بأن الدابة من عجائب خلق الله تعالى، والله تعالى لا يُسأل عما يفعل!

وعتبنا على العقول التي تقبلت مثل هذه الروايات، كيف غفلت عن أن الدين الإسلامي هو دين الوضوح والبيان والتأمل، هو دين خاطب العقول وجعلها محور التكليف، أفهل يتقبل العقل مثل هذه الصفات لحيوان ضبابي غريب لم نسمع به حتى في أساطير القصاصين؟!

ولذلك فرّ بعضهم من تلك النصوص المضحكة للثكلى بقوله: (ولم يرد في السنة النبوية الصحيحة ما يحدد أوصاف هذه الدابة، ولا مكان خروجها

١. تفسير السمرقندي لأبي الليث السمرقندي: ج٢، ص٥٩٣.

ولا كيفية خروجها[١] ولذلك نكل علم وصف هذه الدابة وكيفياتها إلىٰ عالم السر سبحانه وتعالىٰ، ولعل في إبهامها زيادة تفخيم لها وتخويف منها[٢]، ووردت بعض الأقوال في صفة ومخرج الدابة قال عنها ابن كثير: فهذه أقوال متعارضة، فالله أعلم[٣])[٤].

وقال بعد ذلك: (وبالعموم فخروج الدابة علىٰ شكل غير مألوف للناس ومخاطبتها إياهم ووسمها لأهل الإيمان ولأهل الكفر، كل ذلك خرج عن مجاري العادات[٥]، وهو آية من آيات الله حذرنا الله ﷻ ورسوله [ﷺ] إياها، وأمرنا بالمبادرة بالأعمال قبل خروجها، فعن أبي هريرة عن النبي [ﷺ] قال: ... بادروا بالأعمال ستاً: الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة[٦]، وخويصة أحدكم.[٧])[٨].

النقطة الخامسة: ما يكون مع الدابة:

اتَّفقت الروايات العامية والخاصة علىٰ أن الدابة تخرج ومعها موروثان من مواريث الأنبياء، وهما: عصا موسىٰ، وخاتم سليمان.

---

١. انظر محاسن التأويل ٨/ ٨٦؛ وصحيح أشراط الساعة: ٣٠٣.
٢. انظر فتح البيان في مقاصد القرآن ١٠/ ٧١.
٣. البداية والنهاية ١٩/ ٢٥١.
٤. أشراط الساعة الكبرىٰ ص١٢٧ – ١٢٨ – د. فهد بن عبد العزيز الفاضل.
٥. انظر البداية والنهاية ١٩/ ٢٥٤.
٦. أمر العامة: يعني قيام الساعة؛ انظر: شرح صحيح مسلم للنووي ١٨/ ٨٧.
٧. خويصة أحدكم: أي موته؛ انظر شرح صحيح مسلم للنووي ١٨/ ٨٧.
٨. صحيح مسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في بقية من أحاديث الدجال: ٤/ ٢٢٦٧؛ أشراط الساعة الكبرىٰ ص١٢٩ – د. فهد بن عبد العزيز الفاضل.

فمن الخاصة ما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «خروج دابة (من) الأرض من عند الصفا، معها خاتم سليمان بن داود، وعصىٰ موسىٰ عليهما السلام ...»[١].

ومن روايات العامة ما رواه في عقد الدرر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في ذكر الدابة قال: «ألا وينشر الصفا، وتُخرِجُ منه الدابةُ أولَ رأسِها، ذات وبر وريش، فيها من كل الألوان، معها عصا موسىٰ عليه السلام، وخاتم سليمان عليه السلام...»[٢].

أمّا عصا موسىٰ عليه السلام: فهي - كما في رواية أبي عبد الله عليه السلام - «قَضِيبُ آسٍ مِنْ غَرْسِ الجَنَّةِ، أَتَاهُ بِهَا جَبْرَئِيلُ عليه السلام لَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ، وَهِيَ وَتَابُوتُ آدَمَ فِي بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، ولن يبليا، ولن يتغيرا حتىٰ يخرجهما القائم عليه السلام إذا قام»[٣].

وجاء في رواية أُخرىٰ عن الإمام محمد بن علي عليه السلام قال كان عصىٰ موسىٰ لآدم فصارت إلىٰ شعيب ثم صارت إلىٰ موسىٰ بن عمران وأنها لعندنا وأن عهدي بها آنفاً وهي خضراء كهيئتها حين انتزعت من شجرها وأنها لتنطق إذا استنطقت أعدت لقائمنا ليصنع كما كان موسىٰ يصنع بها وأنها لتروع وتلقف[٤].

وفي نقل الإمامة والتبصرة: .... وإنها تصنع ما تؤمر، وإنها حيث ألقيت تلقف ما يأفكون بلسانها...[٥].

---

١. كمال الدين للشيخ الصدوق: ص٥٢٧، ب٤٧، ح١.

٢. عقد الدرر للمقدسي: ص٣١٧.

٣. الغيبة للنعماني (ص ٢٤٣/ باب ١٣/ ح٢٧).

٤. بصائر الدرجات للصفار: ص٢٠٤ ب٤ ح٣٦؛ الكافي (ج ١/ ص٢٣١/ باب ما عند الأئمّة من آيات الأنبياء عليهم السلام/ ح١).

٥. الإمامة والتبصرة لابن بابويه القمي: ص١١٦، ب٣١، ح١٠٨.

وأمّا عن خاتم سليمان عليه السلام، فهو الخاتم الذي مَلَكَ به سليمان النبيُّ عليه السلام مشارق الأرض ومغاربها، وروي أنَّ نقشه (أنا الله لا إله إلَّا أنا، محمّد عبدي ورسولي)[١].

وهو من مواريث الأنبياء عليهم السلام، وقد جاء في الروايات أنَّ الإمام المهدي عجل الله فرجه عندما يخرج، سيكون عنده خاتم سليمان عليه السلام، ففي رواية عن الريان بن الصلت عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: ... وإن القائم... يكون معه عصا موسىٰ، وخاتم سليمان عليهما السلام...»[٢].

هذه النصوص تقول بأن العصا - وكذا الخاتم - مذخوران للإمام المهدي عجل الله فرجه، ولا يتعارض هذا مع كون الدابة تخرج ومعها العصا وخاتم سليمان، إذ ربما يُعطيها الإمام المهدي عجل الله فرجه لأمير المؤمنين عليه السلام قبل خروجه علناً للناس، فيخرج والعصا والخاتم معه، سواء كان إعطاؤه العصا بطريق غيبي أو مادي.

وقد أشارت بعض نصوصنا إلىٰ أن الدابة ستستعمل الخاتم في وسم المؤمن والكافر، ففي رواية الشيخ الصدوق بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «خروج دابة (من) الأرض من عند الصفا، معها خاتم سليمان بن داود، وعصىٰ موسىٰ عليهما السلام، يضع الخاتم علىٰ وجه كل مؤمن فينطبع فيه: هذا مؤمن حقاً، ويضعه علىٰ وجه كل كافر فينكتب هذا كافر حقاً...»[٣].

إشارة:

إنَّ وجود هذين الموروثين لدىٰ دابة الأرض يرمز إلىٰ القوة والحكم، فإن عصا موسىٰ كانت رمز قوته وانتصاره علىٰ السحرة، وبها شق البحر،

١. مسند الشاميِّين (ج ١/ ص٤٠٥/ ح٧٠٣).
٢. كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص٣٧٦، ب٣٥، ح٧.
٣. كمال الدين للشيخ الصدوق ص٥٢٧ ب٤٧ ح١.

وفجّر من الصخور عيوناً، وحكم سليمان عليه السلام الأرض بخاتمه، وهذا المعنىٰ هو ما أشار له الشيرازي في تفسيره بقوله: وهذا التعبير الوارد في الروايات الإسلامية بأن معه عصا موسىٰ عليه السلام التي هي رمز القوة والانتصار، وخاتم سليمان عليه السلام الذي يرمز للحكومة الإلهية، قرينة علىٰ أن دابة الأرض إنسان نشط فعال فوق العادة...[1]!

النقطة السادسة: أفعال الدابة:

ذكرت النصوص عدة أفعال تقوم بها الدابة، وهي:

الفعل الأول: (تكلمهم):

نصت القرآن الكريم علىٰ أن دابة الأرض تكلم الناس، قال تعالىٰ: ﴿وَإِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ﴾ (النمل: ٨٢).

وفي معنىٰ (تكلمهم) تفسيران:

التفسير الأول: أنها تُكَلّمهم:

من الكلام، أي المحاججة، فالدابة تخرج تحاجج الناس، وعليه ظاهر القراءة في المصحف.

وقد روي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «انتهىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وهو نائم في المسجد قد جمع رملاً ووضع رأسه عليه، فحرَّكه رسول الله صلى الله عليه وآله برجله، ثم قال: يا دابة الله فقال رجل من أصحابه يا رسول الله أيسمىٰ بعضنا بعضاً بهذا الاسم، فقال: لا والله ما هو إلّا له خاصة

١. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل للشيخ ناصر مكارم الشيرازي: ج١٢، ص١٤٠.

وهو الدابة التي ذكر الله تعالىٰ في كتابه: ﴿وَإِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ﴾ ثم قال رسول الله ﷺ: يا علي إذا كان آخر الزمان أخرجك الله في أحسن صورة ومعك ميسم تسم به أعدائك، فقال الرجل لأبي عبد الله عليه السلام: إن العامة يقولون: هذه الآية إنما تَكْلِمُهم، فقال أبو عبد الله عليه السلام: كلمهم الله في نار جهنم إنما هو تُكَلِّمُهم من الكلام»[١].

فالرواية صريحة في أن الإمام عليه السلام يفسر (تُكَلِّمُهم) من الكلام، لا من الكَلْم وهو الجرح.

التفسير الثاني: أنها تَكْلِمُهم أي تجرحهم:

قال الفيض الكاشاني: وقرئ تكلمهم بالتخفيف من الكلم بمعنىٰ الجرح[٢].

وربما تشير إليه النصوص التي نصَّت علىٰ أن الدابة تسم المؤمن والكافر، فإنها بذلك تجرحهم، إذ إن الوسم هو الكي الذي يترك علامة علىٰ الوجه - كما سيأتي -، ومعه، فإن الدابة تكْلم الكافر وتجرحه.

ويمكن الجمع: بأن الدابة تعمل كلا الأمرين، فهي تحاجج الناس، وتكْلم الكافر والمنافق.

الفعل الثاني: قتل إبليس:

جاء ذلك فيما رواه نعيمُ بنُ حمّاد بسنده عنِ النبي ﷺ قالَ: «خروجُ الدّابّةِ بعدَ طلوعِ الشّمسِ، فإذا خرجَت قتلَت الدّابّةُ إبليسَ وهوَ ساجدٌ...»[٣].

---

١. مختصر بصائر الدرجات للحلي: ص٤٣.

٢. التفسير الصافي للفيض الكاشاني: ج٤، ص٧٤.

٣. الفتنُ لنعيمِ بنِ حماد: ص٤٠٢.

روايات عامية أخرىٰ عبرت بأن الدابة تلطم إبليس، (واللَّطْمُ: الضرب علىٰ الوجه بباطن الراحة)[١]، من قبيل ما رووه عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا طلعت الشمس من مغربها... ثم تخرج دابة الأرض من صدع في الصفا أول خطوة تضعها في أنطاكية فتأتي إبليس فتلطمه»[٢].

إشارة: من الذي يقتل إبليس؟

دلَّت بعض النصوص علىٰ أن الوقت المعلوم الذي أُجِّل له الشيطان ليس هو يوم القيامة، وإنما هو يوم يكون قبله، وقد تعددت النصوص في بيان ذلك اليوم الذي تنتهي فيه مهلة الشيطان ويُقتل فيه:

النص الأول: أن الذي يقتله هو الإمام المهدي عجل الله فرجه عند قيامه:

ورد في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝٣٦ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ (الحجر: ٣٦ - ٣٨)، عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «الوقت المعلوم يوم قيام القائم، فإذا بعثه الله كان في مسجد الكوفة وجاء إبليس حتَّىٰ يجثو علىٰ ركبتيه، فيقول: يا ويلاه من هذا اليوم، فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه، فذلك يوم الوقت المعلوم منتهىٰ أجله»[٣].

وقريب منه ما عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: «يا وهب، أتحسب أنَّه يوم يبعث الله فيه الناس؟ إنَّ الله أنظره إلىٰ يوم يبعث فيه قائمنا، فإذا بعث الله قائمنا كان في مسجد وجاء إبليس حتَّىٰ يجثو بين يديه علىٰ ركبتيه فيقول: يا

١. لسان العرب لابن منظور: ج١٢، ص٥٤٣.
٢. سبل الهدىٰ والرشاد: ج١٠، ص١٩٣.
٣. بحار الأنوار ٥٢: ٣٧٦ و٣٧٧/ ح١٧٨.

ويله من هذا اليوم، فيأخذ بناصيته فيضرب عنقه، فذلك اليوم هو الوقت المعلوم»[١].

النص الثاني: أنَّ الذي يقتله هو الرسول الأكرم ﷺ في الرجعة:

وذلك بعد معركة تدور له مع أمير المؤمنين عليه السلام، فيهرب فيتبعه النبيّ ﷺ فيقتله، فقد روي عن عبد الكريم بن عمر والخثعمي، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «إن إبليس قال: ﴿أَنْظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ فأبىٰ الله ذلك عليه، فقال: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۝٣٧ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ فإذا كان يوم الوقت المعلوم ظهر إبليس لعنه الله في جميع أشياعه منذ خلق الله آدم إلىٰ يوم الوقت المعلوم وهي آخر كرَّة يكرها أمير المؤمنين عليه السلام»، فقلت: وإنها لكرات؟ قال: «نعم إنها لكرّات وكرّات، ما من إمام في قرن إلّا ويكر البر والفاجر في دهره حتىٰ يديل الله المؤمن الكافر، فإذا كان يوم الوقت المعلوم كرَّ أمير المؤمنين عليه السلام في أصحابه وجاء إبليس في أصحابه ويكون ميقاتهم في أرض من أراضي الفرات، يقال لها: الروحا، قريب من كوفتكم، فيقتتلون قتالاً لم يقتتل مثله منذ خلق الله عزّ وجلّ العالمين، فكأني أنظر إلىٰ أصحاب علي أمير المؤمنين قد رجعوا إلىٰ خلفهم القهقري مائة قدم، وكأني أنظر إليهم وقد وقعت بعض أرجلهم في الفرات، فعند ذلك يهبط الجبار عزّ وجلّ في ظلل من الغمام والملائكة، وقضىٰ الأمر رسول الله ﷺ بيده حربة من نور، فإذا نظر إليه إبليس رجع القهقري ناكصاً علىٰ عقبيه، فيقولون له أصحابه أين تريد وقد ظفرت، فيقول: إني أرىٰ ما لا ترون، إني أخاف الله رب العالمين، فيلحقه النبي ﷺ فيطعنه طعنة بين كتفيه، فيكون هلاكه وهلاك جميع أشياعه، فعند

١. تفسير العيّاشي ٢: ٢٤٢/ ح١٤.

ذلك يعبد الله عزّ وجلّ ولا يشرك به شيئاً، ويملك أمير المؤمنين عليه السلام أربعاً وأربعين ألف سنة حتىٰ يلد الرجل من شيعة علي عليه السلام ألف ولد من صلبه ذكراً في كل سنة ذكراً، وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما حوله بما شاء الله»[١].

وروىٰ القُمّيُّ بسنده عن أبي عبدِ الله عليه السلام في قولِ الله تباركَ وتعالىٰ: ﴿فَأَنْظِرْنِي إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ قالَ: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ۝٣٧ إِلىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ قالَ: «يومُ الوقتِ المعلومِ يومَ يذبحُه رسولُ الله صلى الله عليه وآله علىٰ الصّخرةِ التي في بيتِ المقدس»[٢].

النص الثالث: أن الذي يقتله هو أمير المؤمنين عليه السلام في الرجعة:

روىٰ نعيمُ بنُ حمّاد بسندِه عنِ النّبيّ صلى الله عليه وآله قالَ: «خروجُ الدّابّةِ بعدَ طلوعِ الشّمسِ، فإذا خرجَت قتلَت الدّابّةُ إبليسَ وهوَ ساجدٌ ويتمتّعُ المؤمنونَ في الأرضِ بعدَ ذلكَ أربعينَ سنةً لا يتمنّونَ شيئاً إلّا أُعطوهُ ووجدوهُ، فلا جورَ ولا ظُلمَ، وقد أسلمَ الأشياءُ لربِّ العالمينَ طوعاً وكرهاً والمؤمنونَ طوعاً والكُفّارُ كرهاً والسّبعُ والطّيرُ كرهاً، حتّىٰ أنَّ السّبعَ لا يؤذي دابّةً ولا طيراً، ويلدُ المؤمنُ فلا يموتُ حتّىٰ يتمَّ أربعينَ سنةً بعدَ خروجِ دابّةِ الأرضِ ثمَّ يعودُ فيهم الموتُ فيمكثونَ بذلكَ ما شاءَ الله...»[٣].

ويمكن أن يُجمع هذا الاختلاف بين الروايات بأنه محمول علىٰ رجعة إبليس وقتله في كل رجعة.

---

١. مختصر بصائر الدرجات: ص٢٦ و٢٧.

٢. تفسيرُ القُمّي: ٢ - 245.

٣. الفتنُ لنعيمِ بنِ حماد: ص٤٠٢.

ويمكن الجمع بأن القتل يقع مرة واحدة، إلّا أنه يُنسب مرة للرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وأخرىٰ لأمير المؤمنين عليه السلام وثالثة للإمام المهدي عجل الله فرجه، ولو بمعنىٰ أن الأول آمر، والثاني ناقل للأمر، والثالث هو المنفِّذ.

الفعل الثالث: أنها تسم المؤمن والكافر:

وهذا ما تردد في النصوص العامية والخاصة، فمن الخاصة ما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «خروج دابة (من) الأرض من عند الصفا، معها خاتم سليمان بن داود، وعصىٰ موسىٰ عليهما السلام، يضع الخاتم علىٰ وجه كل مؤمن فينطبع فيه: هذا مؤمن حقاً، ويضعه علىٰ وجه كل كافر فينكتب هذا كافر حقاً...»[١].

ومن العامة روىٰ الطبراني بسنده عن ربعي بن حراش، قال: سمعت حذيفة بن اليمان يقول: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: وذكر الدابة... تسم الناس مؤمن وكافر، أمّا المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري، وتكتب بين عينيه مؤمن، وأمّا الكافر فتنكت بين عينيه نكتة سوداء: كافر»[٢].

وفي رواية عقد الدرر عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في ذكر الدابة قال:... معها عصا موسىٰ عليه السلام، وخاتم سليمان عليه السلام، تسم المؤمن مؤمناً، وتسم الكافر كافراً، تنكت وجه المؤمن بالعصا فتتركه أبيض، وتنكت وجه الكافر بالخاتم، فتتركه أسود، فلا يبقىٰ أحد في سوق ولا برية، إلّا وسمت وجهه»[٣].

١. كمال الدين للشيخ الصدوق: ص٥٢٧، ب٤٧، ح١.
٢. جامع البيان عن تأويل آي القرآن لمحمد بن جرير الطبراني: ج٢٠، ص١٩، ح٢٠٦٢٣.
٣. عقد الدرر للمقدسي: ص٣١٧.

والوَسْمُ: أَثرُ الكَيّ، والجمع وُسومٌ... وفي الحديث: أَنه كان يَسِمُ إِبلَ الصدقةِ أَي يُعلِّم عليها بالكيّ... الوَسْمُ أَثرُ كيّةٍ، تقول مَوْسومٌ أَي قد وُسِم بِسِمةٍ يُعرفُ بها[١].

فمن أفعال الدابة أنها تضع علامة على وجه المؤمن لتدل على أنه مؤمن، وعلامة على وجه الكافر لتدل على أنه كافر، وهذه الأفعال - كما أشرنا أكثر من مرة - لا تصدر من حيوان غير عاقل، بل ولا تصدر من إنسان عادي، وإنما تصدر من إنسان كامل، وولي من أولياء الله تعالىٰ، يرىٰ بنوره (جل وعلا) ليعرف المؤمن من الكافر.

وهو ما يُعبر عنه بالتوسم، (والتوسم التفرس والانتقال من سيماء الأشياء علىٰ حقيقة حالها)[٢]، الأمر الذي دلت النصوص علىٰ أنه من صفات أهل البيت عليهم السلام، وقد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ (الحجر: ٧٥): «فَكَانَ رَسُولُ الله المُتَوَسِّمَ وَالأَئِمَّةُ مِنْ ذُرِّيَّتِي المُتَوَسِّمُونَ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، ﴿وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ﴾ [الحجر: ٧٦]، فَذَلِكَ السَّبِيلُ المُقِيمُ هُوَ الوَصِيُّ بَعْدَ النَّبِيِّ»[٣].

نصوص أخرىٰ عبرت عن هذا المعنىٰ في خصوص الكافرين والمنافقين بالخطم، أي إنها تخطم المرائين والمنافقين.

ففي رواية المروزي بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: تخرج الدابة من شعب بالأجياد رأسها يمس السحاب وما خرجت رجلاها من الأرض حتىٰ تأتي الرجل وهو يصلي، فتقول ما الصلاة من حاجتك ما هذا إلّا تعوذا ورياء فتخطمه[٤].

---

١. لسان العرب لابن منظور: ج١٢، ص٦٣٥ و ٦٣٦.
٢. تفسير الميزان للسيد الطباطبائي: ج١٢، ص١٨٥.
٣. مناقب آل أبي طالب (ج ٣/ ص٤٠٤).
٤. الفتن للمروزي: ص٤٠٢.

وروىٰ بسنده عن ابن عمر قال تخرج الدابة ليلة جمع يسيرون إلىٰ جمع فتخرج الدابة وعنقها ذكر من طوله فلا تدع منافقاً إلّا خطمته[١].

قال ابن الأثير: أي تسمه بها، من خطمت البعير إذا كويته خطًّا من الأنف إلىٰ أحد خديه، وتسمىٰ تلك السمة الخطام[٢].

وقال ابن منظور: ومعناه أنها تُؤثِّرُ في أنفه سِمَة يُعرف بها، ونحو ذلك قيل في قوله: سَنَسِمُه علىٰ الخُرْطومِ[٣].

الفعل الرابع: أنها العذاب الأدنىٰ علىٰ الكفار:

فقد روي في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذابِ الْأَدْنىٰ دُونَ الْعَذابِ الْأَكْبَرِ﴾ (السجدة: ٢١) عن زيد الشحّام، عن أبي عبد الله عليه السلام، قال: «العَذابِ الأَدْنىٰ دَابَّةُ الأَرْضِ»[٤].

وربما يكون المعنىٰ مرتبطاً بوسم الكفار بوجوههم علىٰ أنهم كفار، فيكون عذاباً عليهم في الدنيا، وهو عذاب أدنىٰ لأنه بلا شك أدنىٰ من عذاب نار جهنم (والعياذ بالله).

الفعل الخامس: أنها تسوق الناس إلىٰ المحشر:

ففي رواية علي بن مهزيار الأهوازي: «... تخرج دابة الأرض من بين الصفا والمروة، ومعه عصا موسىٰ وخاتم سليمان، يسوق الناس إلىٰ المحشر»[٥].

---

١. الفتن لنعيم المروزي: ص٤٠٤.
٢. النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين ابن الأثير: ج٢، ص٥٠.
٣. لسان العرب لابن منظور: ج١٢، ص١٨٨.
٤. مختصر بصائر الدرجات: ص٢١٠.
٥. الغيبة للطوسي: ص٢٥٥، ح٢٢٨.

وربما يكون المقصود من ذلك أن خروج دابة الأرض حيث إنه من علامات الساعة - كما تقدم في النقطة الأولىٰ -، فيكون خروجها دالاً علىٰ قرب قيام القيامة، لا فعلية قيام القيامة، فكأن خروجها يسوق الناس إلىٰ المحشر، والمحشر من الحشر وهو الجمع، والمَحْشَرُ : المجمع الذي يحشر إليه القوم، وكذلك إذا حشروا إلىٰ بلد أو مُعَسْكَر أو نحوه[١]، ومعه، فتكون الدابة من العلامات الدالة علىٰ قرب القيامة.

النقطة السابعة: ما يترتب علىٰ خروج الدابة:

الأمر الأول: أن خروج الدابة يُفرق بين الحق والباطل:

ففي خطبة المخزون المنسوبة لأمير المؤمنين عليه السلام: «... واليوم الثالث يفرق بين الحق والباطل بخروج دابة الأرض...»[٢].

الأمر الثاني: تمتع المؤمنين بعد خروجها:

ذكرت بعض النصوص العامية علىٰ أن الدابة بعد أن تقتل إبليس، فإن الناس يتمتعون أربعين سنة، جاء ذلك فيما رواه نعيمُ بنُ حمّاد بسنده عنِ النبي صلى الله عليه وآله قالَ: «خروجُ الدّابّةِ بعدَ طلوعِ الشّمسِ، فإذا خرجَت قتلَت الدّابّةُ إبليسَ وهوَ ساجدٌ ويتمتّعُ المؤمنونَ في الأرضِ بعدَ ذلكَ أربعينَ سنةً لا يتمنّونَ شيئاً إلّا أُعطوهُ ووجدوهُ، فلا جورَ ولا ظُلمَ، وقد أسلمَ الأشياءُ لربِّ العالمينَ طوعاً وكرهاً والمؤمنونَ طوعاً والكُفّارُ كرهاً والسّبعُ والطّيرُ كرهاً، حتّىٰ أنَّ السّبعَ لا يؤذي دابّةً ولا طيراً، ويلدُ المؤمنُ فلا يموتُ حتّىٰ يتمَّ أربعينَ

١. لسان العرب لابن منظور ج٤ ص١٩٠.

٢. مختصر بصائر الدرجات للحلي: ص٢١٠.

سنةً بعدَ خروجِ دابّةِ الأرضِ ثمَّ يعودُ فيهم الموتُ فيمكثونَ بذلكَ ما شاءَ الله...»[١].

ولا مانع من قبول هذا المعنىٰ في حد نفسه، وإن كان الثابت في رواياتنا أنه يحصل إبان قيام الدولة المهدوية علىٰ يدي الإمام المهدي عجل الله فرجه.

الأمر الثالث: غلق باب التوبة:

هذا ما جاء في بعض الروايات الخاصة والعامية.

فمن الخاصة ما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «خروج دابة (من) الأرض من عند الصفا... ثم ترفع الدابة رأسها فيراها من بين الخافقين بإذن الله جل جلاله وذلك بعد طلوع الشمس من مغربها، فعند ذلك ترفع التوبة، فلا توبة تقبل ولا عمل يرفع ﴿لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً﴾ [الأنعام: ١٥٨]...»[٢].

ومن العامة روىٰ مسلم بسنده عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله [صلى الله عليه وآله]: ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً طلوع الشمس من مغربها والدجال ودابة الأرض[٣].

ويمكن القول: إن غلق باب التوبة لا يمكن قبوله علىٰ إطلاقه، خصوصاً مع أدلة فتح باب التوبة المطلقة، والشاملة حتىٰ لزمن ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه وخروج الدابة، ويمكن حمله علىٰ أن المقصود عدم قبول التوبة لأنها تقع بعد رؤية الآيات، أي إن قبول التوبة مشروط بعدم نزول العذاب الإلهي، أمّا إذا

١. الفتنُ لنعيمِ بنِ حماد: ص٤٠٢.
٢. كمال الدين للشيخ الصدوق: ص٥٢٧، ب٤٧، ح١.
٣. صحيح مسلم: ج١، ص٩٥ و٩٦.

نـزل العـذاب فـلا تقبـل، كـما حصـل مـع فرعـون، وغيرهـا مـن الوجـوه التـي يمكـن أن يُحمـل عليهـا عـدم قبـول التوبـة.

النقطة الثامنة: ماهية الدابة:

اختُلـف في ماهيـة هـذه الدابـة، فقـد ذهـب بعضهـم إلىٰ أنهـا دابـة لهـا مواصفاتهـا الخاصـة تكلّـم النـاس، كـما يبـدو مـن النصـوص العاميـة المتقدمـة.

قال المباركفوري في (تحفة الأحوذي) ما نصّه:

((والدابَّـة) وهـي المذكـورة في قولـه تعـالىٰ: ﴿وَإِذا وَقَـعَ الْقَـوْلُ عَلَيْهِـمْ أَخْرَجْنـا لَهُـمْ دَابَّةً مِـنَ الْأَرضِ تُكَلِّمُهُـمْ...﴾ [النمـل: ٨٢] الآية، قـال المفسِّرون: هـي دابَّـة عظيمـة تخـرج مـن صـدع في الصفـا، وعـن ابـن عمـرو بـن العـاص: أنَّهـا الجساسـة المذكـورة في حديـث الدجّـال، قالـه النـووي. وقـال الجـزري في النهايـة: دابَّـة الأرض قيـل: طولهـا ستّون ذراعـاً ذات قوائـم ووبـر، وقيـل: هـي مختلفـة الخلقـة تشـبه عـدَّة مـن الحيوانـات ينصـدع جبـل الصفـا فتخـرج منـه ليلـة جُمَـع والنـاس سـائرون إلىٰ منـىٰ، وقيـل: مـن أرض الطائـف، ومعهـا عصـا موسـىٰ وخاتـم سـليمان عليهما السلام، لا يُدركهـا طالـب ولا يعجزهـا هـارب، تـضرب المؤمـن بالعصـا، وتكتـب في وجهـه: مؤمـن، وتطبـع الكافـر بالخاتـم وتكتـب في وجهـه: كافـر)[١].

ثـم علّـق عـلىٰ ذلـك فقـال: (اعلـم أن المفسريـن قـد ذكـروا لدابـة الأرض أوصافـاً كثـيرة مـن غـير ذكـر مـا يـدل عـلىٰ ثبوتهـا، فـكل مـا ثبـت بالكتـاب أو السـنة الصحيحـة فهـو المعتمـد ومـا لا، فـلا اعتـماد عليـه)[٢].

١. تحفة الأحوذي للمباركفوري: ج٦، ص٣٤٤.

٢. تحفة الأحوذي للمباركفوري: ج٦، ص٣٤٤.

وقال في أشراط الساعة الكبرىٰ: أمّا ما ورد من الأقوال عن ماهية هذه الدابة فمنهم من قال: هذه الدابة هي الجساسة، روي هذا القول عن ابن عمرو، وجزم به البيضاوي وغيره[١].

ومنهم من قال: إن هذه الدابة هي الثعبان الذي كان في بئر الكعبة فاختطفته العقاب حين أرادت قريش بناء البيت الحرام، روي هذا القول عن ابن عباس[٢].

ومنهم: من أبعد وزعم أن الدابة كناية عن الأشرار الذين هم في الجهل بمنزلة الدواب[٣].

ومنهم: من افترىٰ وزعم أن هذه الدابة هي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب [عليه السلام][٤].

ومنهم: من قال غير ذلك[٥].

أقول:

لا أدري لماذا عبّر عن كون الدابة هي أمير المؤمنين عليه السلام بأنه افتراء! رغم ما ستسمعه من أدلة علىٰ هذا الرأي، ورغم أن ما ذكرته نصوص العامة لا يكاد يصدقه العقل!

وعلىٰ كلِّ حالٍ، فنحن نجزم بأنَّ المقصود من الدابَّة هو إنسان معيَّن، وذلك بملاحظة التالي:

---

١. انظر الإشاعة لأشراط الساعة: ٣٥٨.

٢. انظر لوامع الأنوار البهية ٢/ ١٤٩.

٣. انظر مفردات ألفاظ القرآن ٣٠٦؛ ومحاسن التأويل ١٣/ ٨٧.

٤. انظر مجمع البيان ٥/ ٢٥١؛ والمروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في التفسير ٢/ ٦٦٣ - ٦٧٠.

٥. انظر الجامع لأحكام القرآن ١٣/ ٢٣٦؛ وإتحاف الجماعة ٢/ ٣٠٥ - ٣٣١.

أوّلاً: إنَّ القرآن الكريم وصف دابَّة الأرض بأنَّها تُكلِّم الناس، والكلام لا يصدر إلَّا من الآدميين، وليس من صفات الدواب الحيوانية.

فهذه قرينة لفظية تحدد معنىٰ الدابة وتضيّقه، بمعنىٰ أن الدابة وإن كانت مشتركة بين الإنسان والحيوان، كون معناها هو ما يدبّ علىٰ الأرض، إلّا أن لفظة ﴿تُكَلِّمُهُمْ﴾ قرينة لفظية علىٰ أن المقصود من الدابة هي حصة خاصة، وهي الدابة التي تكلم الناس، والكلام لا يكون إلّا من الآدميين.

لا يُقال: إن القرآن الكريم ذكر تكلم بعض الحيوانات، كالنملة التي تحدث مع النبي سليمان (عليه السلام)، والواقع أيضاً يشهد بتحدث بعض الحيوانات، كبعض الببغاوات.

لأنه يُقال: هذا قياس مع الفارق، فإن تكلم الدابة عام يفهمه جميع الناس كما هو ظاهر الآية، لا لشخص بعينه كما حصل مع النبي سليمان (عليه السلام)، وحديث مثل بعض الببغاوات إنما يكون بعد التعليم، ولكلمات معدودة، ولا تتحدث حديثاً عاماً وفي مقام المحاججة كما هو الحال في دابة الأرض.

ثانياً: إنَّ مهمَّة هذه الدابَّة هي محاججة الناس، أي إنَّ من مهامها هي مهمة حوارية، فمن غير المقبول ولا المعقول أن نُقنِع أنفسنا بأنَّ هذه الدابَّة حيوان يتصدّىٰ لمحاججة المنحرفين ويحاول إلقاء الحجَّة عليهم.

لاحظ أن الآية التي ذكرت الدابة ﴿وَإِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ﴾ (النمل: ٨٢) تصرح بأن الدابة تخرج لتكلم الناس، عندما يبتعدون عن الحق، هي تخرج عندما يكون الناس غير مؤمنين بآيات الله تعالىٰ، مما يعني أنها تخرج لإثبات

ما نفاه أو شكّك فيه الناس، ومثل هذه المهمة لا تكون لحيوان لا يعقل، بل ليس من المناسب إيكال مثل هذه المهمة الكبرىٰ لحيوان مخيف لا عقل له!

ثالثاً: أنَّ لهذه الدابَّة شأناً إنسانياً ولها مقاماً رفيعاً بقرينة حملها لعصا موسىٰ وخاتم سليمان وهي من مواريث الأنبياء، ولا يتناسب لمثل هذه المواريث أن تكون لدىٰ دابَّة حيوانية.

رابعاً: تقدم أن للدابة القدرة علىٰ تمييز المؤمن عن الكافر والمنافق، وأنها تسم المؤمن فتجعل وجهه كالكوكب الدري، وتسم الكافر والمنافق بعلامة تميزه عن غيره وبحيث يرفه كل من نظر إليه، ومثل هذا التمييز للبواطن لا يليق بحيوان، بل ولا بإنسان عادي، وإنما هو - كما تقدمت الإشارة إليه - لا يستقيم إلّا مع عبد من عبيد الله تعالىٰ الكاملين الذين ينظرون بنوره، ويعلمون البواطن بإذنه، فكيف يُمكن أن نتعقل أن مثل هذه المهمة تقوم بها دابة حيوانية لا تعقل!

بل لا يمكن أن نتصور أن الله تعالىٰ يوكل مثل هذه المهمة لدابة حيوانية، فإنه فضلاً عن كونه لا معنىٰ له مع وجود الأولياء.

إذن فلا مناص من القول بأن الدابة هي إنسان يخرج لمحاججة الناس وإلقاء الحجة عليهم، وقد ذكرت رواياتنا علىٰ أن هذا الإنسان الذي سيقوم بهذه المهمة هو الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ويُمكن إثبات ذلك روائياً من خلال متابعة النصوص العديدة التي وردت ونصت علىٰ أن الدابة هو أمير المؤمنين عليه السلام، وهي بمجموعها تولد حجة قطعية - إن لم تولد تواتراً أو استفاضة - تورث الاطمئنان - بل وما فوق الاطمئنان - بصحتها، والروايات هي:

الرواية الأولىٰ:

عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أن رجلاً قال لعمار بن ياسر: «يا أبا اليقظان، آية في كتاب الله عليه السلام أفسدت قلبي وشككتني. قال عمّار: وأية آية هي؟ قال قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ...﴾ فأي دابة هذه؟ قال عمّار: والله ما أجلس ولا آكل ولا أشرب حتّىٰ أريكها، فجاء عمّار مع الرجل إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وهو يأكل تمراً وزبداً فقال: يا أبا اليقظان اجلس فجلس عمّار وجعل يأكل معه، فتعجب الرجل منه فلما قام عمّار قال الرجل: سبحان الله يا أبا اليقظان حلفت أن لا تأكل ولا تشرب ولا تجلس حتّىٰ ترينيها. قال عمّار: قد أريتكها إن كنت تعقل»[١].

الرواية الثانية:

ما تقدم من رواية أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «انتهىٰ رسول الله صلى الله عليه وآله إلىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وهو نائم في المسجد قد جمع رملاً ووضع رأسه عليه، فحركه رسول الله صلى الله عليه وآله برجله ثم قال: يا دابة الله، فقال رجل من أصحابه: يا رسول الله أيسمىٰ بعضنا بعضاً بهذا الاسم؟ فقال: لا والله ما هو إلّا له خاصة، وهو الدابة التي ذكر الله تعالىٰ في كتابه: ﴿وَإِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢] ...»[٢].

---

١. مختصر بصائر الدرجات للحلي: ص٤٣.

٢. مختصر بصائر الدرجات للحلي: ص٤٣.

الرواية الثالثة:

في رواية أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «... وإِنِّي لَصَاحِبُ الكَرَّاتِ ودَوْلَةِ الدُّوَلِ وإِنِّي لَصَاحِبُ العَصَا والمِيسَمِ والدَّابَّةُ الَّتِي تُكَلِّمُ النَّاسَ...»[١].

الرواية الرابعة:

عن الأصبغ بن نباتة، قال: قال لي معاوية: يا معشر الشيعة تزعمون أن علياً دابة الأرض؟ فقلت: نحن نقول؟! اليهود تقوله، فأرسل إلىٰ رأس الجالوت، فقال: ويحك تجدون دابة الأرض عندكم؟ فقال: نعم، فقال: ما هي؟ فقال: رجل، فقال: أتدري ما اسمه؟ قال: نعم اسمه إليا، قال: فالتفت إليَّ فقال: ويحك يا أصبغ، ما أقرب إليا من علياً[٢].

الرواية الخامسة:

عن الأصبغ بن نباتة أيضاً قال: دخلت علىٰ أمير المؤمنين عليه السلام وهو يأكل خبزاً وخلاً وزيتاً فقلت: يا أمير المؤمنين عليه السلام قال الله عز وجل ﴿وَإِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النمل: ٨٢] فما هذه الدابة؟ قال: «هي دابة تأكل خبزاً وخلاً وزيتاً»[٣].

الرواية السادسة:

عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «وأنا المؤذن علىٰ الأعراف وأنا بارز الشمس وأنا دابة الأرض وأنا قسيم النار وأنا خازن الجنان وصاحب الأعراف وأنا أمير المؤمنين ويعسوب المتقين»[٤].

---

١. الكافي للكليني: ج١، ص١٩٨، بَابُ أَنَّ الأَئِمَّةَ هُمْ أَرْكَانُ الأَرْضِ، ح٣.
٢. مختصر بصائر الدرجات للحلي: ص٢٠٨.
٣. مختصر بصائر الدرجات للحلي: ص٢٠٨.
٤. مختصر بصائر الدرجات للحلي: ص٣٤.

الرواية السابعة:

عن أبي عبد الله الجدلي قال دخلت علىٰ علي عليه السلام يوماً فقال: «أنا دابة الأرض».

وفي نقل آخر عنه أنه قال: دخلت علىٰ علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: «ألا أحدثك ثلاثاً قبل أن يدخل علي وعليك داخل، أنا عبد الله، أنا دابة الأرض صدقها وعدلها وأخو نبيها، أنا عبد الله...»[١].

الرواية الثامنة:

عن أبي بصير قال: قال أبو جعفر عليه السلام أي شيء يقول الناس في هذه الآية ﴿وَإِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ فقال: «هو أمير المؤمنين عليه السلام»[٢].

الرواية التاسعة:

الحسين بن بشار، قال سألت أبا الحسن الرضا عليه السلام عن الدابة، قال: «أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) الدابة»[٣].

الرواية العاشرة:

عن جابر عن مالك بن حمزة الرواسبي، قال: سمعت أبا ذر يقول علي عليه السلام دابة الأرض...[٤].

---

١. مختصر بصائر الدرجات للحلي: ص٢٠٦ و ٢٠٧.
٢. مختصر بصائر الدرجات للحلي: ص٢٠٩.
٣. مختصر بصائر الدرجات للحلي: ص٢٠٩.
٤. مختصر بصائر الدرجات للحلي: ص٢٠٩.

الرواية الحادية عشرة:

عن صالح بن ميثم عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: حدثني، قال: «أليس قد سمعت الحديث من أبيك»؟ قلت: هلك أبي وأنا صبي، قال: قلت: فأقول: فإن أصبت، قلت: نعم، وإن أخطأت رددتني عن الخطأ، قال: هذا أهون، قلت: فإني أزعم أن علياً عليه السلام دابة الأرض، قال: فسكت، قال: فقال أبو جعفر عليه السلام: «وأراك والله ستقول إن علياً عليه السلام راجع إلينا وقرأ ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]»، قال: قلت: والله لقد جعلتها فيما أريد أن أسألك عنها فنسيتها، فقال أبو جعفر عليه السلام: «أفلا أخبرك بما هو أعظم من هذا؟ ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾ [سبأ: ٢٨] لا تبقىٰ أرض إلّا نودي فيها بشهادة أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وأشار بيده إلىٰ آفاق الأرض»[١].

الرواية الثانية عشرة:

في حديث المعراج روي عن عبد الله بن سنان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لقد أسرىٰ بي ربي عز وجل فأوحىٰ إليَّ من وراء حجاب ما أوحىٰ وكلمني بما كلم به وكان مما كلمني به أن قال: يا محمد إني أنا الله لا إله إلّا أنا عالم الغيب والشهادة الرحمن الرحيم... يا محمد، عليٌّ أول ما آخذ بميثاقه من الأئمة يا محمد، عليٌّ آخر من أقبض روحه من الأئمة وهو الدابة التي تكلمهم...»[٢].

---

١. مختصر بصائر الدرجات للحلي: ص٢٠٩و ٢١٠.

٢. مختصر بصائر الدرجات للحلي: ص٣٦.

الرواية الثالثة عشرة:

عن أبي الطفيل أنه قال: يا أمير المؤمنين قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كانُوا بِآياتِنا لا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]، ما الدابة؟ قال: «يا أبا الطفيل اله عن هذا»، فقلت: يا أمير المؤمنين أخبرني به جعلت فداك، قال: «هي دابة تأكل الطعام وتمشي في الأسواق وتنكح النساء»، فقلت: يا أمير المؤمنين من هو؟ قال: «هو زرُّ الأرض[1] الذي تسكن الأرض به»، قلت: يا أمير المؤمنين من هو؟ قال: «صدّيق هذه الأُمة وفاروقها وربيها وذو قرينها»، قلت: يا أمير المؤمنين من هو؟ قال: «الذي قال الله تعالىٰ: ﴿وَيَتْلُوهُ شاهِدٌ مِنْهُ﴾ [هود: ١٧] والذي ﴿عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ﴾ [الرعد: ٤٣]، ﴿وَالَّذِي جاءَ بِالصِّدْقِ﴾ والذي ﴿صَدَّقَ بِهِ﴾ [الزمر: ٣٣] أنا، والناس كلهم كافرون غيري وغيره»، قلت: يا أمير المؤمنين فسمِّه لي، قال: «قد سميته لك يا أبا الطفيل...»[2].

الرواية الرابعة عشرة:

عن عباية قال: أتىٰ رجل أمير المؤمنين عليه السلام فقال: حدثني عن الدابة، قال: «وما تريد منها»؟ قال: أحببت أن أعلم علمها، قال: «هي دابة مؤمنة تقرأ القرآن، وتؤمن بالرحمن، وتأكل الطعام، وتمشي في الأسواق».

وفي نص آخر أنه قال في آخره: من هو يا أمير المؤمنين؟ قال: «هو علي ثكلتك أمك»[3].

---

١. في الأصل المطبوع: رب الأرض، وهو تصحيف ظاهر، والمراد بالزر ما به قوام الشيء يقال: هو زر الدين، أي قوامه. [هامش بحار الأنوار ج٥٣ ص ٦٩].

٢. مختصر بصائر الدرجات للحلي: ص٤٠ و ٤١.

٣. بحار الأنوار: ج٥٣، ص١١١.

الرواية الخامسة عشرة:

روي أنه قال أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «أَنَا قَسِيمُ اللهِ بَيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ، لَا يَدْخُلُهَا دَاخِلٌ إِلَّا عَلَىٰ حَدِّ قَسْمِي، وأَنَا الفَارُوقُ الأَكْبَرُ، وأَنَا الإِمَامُ لِمَنْ بَعْدِي والمُؤَدِّي عَمَّنْ كَانَ قَبْلِي، لَا يَتَقَدَّمُنِي أَحَدٌ إِلَّا أَحْمَدُ صلى الله عليه وآله، وإِنِّي وإِيَّاه لَعَلَىٰ سَبِيلٍ وَاحِدٍ، إِلَّا أَنَّه هُوَ المَدْعُوُّ بِاسْمِه، ولَقَدْ أُعْطِيتُ السِّتَّ: عِلْمَ المَنَايَا والبَلَايَا والوَصَايَا وفَصْلَ الخِطَابِ وإِنِّي لَصَاحِبُ الكَرَّاتِ ودَوْلَةِ الدُّوَلِ وإِنِّي لَصَاحِبُ العَصَا والمِيسَمِ والدَّابَّةُ الَّتِي تُكَلِّمُ النَّاسَ»[١].

فكل هذه النصوص - وربما هناك غيرها - تدل علىٰ أن الدابة بشر، بل هو أمير المؤمنين عليه السلام.

الرواية السادسة عشرة:

روىٰ الذهبي عن جابر الجعفي أنه كان يقول: دابة الأرض عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٢].

إن قلت:

كيف يُعقل أن تكون الدابة هو أمير المؤمنين عليه السلام، والحال أنه قد مات سنة (٤٠) للهجرة؟

قلت:

إنه سؤال سهل المؤونة، بعد ثبوت إمكان الرجعة، بل ووقوعها في الأُمم السابقة، بل والأدلة الدالة علىٰ وقوعها في المستقبل.

---

١. الكافي للكليني: ج١، ص١٩٨، بَابُ أَنَّ الأَئِمَّةَ هُمْ أَرْكَانُ الأَرْضِ، ح٣.

٢. ميزان الاعتدال للذهبي ١: ٣٨٤.

أو قل: إن الروايات دلت على أنه عليه السلام يرجع في آخر الزمان، وهو دابة الأرض.

والنصوص الدالة على رجعته عليه السلام - غير نصوص الدابة - عديدة، منها:

النص الأول:

عن سعيد بن عمار، عن أبي مروان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، قال: فقال لي: «لا والله لا تقضي الدنيا ولا تذهب حتى يجتمع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام بالثوية فيلتقيان ويبنيان بالثوية مسجداً، له اثني عشر ألف باب يعني موضعاً بالكوفة»[1].

النص الثاني:

عن سليمان بن خالد، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٧-٨] قال: «الراجفة الحسين بن علي عليه السلام، والرادفة علي بن أبي طالب عليه السلام وأول من ينفض عن رأسه التراب الحسين بن علي عليه السلام في خمسة وسبعين ألفاً، وهو قوله عز وجل: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ۝٥١ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥١-٥٢]»[2].

النص الثالث:

روي أنه قال أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «أَنَا قَسِيمُ الله بَيْنَ الجَنَّةِ والنَّارِ، لَا

١. مختصر بصائر الدرجات للحلي: ص٢١٠.

٢. مختصر بصائر الدرجات للحلي: ص٢١١.

يَدْخُلُهَا دَاخِلٌ إِلَّا عَلَىٰ حَدِّ قَسْمِي، وأَنَا الفَارُوقُ الأَكْبَرُ، وأَنَا الإِمَامُ لِمَنْ بَعْدِي والمُؤَدِّي عَمَّنْ كَانَ قَبْلِي، لَا يَتَقَدَّمُنِي أَحَدٌ إِلَّا أَحْمَدُ صلى الله عليه وآله، وإِنِّي وإِيَّاه لَعَلَىٰ سَبِيلٍ وَاحِدٍ، إِلَّا أَنَّه هُوَ المَدْعُوُّ بِاسْمِه ولَقَدْ أُعْطِيتُ السِّتَّ عِلْمَ المَنَايَا والبَلَايَا والوَصَايَا وفَصْلَ الخِطَابِ، وإِنِّي لَصَاحِبُ الكَرَّاتِ ودَوْلَةِ الدُّوَلِ، وإِنِّي لَصَاحِبُ العَصَا والمِيسَمِ والدَّابَّةُ الَّتِي تُكَلِّمُ النَّاسَ»[١].

النص الرابع:

عن بكير بن أعين، قال: قال لي: من لا أشك فيه يعني أبا جعفر عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وآله وعلياً عليه السلام سيرجعان[٢].

النص الخامس:

عن فيض بن أبي شيبة، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: وتلىٰ هذه الآية ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ﴾ [آل عمران: ٨١] قال: «ليؤمنن برسول الله صلى الله عليه وآله ولينصرن علياً أمير المؤمنين عليه السلام»، قال: «نعم والله من لدن آدم عليه السلام فهلم جرا، فلم يبعث الله نبياً ولا رسولاً إلّا رد جميعهم إلىٰ الدنيا حتىٰ يقاتلوا بين يدي علي بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام»[٣].

النص السادس:

أبو حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال لي: «يا أبا حمزة لا ترفعوا علياً فوق ما رفعه الله ولا تضعوا علياً دون ما وضعه الله كفىٰ بعلي عليه السلام أن يقاتل أهل الكرة ويزوج أهل الجنة»[٤].

---

١. الكافي للكليني: ج١، ص١٩٨، بَابُ أَنَّ الأَئِمَّةَ هُمْ أَرْكَانُ الأَرْضِ، ح٣.
٢. مختصر بصائر الدرجات للحلي ص ٢٤.
٣. مختصر بصائر الدرجات للحلي ص ٢٤ و ٢٥.
٤. مختصر بصائر الدرجات للحلي ص ٢٥.

النص السابع:

عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال الحسين بن علي عليهما السلام لأصحابه قبل أن يقتل: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: يا بني إنك ستساق إلىٰ العراق وهي أرض قد التقىٰ فيها النبيون وأوصياء النبيين وهي أرض تدعىٰ عمورا، وأنك تستشهد بها يستشهد جماعة معك من أصحابك لا يجدون ألم مس الحديد، وتلىٰ: ﴿قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] يكون الحرب برداً وسلاماً عليك وعليهم، فأبشروا، فوالله لئن قتلونا فإنا نرد علىٰ نبينا صلى الله عليه وآله ثم أمكث ما شاء الله فأكون أول من تنشق الأرض عنه فأخرج خرجة يوافق ذلك خرجة أمير المؤمنين عليه السلام وقيام قائمنا عليه السلام وحياة رسول صلى الله عليه وآله...»[١].

النص الثامن:

عن عبد الكريم بن عمر والخثعمي، قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «... رسول الله صلى الله عليه وآله بيده حربة من نور، فإذا نظر إليه إبليس رجع القهقري ناكصاً علىٰ عقبيه فيقولون له أصحابه: أين تريد وقد ظفرت؟ فيقول: إني أرىٰ ما لا ترون، إني أخاف الله رب العالمين، فيلحقه النبي صلى الله عليه وآله فيطعنه طعنة بين كتفيه فيكون هلاكه وهلاك جميع أشياعه، فعند ذلك يعبد الله عز وجل ولا يشرك به شيئاً ويملك أمير المؤمنين عليه السلام أربعاً وأربعين ألف سنة حتىٰ يلد الرجل من شيعة علي عليه السلام ألف ولد من صلبه ذكراً في كل سنة ذكراً، وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما حوله بما شاء الله»[٢].

١. مختصر بصائر الدرجات للحلي ص ٣٧.

٢. مختصر بصائر الدرجات للحلي ص ٢٦ و ٢٧.

النص التاسع:

في رواية أسئلة المفضل مع الإمام الصادق عليه السلام أنه عليه السلام قال له: «يا مفضل، والله ليردن وليحضرن السيد الأكبر محمد رسول الله صلى الله عليه وآله والصديق الأكبر أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام وكل من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً...»[١].

هذا فضلاً عن النصوص التي دلت على رجعة كل من محض الإيمان، فإنها وبلا شك تشمل أمير المؤمنين عليه السلام، وذلك من قبيل ما روي عن ابن أبي عمير عن المفضل عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾ [النمل: ٨٣] قال: «ليس أحد من المؤمنين قتل إلّا ويرجع حتى يموت ولا يرجع إلّا من محض الإيمان محضاً ومحض الكفر محضاً»[٢].

والحاصل:

إن رجعة أمير المؤمنين عليه السلام وكونه هو دابة الأرض التي ذكرها القرآن الكريم، هو مما لا يُنكره العقل، ولا مانع نقلياً منه، بل الأدلة الروائية الكثيرة - والتي تصل إلى حد التواتر أو الاستفاضة - تدل عليه أيضاً.

النقطة التاسعة: هل تخرج الدابة قبل ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه أو بعده؟

يمكن القول: إن الدابة تخرج بعد أن يظهر الإمام المهدي عجل الله فرجه، ونذكر لذلك بيانين:

---

١. مختصر بصائر الدرجات للحلي ص ١٨٨.

٢. مختصر بصائر الدرجات للحلي ص ٤٣.

البيان الأول:

إن المستفاد من النصوص هو أنَّ أول من يرجع هو الإمام الحسين عليه السلام، وهذا يلازم خروج الدابة بعد الإمام المهدي عجل الله فرجه، وبيانه من خلال المقدمتين التاليتين:

المقدمة الأولىٰ:

إن أول من يرجع هو الإمام الحسين عليه السلام، دلَّت علىٰ ذلك بعض النصوص، من قبيل ما روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «أوَّل من تنشقُّ الأرض عنه ويرجع إلىٰ الدنيا الحسين بن عليٍّ عليهما السلام»[١].

وعنه عليه السلام: «إنَّ أوَّل من يكرُّ في الرجعة الحسين بن عليٍّ عليهما السلام، ويمكث في الأرض أربعين سنة حتَّىٰ يسقط حاجباه علىٰ عينيه»[٢].

المقدمة الثانية:

إن الإمام الحسين عليه السلام يرجع بعد ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه، بل ربما يمكن القول بأنه يرجع في أواخر حياته عجل الله فرجه، وهو ما يُستفاد مما روي من أنه عليه السلام هو الذي يتولىٰ تغسيل ودفن الإمام المهدي عجل الله فرجه، فقد روي عَنْ عَبْدِ الله بْنِ القَاسِمِ البَطَلِ عَنْ أَبِي عَبْدِ الله عليه السلام فِي قَوْلِه تَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾ (الإسراء: ٤) قَالَ: «قَتْلُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عليه السلام وطَعْنُ الحَسَنِ عليه السلام ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيراً﴾ قَالَ: قَتْلُ الحُسَيْنِ عليه السلام: ﴿فَإِذا جاءَ وَعْدُ أُولاهُما﴾ فَإِذَا جَاءَ نَصْرُ دَمِ الحُسَيْنِ عليه السلام ﴿بَعَثْنا عَلَيْكُمْ عِباداً لَنا أُولِي

١. مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلّي: ٢٤.
٢. مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلّي: ١٨.

بَـأْسٍ شَـدِيدٍ فَجاسُـوا خِـلالَ الدِّيـارِ﴾ قَـوْمٌ يَبْعَثُهُـمُ اللهُ قَبْـلَ خُـرُوجِ القَائِـمِ عليه السلام فَـلَا يَدَعُـونَ وَتْـراً لِآلِ مُحَمَّـدٍ إِلَّا قَتَلُـوه، ﴿وَكَانَ وَعْداً مَفْعُـولاً﴾ خُـرُوجُ القَائِمِ عليه السلام: ﴿ثُـمَّ رَدَدْنـا لَكُـمُ الْكَـرَّةَ عَلَيْهِـمْ﴾ خُـرُوجُ الحُسَـيْنِ عليه السلام فِي سَـبْعِينَ مِـنْ أَصْحَابِـه عَلَيْهِـمُ البَيْـضُ المُذَهَّـبُ لِـكُلِّ بَيْضَـةٍ وَجْهَـانِ المُـؤَدُّونَ إِلَىٰ النَّـاسِ أَنَّ هَـذَا الحُسَـيْنَ قَـدْ خَـرَجَ؛ حَتَّـىٰ لَا يَشُـكَّ المُؤْمِنُـونَ فِيـه وأَنَّـه لَيْـسَ بِدَجَّـالٍ ولَا شَـيْطَانٍ والحُجَّـةُ القَائِـمُ بَـيْنَ أَظْهُرِهِـمْ، فَـإِذَا اسْـتَقَرَّتِ المَعْرِفَـةُ فِي قُلُـوبِ المُؤْمِنِـينَ أَنَّـه الحُسَـيْنُ عليه السلام، جَـاءَ الحُجَّـةَ المَـوْتُ فَيَكُـونُ الَّـذِي يُغَسِّـلُه ويُكَفِّنُـه ويُحَنِّطُـه ويَلْحَـدُه فِي حُفْرَتِـه الحُسَـيْنَ بْـنَ عَـلِيٍّ عليهما السلام، ولَا يَـلِي الـوَصِيَّ إِلَّا الـوَصِيُّ»[١].

ويشـير إليـه أيضـاً مـا روي عـن أبي عبـد الله عليه السلام أنـه سُـئل عـن الرجعـة أحـق هـي؟ قـال: «نعـم»، فقيـل لـه: مـن أول مـن يخـرج؟ قـال: «الحسـين عليه السلام يخـرج عـلىٰ أثـر القائـم عليه السلام»، قلـت: ومعـه النـاس كلهـم؟ قـال عليه السلام: «لا، بـل كـما ذكـر الله تعـالىٰ في كتابـه ﴿يَـوْمَ يُنْفَـخُ فِي الصُّـورِ فَتَأْتُـونَ أَفْواجـاً﴾ [النبأ: ١٨] قـوم بعـد قـوم»[٢].

وفي نـص ثالـث عـن أبي عبـد الله عليه السلام: «ويقبـل الحسـين عليه السلام في أصحابـه الذيـن قُتلـوا معـه، ومعـه سـبعون نبيـاً كـما بعثـوا مـع موسـىٰ بـن عمـران عليه السلام، فيدفـع إليـه القائـم عليه السلام الخاتـم، فيكـون الحسـين عليه السلام هـو الـذي يـلي غسـله وكفنـه وحنوطـه ويـواري بـه في حفرتـه»[٣].

---

١. الكافي للكليني: ج٨، ص٢٠٦ و ٢٠٧، ح٢٥٠.
٢. مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلي: ص٤٨.
٣. مختصر بصائر الدرجات للحسن بن سليمان الحلي: ص٤٨و ٤٩.

ينتج:

إن دابة الأرض (أو قل: أمير المؤمنين عليه السلام) يخرج بعد ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه، إذ إن أول الراجعين وهو الإمام الحسين عليه السلام يخرج بعد ظهوره عجل الله فرجه، فمعناه أن غيره من الأئمة عليهم السلام يخرجون بعده.

البيان الثاني:

إنَّ بعض النصوص دلَّت على أن خروج الدابة يكون بعد طلوع الشمس من مغربها، وهذا يلازم خروجها بعد الإمام المهدي عجل الله فرجه، وبيانه من خلال المقدمتين التاليتين:

المقدمة الأولى:

إن دابة الأرض تخرج بعد طلوع الشمس من مغربها.

دلّ على ذلك نصوص، من قبيل ما رواه المروزي بسنده عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: «خروجُ الدّابّةِ بعدَ طلوعِ الشّمسِ...»[١].

وتقدم أنه يمكن تأكيد خروجها بعد طلوع الشمس من مغربها بما رواه الشيخ الصدوق بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «خروج دابة (من) الأرض من عند الصفا... ثم ترفع الدابة رأسها فيراها من بين الخافقين بإذن الله جل جلاله وذلك بعد طلوع الشمس من مغربها، فعند ذلك ترفع التوبة، فلا توبة تقبل ولا عمل يرفع و﴿لا يَنْفَعُ نَفْساً إِيمانُها لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمانِها خَيْراً﴾ [الأنعام: ١٥٨]...»[٢].

١. الفتنُ لنعيمِ بنِ حماد: ص٤٠٢.

٢. كمال الدين للشيخ الصدوق: ص٥٢٧، ب٤٧، ح١.

المقدمة الثانية:

إن أحد معاني (طلوع الشمس من مغربها) هو خروج الإمام المهدي عجل الله فرجه من غيبته[١]، فالشمس كناية عنه عجل الله فرجه، والمغرب كناية عن الغيبة، فيكون المعنىٰ: انتهاء الغيبة الكبرىٰ وخروج الإمام المهدي عجل الله فرجه.

ومن الروايات التي يمكن أن يستفاد منها ذلك ما روي عن النزال بن سبرة، عن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث يذكر فيه أمر الدجال ويقول في آخره: «لا تسألوني عما يكون بعد هذا فإنه عهد إليَّ حبيبي صلى الله عليه وآله أن لا أخبر به غير عترتي»، قال النزال بن سبرة: فقلت لصعصعة بن صوحان: ما عنىٰ أمير المؤمنين بهذا القول؟

فقال صعصعة: يا بن سبرة، إن الذي يصلي عيسىٰ بن مريم خلفه هو الثاني عشر من العترة، التاسع من ولد الحسين بن علي عليهما السلام وهو الشمس الطالعة من مغربها، يظهر عند الركن والمقام، فيطهر الأرض ويضع الميزان بالقسط فلا يظلم أحد أحداً...»[٢].

ينتج:

إن الدابة تخرج بعد خروج الإمام المهدي عجل الله فرجه.

إن قلت: هل معنىٰ ذلك أن الدابة تخرج بعد وفاة الإمام المهدي عجل الله فرجه؟

قلت: ظاهر ما تقدم من البيان الأول هو ذلك.

---

١. ويمكن أن يكون المقصود منها علامة كونية حقيقية، فالشمس بدلاً من أن تشرق من المشرق، هي تشرق من المغرب، فتكون علامة كونية واضحة للعيان، ولكنها ليست من علامات الظهور، إنما هي من علامات الساعة، وهذا ما صرحت به بعض الروايات، ومنها التالي: فقد جاء في كتاب الغيبة للشيخ الطوسي: ص٤٣٦ عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: عشر قبل الساعة لابد منها: السفياني، والدجال، والدخان، والدابة وخروج القائم، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسىٰ عليه السلام...».

٢. كمال الدين وتمام النعمة للشيخ الصدوق: ص٧٧ – ٧٨، ب٤٧، ح١.

فإن قلت: فماذا تفعل بالروايات التي دلت علىٰ معاصرة الإمام المهدي عجل الله فرجه للإمام علي عليه السلام؟

قلت: هذا يُحمل علىٰ تعدد رجعات الأئمة عليهم السلام، ففي واحدة أو أكثر من الرجعات يُمكن أن يتعاصر الأئمة عليهم السلام كلهم في زمن واحد، وإليه يُعزىٰ ما روي عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال الحسين بن علي عليهما السلام لأصحابه قبل أن يقتل: «... فأكون أول من تنشق الأرض عنه فأخرج خرجة يوافق ذلك خرجه أمير المؤمنين عليه السلام وقيام قائمنا عليه السلام وحياة رسول صلى الله عليه وآله...»[١].

هذا، ولكن توجد رواية تدل علىٰ أن خروج الدابة هو من علامات ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه، وهي رواية عباد بن محمد المدايني أنه قال للإمام الصادق عليه السلام ضمن حديث: متىٰ يكون خروجه جعلني الله فداك؟ قال: «إذا شاء من له الخلق والأمر»، قلت: فله علامة قبل ذلك؟ قال: «نعم، علامات شتىٰ»، قلت: مثل ماذا؟ قال: «خروج دابة من المشرق، ورواية من المغرب، وفتنة تظل أهل الزورا، وخروج رجل من ولد عمي زيد باليمن، وانتهاب ستارة البيت، ويفعل الله ما يشاء»[٢].

ولو صحت هذه الرواية، فهي لا تدل علىٰ أكثر من كون خروج الدابة علامة علىٰ خروج الإمام المهدي عجل الله فرجه، ولا تدل علىٰ قبلية خروجها، بمعنىٰ أن العلامة يمكن أن تسبق خروج الإمام المهدي عجل الله فرجه، كما في بناء جسر في بغداد مثلاً، ويمكن أن تكون معاصرة لظهوره عجل الله فرجه، أي تكون بعد خروجه، ولو الخروج الجزئي أو غير الرسمي أو غير العلني، كما في الخسف في البيداء، فإنه يكون بعد أن يعلم جيش السفياني بتواجد الإمام المهدي عجل الله فرجه في مكة، فيتبعه، فيُخسف به في البيداء.

١. مختصر بصائر الدرجات للحلي ص ٣٧.

٢. بحار الأنوار: ج٨٣، ص٦٢.

فلتكن الدابة من القبيل الثاني.

ولكن هل يعني هذا أنها تدل علىٰ أن الدابة تخرج قبل وفاة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف؟

ربما يكون كذلك.

وعلىٰ كل حال، فيمكن أن يكون للدابة عدة خرجات - كما أشارت لذلك بعض النصوص المتقدمة -، وبعضها يكون معاصراً للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، وبعضها بعد وفاته، فإن الرجعة لو صحت مرة لصحت أكثر من مرة، ولا مانع عقلياً ولا نقلياً من ذلك، بل هناك نصوص تشير إلىٰ هذا المعنىٰ كما تقدم.

فتحصل من كل ما سبق:

أولاً: أن خروج الدابة في آخر الزمان أمر متفق عليه بين الفرق الإسلامية، والخلاف هو في تحديد ماهيتها وبعض صفاتها.

ثانياً: أن نصوص العامة في توصيف الدابة، ولا يكاد يصدقها العقل وهي بالأساطير والأراجيف أقرب منها إلىٰ الروايات، في حين أن روايات الخاصة في هذا المجال واضحة لا لبس فيها، وهي تدل علىٰ أن الدابة ولي من أولياء الله تعالىٰ.

ثالثاً: أن الأدلة العقلية والنقلية تدل علىٰ أن الدابة ولي من أولياء الله تعالىٰ، وله القدرة علىٰ تمييز المؤمن من غيره، وقد دلَّت الأدلة علىٰ أن هذا الولي هو أمير المؤمنين عليه السلام.

رابعاً: أن له عليه السلام عدة رجعات، بعضها يكون مزامناً للإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف وللإمام الحسين عليه السلام.

المعود
ALMAUOOD

ضرورة الحكومة المهدوية
بين نظرية العَقد الاجتماعي وارتكازية العصمة

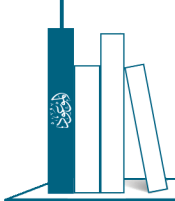

الشيخ حميد الكلابي

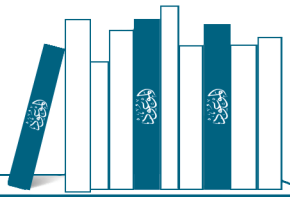

تمهيد:

يبدأ البحث في القضايا المختلف عليها بتصوير أصل القضية ومفرداتها تصويراً دقيقاً، لئلا ينزلق الأمر إلىٰ منخفضات النزاع اللفظي، ثم تناقش القضية إثباتاً أو نفياً بالأدلة تارة، وبنقض أدلة الطرف الآخر تارة أخرىٰ، أو حلها، وبذلك يُثرىٰ البحث وتكون له سعة من الكلام، لأجل الوصول إلىٰ النتيجة المطلوبة.

أمّا القضايا البديهية والمتفق عليها، فلا يجد الباحث تلك السعة، بل لا معنىٰ لبحثها، لمكان وضوحها، وعدم الخلاف فيها غالباً، إلّا أنه يبقىٰ مجال آخر للبحث فيها، وهو تصوير القضية من جوانب مغفول عنها، تحتاج في إظهارها، والتنبيه عليها، ليتجلىٰ ما يخفىٰ منها علىٰ الأذهان، إلىٰ تحليل لمقولاتها وتلمسها من هنا وهناك، وهذا مجال واسع أيضاً للبحث في أمثال هذه القضايا.

إن من هذه القضايا ضرورة الحاكم، وأن له التصرف بما يتعدىٰ إلىٰ التصرف في النفوس، فضلاً عن الأموال وغيرها، وهذا متفق عليه بين المسلمين في خصوص النبي محمد صلى الله عليه وآله، بل هو مما تقتضيه الحياة عموماً.

وأمّا في الإمام من بعده، فقد اختلف المسلمون في ذلك، إذ ذهبت الشيعة الإمامية (أعلىٰ الله شأنهم) إلىٰ عصمة الإمام بعد النبي ﷺ، وأن له ما للنبي ﷺ في التصرف، للحديث المشهور المعروف المتواتر عن النبي ﷺ قوله في غدير خُمٍّ، آخذاً بيد علي عليه السلام: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ وَلِيُّكُمْ وأَوْلَىٰ بِكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ»؟ فقَالُوا: الله ورَسُولُه، فقَالَ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاه فَعَلِيٌّ مَوْلَاه، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاه وعَادِ مَنْ عَادَاه»[1]، وغيرها من النصوص الصريحة.

وهذا التصرف علىٰ سعته محدود بحدود الشريعة ومصلحة المولّىٰ عليهم، بل إن هذه الحدود مأخوذة في معنىٰ الولاية وحقيقتها، وإلّا لانخرمت ولايته من رأس، ولم يستحق إطلاق اسم الوالي عليه، ومن هنا لا ولايةَ للأب علىٰ ولده فيما لو تصرف فيما هو مفسدة فيه أو في أمواله.

وذهبت سائر المذاهب الإسلامية إلىٰ عدم العصمة في الخليفة بعد النبي ﷺ، وبالتالي عدم وجوب طاعته بهذه السعة التي يتمتع بها النبي ﷺ، وإن صرحوا بوجوب طاعة الحاكم وإن كان فاسقاً[2]، فقد أنكروا العصمة في الحاكم، وأضحت هذه القضية من القضايا التي لها الصدارة في الخلاف بين الشيعة الإمامية، وباقي الفرق الإسلامية.

إلّا أننا لما رأينا بعض علماء العامة - كالفخر الرازي وغيره - يقولون بالعصمة وإن أخفق الرازي في مصداقها بل الذين كتبوا عن علي عليه السلام، لم يجدوا عليه أدنىٰ مغمزٍ يغمزونه فيه مع كثرة أعدائه، بل حتىٰ أعدائه يشهدون له

١. الكافي للشيخ الكليني: ج١، ص٢٩٥، ح٣.
٢. هذا أيضاً يعني أنهم يرون الإطلاق في تصرف الحاكم.

بالولاية والفضل وأنه مع الحق والحق معه[١]، وهذا كاشف عن عصمته وإن لم يصرحوا بها.

إضافة إلىٰ أن (جان جاك روسو) في نظريته (العقد الاجتماعي) ينظِّر للطاعة المطلقة للحاكم بالعقد بين الرعية وبينه - كما سيأتي -، فجال في ذهني عند تصفح كتابه وبيان مرامه أنه يقترب من القول بالعصمة في الحاكم في قوله بالطاعة المطلقة له وإن لم يلتفت إلىٰ ذلك.

من هنا حاولت الربط بين تلك المرتكزات والاعترافات، وبين ما يعتقده الإمامية في الحاكم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، وهو الطاعة المطلقة عند (جان جاك روسو) الملازمة للعصمة أو قل لو صححنا له ذلك: أن الحاكم يجب طاعته مطلقاً لعصمته، لكي يصل المولَّىٰ عليهم إلىٰ مبتغاهم المنشود، والسعادة المطلقة واللذة الخالصة في عالم الدنيا، هذا من جهة، وأن العصمة التي اعترف بها الرازي إنما هي في شخص الحاكم، لا ما ذهب إليه من كونها في أهل الحل والعقد، من جهة أخرىٰ، ونحن يكفينا هذان المنطلقان - أعني العصمة والطاعة المطلقة - في تصوير الارتكاز عندهما وعند من يقبل مقولتيهما.

إن قضية الولاية والحكومة من الأمور البديهية الضرورية للمجتمع البشري[٢]، لأن النزعات البشرية والرغبات الشخصية، وحب الإنسان لنفسه

١. روىٰ الخطيب البغدادي في تاريخه ج٤١، ص٢٢٣ عن النبي صلى الله عليه وآله: «علي مع الحق والحق مع علي، ولن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض يوم القيامة» وكذا في الإمامة والسياسة لابن قتيبة: ج١، ص١٠٩: أن عمرو بن العاص سئل عن خبر الولاية فقال: إنه حق، وقال للسائل: أزيدك: ليس أحد من صحابة النبي [صلى الله عليه وآله] له مناقب مثل مناقب علي. وفيه: أن سعد بن أبي وقاص قال: إن علياً شاركنا في محاسننا ولم نشاركه في محاسنه، وكان أحقنا كلنا بالخلافة. [بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، العلامة الشيخ محمد تقي التستري: مج٤، ص٦٤].

٢. عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: «وإنه لا بد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل». [نهج البلاغة: ج١، ص١٩]

ومصالحه، يلازمها ويرافقها أن يعتدي أحدهم علىٰ الآخر غالباً، بحكم التزاحمات الحاصلة في عالم المادة، إضافة إلىٰ تحكّم الأهواء والعصبية والقوة، فيُضطهد المستضعف، ويَستبد القوي، وتنعدم المساواة، وتبرز الطبقية، لعدم الرادع تنظيرا وتطبيقا، ومن هنا يحكم العقل بضرورة الإمامة والحكومة، لأجل حفظ النظام والنوع البشري، وبسط العدل والأمن.

ومن هنا نظَّر أفلاطون لجمهوريته، والفارابي لمدينته، وكما هو أمل الرسالات السماوية وهدفها، وغاية المنظّرين للحكومات من الفلاسفة والمفكرين أمثال (هوبز) و(روسو)، لأجل الحد من اختلال النظام بوضع دستور ضامن للحقوق، والتنظير لحاكم مطاع بالبيعة والانتخاب.

إن الفكر الإسلامي وفّر علىٰ البشرية دستورها، وهو القرآن الكريم والسنة المتمثلة بالنبي صلى الله عليه وآله وأهل بيته الطاهرين المعصومين عليهم السلام، وبَيَّن القرآن الكريم وصاحب الرسالة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله الحاكمَ المطلق من بعده، بالنص الصريح، وهو علي بن أبي طالب عليه السلام للقيام بمهمة تطبيق قانون الإسلام، إلّا أن الأُمة انحرفت عن مسارها، وانقلبت علىٰ الأعقاب ﴿أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ (آل عمران: ١٤٤).

وهذا الانحراف أدىٰ إلىٰ تخبط المسلمين في ماهية الحاكم بعد النبي صلى الله عليه وآله، وهذا التخبط أصبح الآن من المدونات المسطورة فقط، لأن الحكومات أضحت بعد الانحراف إلىٰ يومنا هذا لا صلة لها بالتنظير الذي يذكرونه لتبرير الحكومات التي جاءت بعد النبي صلى الله عليه وآله، بل ابتعدت عن كل القراءات المنظّرة للحاكم والحكم بين المسلمين، فصار الحكم بعد الانحراف ملكاً عضوضاً[1]،

١. كما في حديث السفينة الذي أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان (الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاً) [صحيح ابن حبان: ج١٥، ص٣٩٢].

أخبرت به الشريعة، وصار الدستور بيد الحاكم يتقاطع في كثير من فقراته مع القرآن والسنة، إن لم يكن معادياً لهما.

اشتدت الأزمة لسوء التنظير والتنظيم، وأصبحت الأُمة بين مستضعف لا حيلة له، ومستبد متسلط، مع إقرارهم بأن وجود المعصوم بعد النبي ﷺ يحفظ الأُمة من الضلال بوجوب طاعته، وربما يظهر من نص أبي محمد بن متويه رحمه الله تعالىٰ في كتاب الكفاية علىٰ أن علياً عليه السلام معصوم، وإن لم يكن واجب العصمة[١]، إلّا أنه لم يشترط العصمة في الإمامة، حيث قال: (ولا العصمة شرط في الإمامة، لكن أدلة النصوص قد دلت علىٰ عصمته، والقطع علىٰ باطنه ومغيبه، وأن ذلك أمر اختص هو به دون غيره من الصحابة...)[٢]، إلّا أنه يكفينا أنه أقرّ بدلالة النصوص علىٰ عصمة أمير المؤمنين عليه السلام.

ثم إنه لابد أن يرافق ذلك الحاكم نظام عادل ودستور ماثل يطبقه، وهذا بدوره يحتاج إلىٰ قوة وقدرة تمكّنه من تطبيق القوانين علىٰ الرعية، بالبيعة، أو بالعقد الاجتماعي كما يُسمّيه (روسو)، لإعطاء الإطلاق للحاكم في تصرفه، ظناً منه أن ذلك يوجب العدل بين البشرية.

ولابد من ذكر عدة أمور تُبيّن ما ذكرناه، نتلمَّس منها ارتكازية العصمة، ووجوب طاعة الحاكم طاعة مطلقة في وجدان بعض العلماء المسلمين والمفكرين من غيرهم ومنهم (جان جاك روسو) ومن قبله (هوبز)، ليلتقي هذا الارتكاز مع ما يعتقده الشيعة الإمامية في وجوب العصمة في الإمام، وأنه الحاكم المطلق ولابدية وجوده بين البشرية، لتطبيق المشروع الإلهي علىٰ البسيطة وإن غاب عن الأنظار، وهو الإمام الحجّة المهدي عجل الله فرجه.

١. شرح نهج البلاغة: ج٦، ص٣٧٦.
٢. شرح نهج البلاغة: ج٦، ص٣٧٦-٣٧٧.

مركز الخطأ بين النظرية والتطبيق:

تقسم العلوم إلىٰ علوم إنسانية وعلوم طبيعية:

لا تعنينا هنا العلوم الطبيعية، وأما العلوم الإنسانية، فإنها معنيّة بوصف الواقع، لأجل تنظيمه بنظام معين، للوصول إلىٰ نتائج معينه، ومن ذلك نظام الحكومة الذي حاولت البشرية وضع نظرية ناجعة للحكم، للحفاظ علىٰ العدالة الفردية والمجتمعية وحفظ الحقوق والحريات وغير ذلك، وللتخلص من السلبيات المرافقة للمجتمع، بسبب التزاحمات التي تحصل بين البشرية لمدنية الإنسان بالطبع، وحب كل إنسان لنفسه، ومصالحه، وهذا يوجب التشاح والاختلاف والتعدي علىٰ الحقوق، لذا نجد السعي الحثيث من الخبراء والمقننين النظر في النظريات المطروحة بتعديلها أو وضع نظريات جديدة خالية مما تجده من خلل في سابقتها، أي في نفس النظرية لا في تطبيقها.

إن ما حصل ويحصل من الفشل في الحكومات - ومنها الإسلامية - علىٰ مر التاريخ، ليس هو من الخطأ في التطبيق فقط، وإنما للخلل في نفس النظرية، وفي كثير من الحكومات الإسلامية نجد أنهم لم يأخذوا بنظام الإسلام الأصيل المتمثل بالقرآن وسُنة المعصوم عليه السلام، بل أبعدوه أيَّما بُعد، وأتوا بنظام تحت غطاء الإسلام بتغييرات تتقاطع مع الفكر الإسلامي الأصيل، فلم يدونوا حديث رسول الله صلى الله عليه وآله المفسِّر للقرآن الكريم، بل منعوا تدوينه بحجج واهية منذ صدر الإسلام، فبرزت نظرية الاجتهاد مقابل النص، بل استحدثوا نصاً موازياً للنص الأصيل، ممن ليسوا أهلاً لحفظ أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله، وركنوا إليه جاعلينه هو الأصل مستمدين منه، فصارت نظريتهم النص مقابل النص في كثير من الموارد، والرأي مقابل النص، والاستحسان والقياس، فضلاً عن الاجتهاد مقابل النص.

وقد تكونت نظرية موازية للنظرية الأُم في الحاكم، فأحدثوا الشورىٰ، وإجماع الأُمة، وأهل الحل والعقد، ووجوب إطاعة الحاكم وإن كان جائراً، وأنه لا ينعزل بالفسق أو بالخروج عن طاعة الله[١]، وإن ظلم وغصب الأموال وضرب الأبشار وتناول النفوس المحرمة[٢] و...، إلىٰ غير ذلك من النظريات المحايدة للفكر المحمدي الأصيل المتمثل بالمعصوم عليه السلام، فأنتج ذلك كما قال التفتازاني:

(إن اختلاف الصحابة فيما بينهم أمر معلوم، وقتل بعضهم بعضاً مسألة تعج بها صفحات التاريخ، وانحراف الكثير منهم عن الحق تثبته كتب السير والأخبار)[٣].

عندئذٍ يكون الفشل والخطأ في الحكومات الإسلامية مرجعه إلىٰ النظرية، التي أخذوها بفهمهم عن الإسلام، متعمدين كانوا أم لا، بل رجعوا إلىٰ الجاهلية، كما روي عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات وليس له إمام[٤] من ولدي مات ميتة جاهلية. ويؤخذ بما عمل في الجاهلية والإسلام»[٥]، ونزوا نزو القردة علىٰ منبر رسول الله صلى الله عليه وآله[٦]، لا الخطأ في التطبيق فحسب، وإنما أخذوا ما يحلو لهم ولغاية يرونها.

---

١. شرح المقاصد النسفية: ١٨٥.

٢. التمهيد للقاضي الباقلاني: ص١٨١.

٣. شرح المقاصد: ج٥، ص٣٠٢.

٤. المقصود هو الامام المعصوم المفترض الطاعة.

٥. عيون أخبار الرضا عليه السلام: ج٢، ص٥٨، ب٣١، ح٢١٤.

٦. قال السيوطي في الدر المنثور: (أخرج ابن جرير عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: رأىٰ رسول الله [صلى الله عليه وآله] بني فلان ينزون علىٰ منبره نزو القردة، فساءه ذلك، فما استجمع ضاحكاً حتىٰ مات...). [الدر المنثور - السيوطي: ج٤، ص١٩١].

من هنا نعرف أن النبي ﷺ قد تكفل هذه المهمة بأمر السماء، ولا دور للبشرية في اختيار دستورها وإمامها، لمعرفة السماء بمصالح البشرية ومفاسدها.

وجوب العصمة في الحاكم:

إن ضرورة وجود الحاكم على البشرية أمر يقبله العقل والعقلاء بوضوح، ولولاه لما استقام النظام العام، ويشهد لذلك الواقع عند وجود أُمة بدون حاكم أو دستور، ولكنَّ وجود الحاكم لا يكفي لوحده لسد فجوة اختلال النظام ما لم يكن معصوماً، وإلّا لرجع الاختلال في النظام بسبب عدم العصمة المقتضية للخطأ واتِّباع الأهواء والرغبات، من هنا كانت العصمة ضرورة للحاكم، وهي توجب الطاعة المطلقة له، لاطمئنان الاتباع به لعلمهم بعصمته، فالعصمة ملازمة لوجوب الطاعة المطلقة للمعصوم، لحقانيتها في كل أمر ونهي ومطابقتها للواقع، وضمان تلك المطابقة.

هذه العصمة ووجوب الطاعة المطلقة نجدها في بعض من التنظيرات للحاكم، فقد اعترف الفخر الرازي بمبدأ العصمة في (أولي الأمر) في تفسير قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩)، كما اعترف ابن متويه في عصمة أمير المؤمنين عليه السلام، ولكنه يختلف عن الرازي في تشخيص المصداق.

قال الفخر الرازي في تفسير هذه الآية الكريمة:

(يدل عندنا على أن إجماع الأُمة حجة، والدليل على ذلك أن الله تعالى أمر بطاعة أولي الأمر على سبيل الجزم في هذه الآية ومن أمر الله بطاعته على سبيل الجزم والقطع لابد وأن يكون معصوماً عن الخطأ، إذ لو لم يكن معصوماً عن الخطأ كان بتقدير إقدامه على الخطأ يكون قد أمر الله بمتابعته، فيكون

ذلك أمراً بفعل ذلك الخطأ، والخطأ لكونه خطأ منهي عنه، فهذا يفضي إلىٰ اجتماع الأمر والنهي في الفعل الواحد بالاعتبار الواحد، وأنه محال، فثبت أن الله تعالىٰ أمر بطاعة أولي الأمر علىٰ سبيل الجزم، وثبت أن كل من أمر الله بطاعته علىٰ سبيل الجزم وجب أن يكون معصوماً عن الخطأ، فثبت قطعاً أن أولي الأمر المذكور في هذه الآية لابد وأن يكون معصوماً، ثم نقول: ذلك المعصوم إمّا مجموع الأُمة أو بعض الأُمة، لا جائز أن يكون بعض الأُمة؛ لأنا بينا أن الله تعالىٰ أوجب طاعة أولي الأمر في هذه الآية قطعاً، وإيجاب طاعتهم قطعاً مشروط بكوننا عارفين بهم قادرين علىٰ الوصول إليهم والاستفادة منهم، ونحن نعلم بالضرورة أنا في زماننا هذا عاجزون عن معرفة الإمام المعصوم، عاجزون عن الوصول إليهم، عاجزون عن استفادة الدين والعلم منهم، وإذا كان الأمر كذلك علمنا أن المعصوم الذي أمر الله المؤمنين بطاعته ليس بعضاً من أبعاض الأُمة، ولا طائفة من طوائفهم. ولما بطل هذا وجب أن يكون ذلك المعصوم الذي هو المراد بقوله: ﴿وَأُولِي الأَمْرِ﴾ أهل الحل والعقد من الأُمة، وذلك يوجب القطع بأن إجماع الأُمة حجة)[1].

قد توهم الرازي في زعمه أن أولي الأمر هم أهل الحل والعقد، بعد زعمه عدم إمكان أن يكون مجموع الأُمة ولاةً للأمر، وعدم كونه بعض الأُمة، وغفل عن أن أهل الحل والعقد بعض الأُمة، فكيف نعرفهم؟

وكيف نصل إليهم؟

فوقع بما فرَّ منه، وهل أهل الحل والعقد عند المذهب الفلاني، أو المذهب الآخر أو الثالث...؟

وهل الشيعة من جملة أهل الحل والعقد أم لا؟

---

١. تفسير الرازي: ج١٠، ص١٤٤.

والمهم في الأمر أنه لا يمكن للرازي إنكار أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام من أولي الأمر الذين يجب طاعتهم علىٰ حد طاعة الله تعالىٰ ورسوله صلى الله عليه وآله بعد كونه حسب نظره قد تسنَّم زمام خلافة المسلمين، إضافة إلىٰ أن العطف في الآية الكريمة ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ (النساء: ٥٩) يقتضي الاشتراك في الأعراب والحكم، والحكم هو أن الطاعة لرسول الله واجبةٌ مطلقاً بما يعم التصرف في الأنفس، لصريح القرآن الكريم ﴿النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ...﴾ (الأحزاب: ٦)، فكذلك أولي الأمر، وأين هذا من إجماع الأُمة أو أهل الحل والعقد، لأنهم ليس لهم طاعة مطلقة علىٰ المولّىٰ عليهم ولا تصرف في شؤونهم.

لم يتفقوا علىٰ قول:

ثم إن أهل السنة أنفسهم اختلفوا في الإمامة علىٰ أقوال ذكرها الجويني في كتابه غياث الأُمم في التياث الظلم، حيث قال: (قد كثر في أبواب الإمامة الخبط والتخليط والإفراط والتفريط ولم يخل فريق إلّا من شاء الله عن السرف والاعتساف ولم يسلم طائفة إلّا الأقلون عن مجانبة الإنصاف...)[1].

وقال: (قد ذهبت طوائف من أهل السنة إلىٰ أنه لا يصلح لعقد الإمامة إلّا المجتهد المستجمع لشرائط الفتوىٰ، وذهب القاضي الباقلاني في عُصب من المحققين إلىٰ أن لا نشترط بلوغ العاقد مبلغ المجتهدين، بل يكفي أن يكون ذا عقل، وكيس، وفضل، وتهد إلىٰ عظائم الأمور...)[2]، ثم اعترف بقوله: (مما

١. غياث سلطان الأُمم في التياث الظلم - إمام الحرمين أبي المعالي الجويني: ص٤٦.

٢. نفس المصدر: ص٤٩.

نقطع به أن الإجماع ليس شرطاً في عقد الإمامة بالإجماع...)[١]، ومن هنا نعرف أنه لا إجماع هنا لكي يحفظ الأُمة من الضلال الذي يزعمه الرازي.

ثم من هم أهل الحل والعقد بعد رحيل رسول الله ﷺ، بعد العلم بتخلف علي عليه السلام عن البيعة وهو من أهل الحل والعقد قطعاً.

ألا يمكن معرفة المعصوم بعد رحيل رسول الله ﷺ والوصول إليه، بالنظر إلىٰ الإخبارات المتعددة المتنوعة في عدة مواطن، وعلىٰ طول خط الرسالة، بفضل أمير المؤمنين عليه السلام، ووضوح عصمته يدور معه الحق حيثما دار؟!

ثم قال الرازي: (فإن قيل: المفسرون ذكروا في (أولي الأمر) وجوهاً أخرىٰ سوىٰ ما ذكرتم: أحدها: أن المراد من أولي الأمر الخلفاء الراشدون، والثاني: المراد أمراء السرايا، قال سعيد بن جبير: نزلت هذه الآية في عبد الله بن حذافة السهمي إذ بعثه النبي [ﷺ] أميراً علىٰ سرية. وعن ابن عباس أنها نزلت في خالد بن الوليد بعثه النبي [ﷺ] أميراً علىٰ سرية وفيها عمار بن ياسر، فجرىٰ بينهما اختلاف في شيء، فنزلت هذه الآية وأمر بطاعة أولي الأمر. وثالثها: المراد العلماء الذين يفتون في الأحكام الشرعية ويعلمون الناس دينهم، وهذا رواية الثعلبي عن ابن عباس وقول الحسن ومجاهد والضحاك. ورابعها: نقل عن الروافض أن المراد به الأئمة المعصومون، ولما كانت أقوال الأُمة في تفسير هذه الآية محصورة في هذه الوجوه، وكان القول الذي نصرتموه خارجاً عنها كان ذلك بإجماع الأُمة باطلاً)[٢]، فإنه نقض علىٰ نفسه بنفسه، وأجاب بجواب لا ينفعه في شيء ولا محل لذكره هنا.

---

١. نفس المصدر: ص٥٢.

٢. تفسير الرازي: ج١٠، ص١٤٤.

وقد ذكر الشيخ المفيد في الفصول المختارة[١] عن الفضل بن شاذان ما يناسب الرد على الرازي:

(أليس علي بن أبي طالب من أمراء السرايا...؟ ألم يكن عليٌ عليه السلام من العلماء؟... أليس عليٌ عليه السلام قد كان من القوام على الناس بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؟... فصار أمير المؤمنين عليه السلام معنياً بالآية باتفاق الأُمة وإجماعها، وتيقنا ذلك بإقرار المخالف لنا في إمامته عليه السلام والموافق عليها، فوجب أن يكون إماماً بهذه الآية لوجود الاتفاق على أنه معني بها)[٢] على طريقة الرازي ومنطقه.

نظرية العقد الاجتماعي:

العقد الاجتماعي نظرية اشتهر بها الفيلسوف الفرنسي (جان جاك روسو) (١٧١٢-١٧٧٨م)، وقد سبقه إليها كل من الفيلسوف البريطاني (جون لوك) و (توماس هوبز) (١٥٨٨-١٦٧٩م).

اشتهرت النظرية وعرف بها (روسو) وكان من أهم أسباب اشتهارها هو قيام الثورة الفرنسية واتخاذها منهجاً في عملها.

أسس نظرية العقد الاجتماعي عند (جان جاك روسو)[٣]:

يرىٰ (جان جاك روسو) أن الناس كلهم يولدون أحراراً، فليس لأي إنسان سلطان طبيعي علىٰ إنسان آخر سواء أكان فرداً أم شعباً، وليس للاسترقاق وجه شرعي يسوّغ وجوده، سواء أتعلق بالأفراد أم بالشعوب،

١. الفصول المختارة: ص١١٨.
٢. بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة - الشيخ محمد تقي التستري: مج٤، ص٦٥.
٣. العقد الاجتماعي - جان جاك روسو، ترجمة عادل زعيتر. وملخص النظرية من كتاب إلىٰ الطليعة المؤمنة، الشيخ محمد أمين زين الدين: ص٩٧ وما بعدها، بتصرف.

وليس للقوي (أو الأقوىٰ) حق طبيعي ولا أدبي يفرض له الطاعة في رقاب الآخرين، وأن الأساس الصحيح للدولة ولكل سلطان شرعي يكون بين الناس إنما هو العهد الاختياري الذي يقع في ما بينهم.

وتوضيح ذلك: أن الطبيعة زودت الإنسان بقوىٰ محدودة تساعده علىٰ الحفاظ علىٰ نفسه بين الموجودات والبقاء بينها، وهذه القوىٰ لا يتعداها ولا يستطيع زيادتها، بل وهبته الطبيعة بمقدار، وبالنظر لما يعاني في الحياة من عوائق كثيرة وصعوبة التأقلم معها برصيده من القوىٰ المحدودة التي منحتها له الطبيعة فإنه مهدد بالانقراض مع اشتداد هذه العوائق.

فإن القوىٰ العامة الموجودة عادة تتغلب علىٰ القوىٰ الخاصة التي يمتلكها الإنسان حال كونه منفرداً منعزلاً، وعليه فإن الإنسان بلحاظ نفسه أي كل فرد فرد يصعب بقاؤه ويسير إلىٰ الهلاك.

وتطرح النظرية حلاً للبقاء والمقاومة في ظل هذه المعوقات من أجل البقاء والتغلب عليها وهو وسيلة التكتل.

وكيفية ذلك من خلال اجتماع الأفراد وتشكيل قوة كبيرة، فبدل الفرد الذي يتحرك منعزلاً عن الآخرين بعد تحديد هدفه والذي يمتلك قابليات محدودة لا يمكن تجاوزها أو زيادتها، والضعيفة بلحاظ المعوقات العامة، والتي يتعذر بقاؤه معها، هنا في هذه النظرية يتم تشكيل قوة كبيرة موحدة تتحرك باتجاه وهدف واحد وبمحرك واحد وهذه القوة أو هذا التكتل يستطيع الوقوف والتغلب علىٰ المعوقات بل علىٰ كل مقاومة.

والسبيل إلىٰ ذلك هو العقد الاجتماعي، فبه يحفظ الإنسان نفسه وماله وحقوقه، وبنفس الوقت يحفظ حريته.

أمّا بخصوص شروط العقد الاجتماعي فيذكر هذا الفيلسوف شرطاً مهماً ترجع إليه كل الشروط وهو: أن يبيع كل فرد من المشتركين في هذا التكتل نفسه وجميع حقوقه بيعاً شاملاً إلىٰ إدارة هذا التجمع، وبهذا الشرط يتساوىٰ الجميع، فلا يكون هذا الشرط ثقيلاً عليهم ويعود بالمصلحة للجميع، لأن كل واحد منهم يهبُ نفسَه للجميع، وليس لأحد منهم، فكل واحد يشترك بهذا الحق، فما تنازل عنه، يظفر به من الجميع وبزيادة قوة يحفظ بها نفسه ومتعلقاته.

نقطة الاشتراك الارتكازية:

نحن نركز علىٰ شيء واحد من كل ما سبق من القراءات المنظّرة لماهية الحاكم، الذي هو نقطة مشتركة بين جميع النظريات الإسلامية والدينية والمدنية، هي التصرف المطلق للحاكم وفق التعاقد المبرم بين الحاكم والرعية.

إن التصرف المطلق والصلاحيات المطلقة للحاكم الإسلامي من ضروريات الإسلام وبداهاته بالنسبة إلىٰ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله، عند المسلمين قاطبة، لقوله تعالىٰ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٦) وعند الشيعة الإمامية ومن ضرورياتهم لعلي بن أبي طالب عليه السلام وعند بعض علماء العامة كما تقدم لأن المعصوم يجب طاعته مطلقاً، وإن أخطأ الرازي في تشخيص المصداق.

وإن جميع الأديان السماوية تنتظر المخلص للبشرية، ولا معنىٰ لانتظاره إلّا الائتمار بأمره مطلقاً، لعلمهم بمنصبه الإلهي المستبطن للعصمة ووجوب الطاعة له.

وكذلك الحال في نظرية العقد الاجتماعي التي ذهبت إلىٰ وجوب الطاعة المطلقة للدولة والحاكم، لتلمسه ارتكازاً ضرورة إطلاق الحاكم قوة وتطبيقاً وإن كان بالتعاقد الاجتماعي، مما يعني أنه يرغَب بوجود حاكم أو سلطة يجب التسليم إليها، تمثل القوة العامة التي تحفظ القوىٰ الخاصة، وبدونها لا يمكن بسط العدالة والأمن والمساواة بين البشرية، بل تتعرض الأُمة للهلاك بدون ذلك العقد.

النظرية المختارة في الإمامة:

يمكن القول بضرورة قضية الإمام المهدي عجل الله فرجه في الفكر الإسلامي، ومعنىٰ ذلك أن كل المسلمين يعتقدون بضرورة الاحتياج إلىٰ الإمام المهدي عجل الله فرجه من أجل الحفاظ علىٰ دين الله عزوجل وتطبيقه علىٰ كل البسيطة، وبسط العدالة الاجتماعية بين الناس، وهذا ما ذهب إليه الفيلسوف (روسو) في نظريته مع فارق هو: عدم المعرفة بدين الإسلام ونظامه السماوي وحكومته العادلة علىٰ جميع سكان الأرض بلا حدود تحده، ولا دين يميزه في إنسانيته وحقوقه، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام في تصنيف الناس: «إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»[1]، ورغم عدم إيمانه بمقولات الإسلام، إلّا أنه ذهب إلىٰ الحاجة إلىٰ الدولة وأن علىٰ المواطن أن يبيع نفسه إليها مطلقاً، لأجل تحقيق العدالة، ويرىٰ أن من دون ذلك لا يمكن إنهاء الأزمات والنزاعات الموجودة، ولكنه مع ذلك لم تسعفه نظريته التي ما برحت تُبيد الشعوب الضعيفة، فضلاً عن الدول الكبرىٰ، لأن صرف البيعة للحاكم والطاعة المطلقة له غير كافية ما لم يكن الحاكم معصوماً.

---

١. نهج البلاغة – تحقيق صالح: خطبة ٥٣، ص٤٢٧.

والخلاصة: إن الذي يحقق العدالة التامة يتمتع بقوة غير محدودة، متصلة بالسبب الرئيسي للوجود، وأن يبيع الفرد نفسه إليها ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ (الأحزاب: ٦) والبيعة له، والذي لابد من وجوده في الأرض «إن الأرض لا تخلو من حجة»[١]، ويمكن الرجوع إليه هو الإمام المنصوص عليه، فبيعة المجتمع له لأجل تمكينه من فرض سيطرته باختيارهم لا بالإجبار.

قال السيد كاظم الحائري: (إن المعصوم عليه السلام على رغم أن له ولاية الأمر والحكومة بتشريع من قبل الله تعالىٰ لم يكن من المقرر إلهياً أن يرضخهم لما له من حق الحكومة بالإكراه الإعجازي، كما أنه لا تجبر الأُمة علىٰ الأحكام الأخرىٰ كالصلاة والصوم بالجبر الإعجازي وإلّا لبطل الثواب والجزاء، لأن الناس يصبحون مسيَّرين عن غير اختيار، بل كان من المقرر أن يصل المعصوم إلىٰ السلطة بالطرق الاعتيادية، ومن الواضح الوصول إلىٰ السلطة بالطريق الاعتيادي وبغير الإعجاز ينحصر في وجود ناصرين له من البشر، فكان أخذ البيعة منهم لأجل التأكد من وجود ثلة كافية من الأُمة تعهدوا بنصر المعصوم والعمل معه في جهاده وسائر أموره الحكومية ولولاهم لعجز المعصوم حسب القوة البشرية ومن دون الإعجاز عن تحقيق السلطة والحكومة خارجاً)[٢].

إن الدين الإسلامي لم يهمل قضية الحكومة والإمامة، لضرورتها وخطورتها، وقد ذكرت الشريعة أرش الخدش، فلا يعقل تركها لمثل هذه القضية المصيرية، التي بات «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»، فعرّفت بالإمام بشكل واضح، وبمواطن متعددة، إلّا أن الأُمة هي التي ضيَّعت هذا المنصب

١. الكافي للكليني: ج١، ص١٧٩، باب أن الارض لا تخلو من حجة.
٢. رسالة الثقلين العدد ١٢، مغزىٰ البيعة مع المعصومين.

عن صاحبه الحق بعد رحيل رسول الله ﷺ، بل في حياته، ورزية الخميس شاهد حيٌّ في مسطورات الكتب علىٰ ذلك[١]، ذلك المنصب الذي كان أمل النبي ﷺ، وبغية الأنبياء عليهم السلام، لحفظ الأُمة من الضلال والسير نحو العدالة الإلهية، فأفشلت الأُمة المشروع الحكومي الإلهي بتقاعسها، وخذلانها وعدم وقوفها إلىٰ جانب قمة العلم والقرآن الناطق، ولسان الصدق العلي، ومنبع فن القدرة والإدارة السياسية والقضاء العدل[٢]، فساء طالعها وتفتتت آراؤها وبان فشلها وذهب ريحها.

إن هذه النظرية الإلهية للحكومة تظهر آخر الزمان، وهي ليست أطروحة شيعية فقط، وإنما هي أطروحة دينية بشَّرت بها الرسالات، ولا تختص ببقعة معيَّنة من الأرض، وإنما يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، تلمسته النظريات الوضعية بالقول بالطاعة المطلقة للحاكم وإن لم تنظر إلىٰ المصداق الحقيقي لعدم إيمانها به.

تجسد الإمامة في المهدوية:

تُعد قضية الإمام المهدي عجل الله فرجه في الفكر الإسلامي من القضايا المتفق عليها، وقضية انتظاره محسومة، والخلاف الذي وقع بين المسلمين ليس في أصل القضية، وإنما في تفاصيلها، وبعض خصوصياتها، وهذا خلاف طبيعي، نشأ أيضاً من سوء السلطة وانحرافها، وتمتد جذوره إلىٰ الخلاف العقائدي في أصل الإمامة، لكن هذا الخلاف لا يُخرِج القضية عن كونها ضرورة نجدها في

١. صحيح البخاري: ج٤، ص٢٩.
٢. (أقضاكم علي) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي: ج١، ص٧٦.

أقوال علماء المسلمين، فقد قال ابن حجر: (قال بعض الأئمة: قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة عن المصطفىٰ [صلى الله عليه وآله] بمجيء المهدي، وأنه من أهل بيته وأنه سيملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلاً، وأنه يخرج مع عيسىٰ عليه الصلاة والسلام...)[١].

وفي كتاب القول المختصر قال ابن حجر: (الذي يتعين اعتقاده ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة من وجود المهدي المنتظر [عجل الله فرجه] الذي يخرج الدجال وعيسىٰ في زمانه، ويصلي عيسىٰ خلفه)، فالإيمان بضرورة الإمام المهدي عجل الله فرجه من عقائد المسلمين التي لا يجوز التشكيك فيها.

الغيبة لا تنافي الإمامة:

ومن هنا نعلم أن الإمام عجل الله فرجه وإن كان غائباً إلّا أنه هو الحاكم الفعلي والمتصرف الحقيقي.

إنَّ الغيبة لا تلازم عدم التصرّف في الأمر مطلقاً، بل قد دلَّت الروايات علىٰ وجه الانتفاع في غيبته: «أمَّا وجه الانتفاع بي في غيبتي فكالانتفاع بالشمس إذا غيَّبتها عن الأبصار السحاب»[٢].

وروىٰ علان قال: حدثني ظريف أبو نصر الخادم قال: دخلت عليه - يعني صاحب الزمان عجل الله فرجه - فقال لي: «عليَّ بالصندل الأحمر»، فقال: فأتيته به، فقال عليه السلام: «أتعرفني»؟ قلت: نعم، قال: «من أنا»؟ فقلت: أنت سيدي وابن

١. القول المختصر في علامات المهدي المنتظر - ابن حجر الهيتمي: ص٢٣.
٢. الغيبة للشيخ الطوسي: ص٣١٥.

سيدي، فقال: «ليس عن هذا سألتك»، قال ظريف: فقلت جعلني الله فداك فسِّر لي، فقال: «أنا خاتم الأوصياء، وبي يدفع الله البلاء عن أهلي وشيعتي»[١].

وقوله: «إنّا غير مهملين لمراعاتكم، ولا ناسين لذكركم، ولولا ذلك لنزل بكم اللأواء واصطلمكم الأعداء»[٢].

وعن جابر بن يزيد الجعفي، قال: سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: لما أنزل الله ﷻ على نبيه محمد ﷺ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، قلت: يا رسول الله عرفنا الله ورسوله، فمن أولوا الأمر الذين قرن الله طاعتهم بطاعتك؟ فقال ﷺ: «هم خلفائي يا جابر، وأئمة المسلمين (من) بعدي، أولهم علي بن أبي طالب، ثم الحسن والحسين، ثم علي بن الحسين، ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر، فإذا لقيته فأقرئه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم موسىٰ بن جعفر، ثم علي بن موسىٰ، ثم محمد بن علي ثم علي بن محمد، ثم الحسن بن علي، ثم سميي وكنيي حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي، ذاك الذي يفتح الله (تعالىٰ ذكره) علىٰ يديه مشارق الأرض ومغاربها، ذاك الذي يغيب عن شيعته وأوليائه غيبة لا يثبت فيها علىٰ القول بإمامته إلّا من امتحن الله قلبه للإيمان»، قال جابر: فقلت له: يا رسول الله فهل يقع لشيعته الانتفاع به في غيبته؟ فقال ﷺ: «إي والذي بعثني بالنبوة إنهم يستضيئون بنوره، وينتفعون بولايته في غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن

١. الغيبة للشيخ الطوسي: ص٢٧٠.
٢. الاحتجاج - أحمد بن أبي طالب: ص٤٩٥.

تجللها سحاب، يا جابر هذا من مكنون سر الله ومخزون علمه، فاكتمه إلّا عن أهله...»[١]، فإنها سر من أسرار الله ﷻ وإن لم نعرف الحكمة منها كما في الحديث.

حتمية الحكومة المهدوية:

بنظرة إلىٰ تاريخ البشرية عموماً وحكوماتها، لم نجد حكومة حققت للبشرية مبتغاها، إلّا بعض المراحل وبحدود ضيقة، والغالب منها: إمّا حكومات قاهرة لرعاياها ظالمة لمن تسودها، وإمّا متسلطة عليها بذرائع دينية استغفلت بها الرعية، وإما حكومات مدنية مستحدثة بقوانين وضعية شعارها بسط العدالة لرعيتها، ولكنها لم تحقق ذلك لهم، فإنا نجد المعارضات، والثورات بين فينة وأخرىٰ، وحتىٰ لو ادَّعت تلك الحكومات الحرية والديمقراطية لشعوبها، فإنا لم نجد ذلك في حساب تلك الحكومة بالنسبة لغير شعبها، فنجد كثرة الحروب، واحتلال دولة لدولة أخرىٰ، بحكم القوة والهيمنة التي تمتلكها الدولة المحتلة، وبتملُّكها الأسلحة الفتاكة، وقد تتذرع للاحتلال بذرائع براقة، كالاستعمار، والحماية، واستتباب الأمن في المنطقة، وغير ذلك من شعارات، مما يعني للمفكر والناظر أن هذه النزاعات لا تنتهي، وهذه القوانين غير مجدية لصلاح البشرية.

وقد يرجو البعض متفائلاً في تطور الدساتير والفكر البشري والمجتمعات، وتحصل حالة الإصلاح لجميع البشرية بمرور الزمن، فلا حروب ولا نزاعات، ولا محل لليأس في مثل هذه الأمور بعد أن لم نعلم المستقبل، ولم تنته الدنيا بعد.

---

١. كمال الدين للشيخ الصدوق: ج١، ص٢٥٣.

ولكن ذلك التفاؤل ليس في محله، وذلك لإخبار المعصوم عليه السلام بأن الدنيا سوف تمتلئ ظلماً وجوراً، فقد ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله بلاءً يُصيب هذه الأُمة، حتىٰ لا يجد الرجل ملجأً يلجأُ إليه من الظلم، فيبعث الله رجلاً من عترتي من أهل بيتي فيملأ به الأرض قسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضىٰ عنه ساكن السماء وساكن الأرض، لا تدع السماء من قطرها شيئاً إلّا صبَّته مدراراً، ولا تدع الأرض من مائها شيئاً إلّا أخرجته، حتىٰ تتمنىٰ الأحياء الأموات. يعيش في ذلك سبع سنين أو ثمان أو تسع سنين[1]، والأحاديث بهذا المضمون كثيرة مستفيضة مشهورة.

خاتمة: ملامحٌ من حكومة الإمام المعصوم عليه السلام:

لم نجد في تاريخ الإسلام حكومة للمعصوم عليه السلام إلّا في فترة قليلة جداً، تمثلت في حكومة رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ولكنها - أي حكومة أمير المؤمنين عليه السلام - ابتليت بمعارضات مبكّرة أدَّت إلىٰ حروب داخلية بين المسلمين - الجمل وصفين والنهروان -، ورغم ذلك نتمكَّن من خلال ما نُقل من أحداث حكومة رسول الله صلى الله عليه وآله وحكومة أمير المؤمنين عليه السلام، ووصاياه وعهوده عليه السلام، نتمكَّن أن نقرأ التجربة الإسلامية في الحكومة ونستشرف من خلال ذلك، وما موجود من روايات تتحدَّث عن ملامح حكومة الإمام المهدي عجل الله فرجه، ومن ذلك ما جاء في صفة الولاة من قِبَل المعصوم عليه السلام، وأنهم لابد أن يكونوا في أعلىٰ درجة من التقوىٰ، فإن أمير المؤمنين علي عليه السلام وصف الوالي الخائن للأمانة بأبشع صورة، فنزَّله إلىٰ ما هو أدنىٰ من شسع النعل، وأن أمثاله لا يصلح للجهاد ولا لتنفيذ الأوامر ولا ينبغي إعلاء قدره بين الناس

١. المصنف - عبد الرزاق الصنعاني: ج١١، ص٣٧٢.

ولا يصلح شريكاً، إن صحَّ ما بلغه عنه من خبر الخيانة باتِّباع الهوىٰ بعدم المساواة بين رعيته بتقديمه عشيرته علىٰ غيرها، بعد أن استدعاه للتثبت من أمره، ففي كتاب له عليه السلام إلىٰ المنذر بن الجارود العبدي، وقد كان استعمله علىٰ بعض النواحي، فخان الأمانة في بعض ما ولاه من أعماله:

«أمّا بعد، فإن صلاح أبيك غرَّني منك، وظننت أنك تتبع هديه، وتسلك سبيله، فإذا أنت فيما رقىٰ إليَّ عنك لا تدع لهواك انقياداً، ولا تبقي لآخرتك عتاداً، تعمر دنياك بخراب آخرتك، وتصل عشيرتك بقطيعة دينك، ولئن كان ما بلغني عنك حقاً لجمل أهلك وشسع نعلك خير منك، ومن كان بصفتك فليس بأهل أن يسد به ثغر، أو ينفذ به أمر، أو يعلىٰ له قدر، أو يشرك في أمانة، أو يؤمن علىٰ جباية، فأقبل إليَّ حين يصل إليك كتابي هذا إن شاء الله»[1].

ونجد أمير المؤمنين عليه السلام يرغّب الحاكم عن مأدبة أهل البصرة، الذين يدعون الأغنياء لولائمهم ويجفون الفقراء، ويعاتبه علىٰ فعل ذلك، ولم يتوقع من عامله تلبيةَ أمثال هذه الدعوة، لما فيه من الشائبة علىٰ حكومة الإمام عليه السلام بأن عامله يُدعىٰ إلىٰ أمثال هذه المأدبة والطعام المستطاب بين الأغنياء، فينظر الفقير المتحسّر إلىٰ ذلك نظرةَ اشمئزازٍ قد تسري إلىٰ الحاكم الأصل، ومن هنا ردعه الإمام علي عليه السلام عن مثلها بأروع عتاب، لأنه فيه تعظيم لشانه بقوله: «ما ظننتُ أنك تجيب إلىٰ طعام قوم...»، ثم بيَّن له صفاته عليه السلام من الإعراض عن الدنيا وملذاتها، والأخذ منها قدر الحاجة، وقد تجسدت تلك الصفات في

---

١. نهج البلاغة: ج٧١، ص١٣٢.

شخصه عليه السلام، ليكون قدوة للمقتدين به عليه السلام ففي كتاب له عليه السلام إلىٰ عثمان بن حنيف الأنصاري - كان عامله علىٰ البصرة وقد بلغه أنه دعي إلىٰ وليمة قوم من أهلها فمضىٰ إليها - قوله:

«أمّا بعد، يا بن حنيف، فقد بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلىٰ مأدبة فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلىٰ طعام قوم عائلهم مجفو، وغنيهم مدعو، فانظر إلىٰ ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجهه فنل منه.

ألا وإن لكل مأموم إماماً يقتدىٰ به، ويستضيء بنور علمه، ألا وأن إمامكم قد اكتفىٰ من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون علىٰ ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفة وسداد، فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادَّخرت من غنائمها وفراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طمراً، ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منه إلّا كقوت أتان دبرة، ولهي في عيني أوهىٰ من عفصة مقرة»[1].

وأنه لا يصلح للحكومة البخيل لما فيه من النهمة[2]، والجاهل والجافي والحائف والمرتشي والمعطل للسنة، كما في قوله عليه السلام:

«وقد علمتم أنه لا ينبغي أن يكون الوالي علىٰ الفروج والدماء والمغانم والأحكام وإمامة المسلمين البخيل فتكون في أموالهم نهمته، ولا الجاهل

١. نهج البلاغة: الخطبة ٤٥.

٢. (الهمة الشديدة بالأمر، أو إفراط الشهوة في الطعام)، كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٨، ص٢٦٦.

فيضلهم بجهله، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه، ولا الحائف للدول فيتخذ قوماً دون قوم، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ويقف بها دون المقاطع، ولا المعطل للسنة فيهلك الأُمة»[١].

وتتجلىٰ في الحكومة الإسلامية التسوية في الحقوق بين الرعية إلّا ما خرج بالدليل بالرحمة والمحبة واللطف، وأن هذه الأوصاف شعار للحكومة الإسلامية، من دون فرق بين المسلم وغيره.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «وأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ، والمَحَبَّةَ لَهُمْ، واللُّطْفَ بِهِمْ، ولا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً، تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ؛ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ: إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ، وإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الخَلْقِ»[٢].

وفي حكومة الإمام المهدي عجل الله فرجه نجد من الملامح البارزة القسمة بالسوية، والعدل في الرعية، لأنه يحكم بين كل أهل ملّة بشريعتهم[٣]، فيحكم بين أهل التوراة بكتابهم، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وهكذا لأهل الزبور، ويحكم بين المسلمين بالقرآن، وهذا التعدد في الحكم كاشف عن عالمية حكومة الإمام المهدي عجل الله فرجه في أرجاء المعمورة، فقد روي عن جابر، قال: دخل رجل علىٰ أبي جعفر الباقر عليه السلام، فقال له: عافاك الله، اقبض مني هذه الخمسمائة درهم فإنها زكاة مالي، فقال له أبو جعفر عليه السلام: «خذها أنت فضعها في جيرانك من أهل الإسلام والمساكين من إخوانك المسلمين»، ثم قال: «إذا قام قائم أهل

١. نهج البلاغة: ١٣٤، كتاب ١٣١.
٢. نهج البلاغة: الخطبة ٥٣.
٣. وإن كان هذا في بعض مراحل ظهوره المبارك، لأن الناس من غير أهل الإسلام بعد اطلاعهم علىٰ الإسلام الأصيل سيتخذونه ديناً وبه يظهر علىٰ بقية الأديان كما نصَّت الأخبار.

البيت قسم بالسوية، وعدل في الرعية، فمن أطاعه فقد أطاع الله ومن عصاه فقد عصىٰ الله، وإنما سمي المهدي مهدياً لأنه يهدي إلىٰ أمر خفي، ويستخرج التوراة وسائر كتب الله ﷻ من غار بأنطاكية، ويحكم بين أهل التوراة بالتوراة، وبين أهل الإنجيل بالإنجيل، وبين أهل الزبور بالزبور، وبين أهل القرآن بالقرآن، وتجمع إليه أموال الدنيا من بطن الأرض وظهرها، فيقول للناس: تعالوا إلىٰ ما قطعتم فيه الأرحام، وسفكتم فيه الدماء الحرام، وركبتم فيه ما حرم الله ﷻ، فيعطي شيئاً لم يعطه أحد كان قبله، ويملأ الأرض عدلاً وقسطاً ونوراً كما ملئت ظلماً وجوراً وشراً»[1].

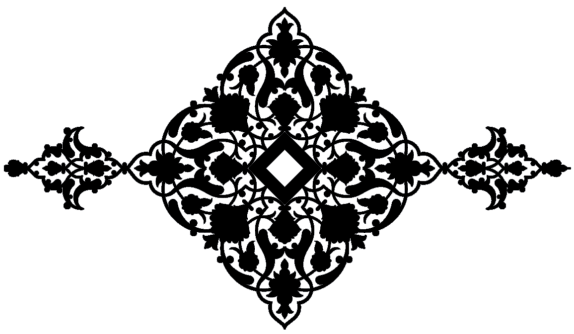

١. الغيبة للشيخ النعماني: ج١، ص٢٤١.

المعود
ALMAUOOD

توضيح الإجابات

رسالة في توضيح إجابات ابن قِبَة رحمه الله في نقض كتاب الإشهاد لأبي زيد العلوي - الحلقة الثالثة

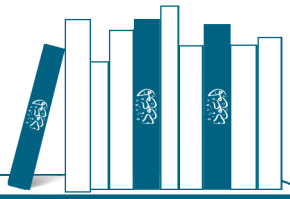

الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي

غيبة الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام من أكثر المسائل العقائدية التي تناولها أهل البيت عليهم السلام بالبيان والتوضيح، وأجابوا عن الأسئلة المثارة حولها من زمن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وصولاً إلىٰ الإمام الحجة عجل الله فرجه.

وتبعاً لهذا الاهتمام سار علماء الطائفة في بيان غيبة الإمام عجل الله فرجه ودفع الشبهات والإشكالات المثارة حولها.

وأُلِّفتْ - منذ بدايات عملية التصنيف والكتابة - الرسائلُ والكتبُ حولها.

ومما أُلِّف في رد الشبهات عن الغيبة كتب الفقيه والأصولي أبي جعفر عبد الرحمن بن قبة الرازي رحمه الله[1]، إذ إن له العديد من المصنفات في هذا الصدد إلّا أنه لم يصل إلينا شيء مستقل منها.

وفي هذه الحلقات حاولنا قدر الإمكان إبراز تراث هذا الرجل العظيم مع شيء من البيان والتوضيح، ونسلط الضوء علىٰ توضيح ما أجاب به رحمه الله عن بعض الشبهات المثارة حول الغيبة.

١. تقدمت ترجمته في الحلقة الأولىٰ التي نشرت في مجلة الموعود العدد (١٢) وتقدمت الحلقة الثانية في العدد (١٤).

المتن:

قال الشيخ الصدوق قدس سره[١]:

وقال أبو جعفر محمد بن عبد الرحمن بن قبة الرازي في نقض كتاب الإشهاد لأبي زيد العلوي[٢]، قال صاحب الكتاب بعد أشياء كثيرة ذكرها لا منازعة فيها: وقالت الزيدية[٣] والمؤتمة[٤]: الحجة من ولد فاطمة بقول الرسول المجمع عليه في حجة الوداع، ويوم خرج إلىٰ الصلاة في مرضه الذي توفي فيه: «أيها الناس قد خلفت فيكم كتاب الله وعترتي، ألا إنهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض، ألا وإنكم لن تضلوا ما استمسكتم بهما»[٥].

ثم أكد صاحب الكتاب هذا الخبر وقال فيه قولاً لا مخالفة فيه، ثم قال بعد ذلك: إن المؤتمة[٦] خالفت الإجماع وادَّعت الإمامة في بطن من العترة

---

١. كمال الدين وتمام النعمة الشيخ الصدوق، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري: ص١٢٤.

٢. في سر السلسلة العلوية، لأبي نصر البخاري: ص٧٥، (أبو زيد) عيسىٰ بن محمد بن أحمد بن عيسىٰ بن يحيىٰ بن الحسين بن زيد، عالم كبير من علماء الزيدية فقيه متكلم توفي بالري سنة ست وعشرين وثلاثمائة لا عقب له.

جمع الكتاب الباحث اليمني: السيد جمال الشامي.

المصادر: معلومات من الباحث اليمني السيد جمال الشامي، وعن موقع كاتبان الإيراني:

http / /:ansari.kateban.com /print1737 /

٣. الزيدية مذهب يتبنىٰ القول بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام ووجوب الخروج علىٰ الظلمة، واستحقاق الإمامة بالفضل والطلب لا بالوراثة مع القول بتفضيل الإمام علي عليه السلام وأولويته بالإمامة وقصرها من بعده في البطنين الحسن والحسين عليهما السلام ....

بحوث في الملل والنحل - الشيخ السبحاني: ج٧، ص٤٥٧.

٤. في الهامش من النسخة المعتمدة: يعنىٰ الإمامية - الاثني عشرية -.

٥. ورد هذا الخبر في عدة مصادر بألفاظ متقاربة مع ما رواه الشيخ ابن قبة عن كتاب الأشهاد، منها: الكافي - الشيخ الكليني: ج٢، ص٤١٥.

٦. أي الإمامية علىٰ ما تقدم.

ولم توجبها لسائر العترة[١]، ثم لرجل من ذلك البطن في كل عصر.

فأقول[٢] - وبالله الثقة: إن في قول النبي ﷺ على ما يقول الإمامية دلالة واضحة وذلك أن النبي ﷺ قال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا، كتاب الله وعترتي أهل بيتي» دلَّ على أن الحجة من بعده ليس من العجم ولا من سائر قبائل العرب، بل من عترته أهل بيته، ثم قرن قوله بما دل (به) على مراده فقال: «ألا وإنما[٣] لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض»، فأُعلمنا أن الحجة من عترته لا تفارق الكتاب، وإنّا متى تمسكنا بمن لا يفارق الكتاب لن نضل، ومن لا يفارق الكتاب ممن فرض على الأمة أن يتمسكوا به، ويجب في العقول أن يكون عالماً بالكتاب مأموناً عليه، يعلم ناسخه من منسوخه، وخاصه من عامه، وحتمه من ندبه، ومحكمه من متشابهه ليضع كل شيء من ذلك موضعه الذي وضعه الله عزّ وجلّ، لا يقدم مؤخراً، ولا يؤخر مقدماً.

ويجب أن يكون جامعاً لعلم الدين كله ليمكن التمسك به والأخذ بقوله فيما اختلفت فيه الأُمة وتنازعته من تأويل الكتاب والسنة، ولأنه إن بقي منه شيء لا يعلمه لم يمكن التمسك به، ثم متى كان بهذا المحل أيضاً لم يكن مأموناً على الكتاب، ولم يؤمن أن يغلط فيضع الناسخ منه مكان المنسوخ، والمحكم مكان المتشابه، والندب مكان الحتم، إلى غير ذلك مما يكثر تعداده، وإذا كان (هذا) هكذا صار الحجة والمحجوج سواء، وإذا فسد هذا القول صح ما قالت الإمامية من أن الحجة من العترة لا يكون إلّا جامعاً لعلم الدين

---

١. ومعناه أن لفظ العترة شامل وتخصيصه ببطن من البطون وبفرد من هذا البطن في كل جيل وطبقة لا دليل عليه.

٢. أي الشيخ ابن قبة رحمه الله.

٣. الصحيح: (ألا وأنهما)، بقرينة وروده بلفظ (أنهما لن يفترقا) في عدة مصادر، منها: الكافي: ج٢، ص٤١٥؛ الغيبة: ص٥٠؛ معاني الأخبار: ص١٨٤.

معصوماً مؤتمناً على الكتاب، فإن وجدت الزيدية في أئمتها مَن هذه صفته، فنحن أول من ينقاد له، وإن تكن الأخرىٰ فالحق أولىٰ ما اتبع[1].

توضيح ما قاله ﷺ:

لزوم كون الحجة من العترة الطاهرة:

يُثَنِّي الشيخ ابن قبة ﷺ على ما نقله صاحب نقض الإشهاد من كون الحجة والإمام هو من العترة وأنه قرين القرآن الكريم، ولا يفترق عنه الواحد منهم تلو الواحد إلىٰ زمان ورود الحوض، ولكن الخلاف يبدأ من المخصص لعموم العترة وأنها شاملة لكل فرد من أفراد العترة؟

فلو وجد في زمان معين ألف شخص أو مائة ألف شخص من العترة فكلهم حجة حسب قول صاحب نقض الإشهاد!

لأن التخصيص بالبعض حسب دعواه لا دليل عليه.

الدليل علىٰ تخصيص بعض العترة دون بعضها:

الشيخ ﷺ يرد دعوىٰ صاحب كتاب الإشهاد ويقول له: إن المخصص موجود، وهو نفس عملية قرن العترة بالقرآن الكريم وأنه لا يفارقها ولا تفارقه حتىٰ وقت الورود علىٰ الحوض في يوم القيامة، وهذا التعبير كناية عن الاقتران الدائم واستحالة الانفكاك.

ومع كون القرآن فيه ناسخ ومنسوخ وخاص وعام ومحكم ومتشابه، فلابد من وجود شخص عالم بكل هذا ولا يشتبه فيه ويكون مأموناً عليه وإلّا لا معنىٰ لقرنه بالقرآن وهو جاهل به.

---

١. هكذا في المصدر والصحيح (أنْ يُتَّبع).

تحدي الزيدية بعدم القدرة علىٰ تشخيص الإمام من العترة حسب منهجهم:

يقول الشيخ رحمه الله: إذا وُجد عند الزيدية شخص مثل هذا فليدلونا عليه، ونحن نتبعه.

أمّا إذا قيل بوجود شخص دون أن يشترط فيه هذه الصفات، فهذا الشخص لا يسمىٰ قريناً للقرآن، ولو قلنا: إنهم بأجمعهم أقران للقرآن الكريم بمعنىٰ أن كل فرد فرد منهم هو قرين، ولكن نحن لا نشك بوجود تفاوت بين أفراد العترة فكيف يصح مع هذا التفاوت أن نساوي بين الحجة واللاحجة؟!

رد دعوىٰ أن انتخاب الناس هو الذي يعين شخص الإمام من العترة:

وإن قالوا: إنه واحد من العترة لا بعينه ولكن بانتخاب الناس له يتعين.

قلنا: هذا لا يفرق به ولا يتميز عما تدعيه العامة، والزيدية قد اتفقوا معنا علىٰ ضرورة شخص من العترة لا من غيرها.

المخصص اللبّي عند الإمامية:

فلم يبق سوىٰ كونه من العترة وخصوص الأفضل منها، وهذا ما نقول به نحن الإمامية.

وبكلمة واحدة: إن قرن شخص من العترة بالقرآن الكريم يعني وجود شخصٍ معصوم في كل زمان، لهذا الشخص أهلية الإحاطة بما في القرآن الكريم، هذا هو المخصص اللبّي الواضح الذي ندَّعيه في تعيين شخص الإمام من العترة.

المتن:

وقال شيخ من الإمامية[١]: إنا لم نقل: إن الحجة من ولد فاطمة عليها السلام قولاً مطلقاً وقلناه بتقييد وشرائط، ولم نحتجّ لذلك بهذا الخبر فقط، بل احتججنا به وبغيره، فأول ذلك أنّا وجدنا النبي صلى الله عليه وآله قد خصّ من عترته أهل بيته أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام بما خصّ به ودلّ على جلالة خطرهم وعظم شأنهم وعلو حالهم عند الله عزّ وجلّ بما فعله بهم في الموطن بعد الموطن والموقف بعد الموقف، مما شهرته تغني عن ذكره بيننا وبين الزيدية، ودل الله تبارك وتعالىٰ على ما وصفناه من علو شأنهم بقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وبسورة هل أتىٰ وما يشاكل ذلك، فلما قدّم [صلى الله عليه وآله] هذه الأمور وقرّر عند أمته أنه ليس في عترته من يتقدمهم في المنزلة والرفعة ولم يكن [صلى الله عليه وآله] ممن ينسب إلىٰ المحاباة ولا ممن يولي ويقدم إلّا على الدين، علمنا أنهم عليهم السلام نالوا ذلك منه استحقاقاً بما خصهم به، فلما قال بعد ذلك كله: «قد خلّفت فيكم كتاب الله وعترتي» علمنا أنه عنىٰ هؤلاء دون غيرهم لأنه لو كان هناك من عترته من له هذه المنزلة لخصه [صلى الله عليه وآله] ونبَّه علىٰ مكانه، ودلَّ على موضعه لئلا يكون فعله بأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام محاباة، وهذا واضح، والحمد لله، ثم دلنا على أن الإمام بعد أمير المؤمنين الحسن باستخلاف أمير المؤمنين عليه السلام إياه وإتباع أخيه له طوعاً.

توضيح ما قاله رحمه الله:

حديث الثقلين كاشف عن خصائص الإمام:

ثم ليعلم أن موطن الاستدلال على حقانية ما نعتقده في الإمامة ليس

١. لا نعلم من هو هذا الشيخ الإمامي الذي استشهد بكلامه الشيخ ابن قبة رحمه الله.

هو خصوص حديث الثقلين، بل هو ما جاء كاشفاً عن تلك الخصائص والصفات التي تحدث عنها النبي ﷺ في مواطن عديدة وبيَّن فيها من سيخلفه، فلما ذكر حديث الثقلين جاء الحديث بعد ذكر تلك الخصائص كاشفاً ومفسراً لمعنىٰ كلمة الثقلين وفيمن هي مقصودة، وأمّا بعد أمير المؤمنين عليه السلام فدلّنا علىٰ انطباق حديث الثقلين علىٰ الإمام الحسن عليه السلام أنه بنفسه عليه السلام كان مورداً لعدة أحاديث من رسول الله ﷺ تُفضّله وتنصص عليه، ولما تصدىٰ واستلم الإمامة بعد أبيه عليهما السلام أذعن بإمامته الحسين عليه السلام، فكان هذا الإذعان بعد ذلك البيان كاشفاً عن حقانية ما نقوله في تفسير العترة، وإلّا كان التنصيص علىٰ خصوص أمير المؤمنين عليه السلام والحسن عليه السلام دون غيرهما محاباة لهما حاشا رسول الله ﷺ وحاشاهما عليهما السلام عن ذلك، هذا ما يتلخص من كلام الإمامية الذي نقله الشيخ ابن قبة رحمه الله.

المتن:

وأمّا قوله: إن المؤتمة خالفت الإجماع وادَّعت الإمامة في بطن من العترة، فيقال له: ما هذا الإجماع السابق الذي خالفناه فإنا لا نعرفه، اللهم إلّا أن تجعل مخالفة الإمامية للزيدية خروجاً من الإجماع، فإن كنت إلىٰ هذا تومي فليس يتعذر علىٰ الإمامية أن تنسبك إلىٰ مثل ما نسبتها إليه وتدَّعي عليك من الإجماع مثل الذي ادَّعيته عليها، وبعد فأنت تقول: إن الإمامة لا تجوز إلّا لولد الحسن والحسين عليهما السلام، فبيِّن لنا لِمَ خصصت ولدهما دون سائر العترة لنبيِّن لك بأحسن من حجتك ما قلناه، وسيأتي البرهان في موضعه إن شاء الله.

ثم قال صاحب الكتاب: وقالت الزيدية: الإمامة جائزة للعترة وفيهم لدلالة رسول الله ﷺ عليهم عامًّا لم يخصص بها بعضاً دون بعض،

ولقول الله عزّ وجلّ لهم دون غيرهم بإجماعهم: ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبادِنا﴾ [فاطر: ٣٢] - الآية.

فأقول - وبالله التوفيق -: قد غلط صاحب الكتاب فيما حكىٰ، لأن الزيدية إنما تجيز الإمامة لولد الحسن والحسين عليهما السلام خاصة، والعترة في اللغة العم وبنو العم، الأقرب فالأقرب، وما عرف أهل اللغة قط ولا حكىٰ عنهم أحد أنهم قالوا: العترة لا تكون إلّا ولد الابنة من ابن العم، هذا شيء تمنّته الزيدية وخدعت به أنفسها وتفردت بادِّعائه بلا بيان ولا برهان، لأن الذي تدّعيه ليس في العقل ولا في الكتاب ولا في الخبر ولا في شيء من اللغات، وهذه اللغة وهؤلاء أهلها، فاسألوهم يبيّن لكم أن العترة في اللغة الأقرب فالأقرب من العم وبني العم.

فإن قال صاحب الكتاب: فلِمَ زعمت أن الإمامة لا تكون[1] لفلان وولده، وهم من العترة عندك؟

قلنا له: نحن لم نقل هذا قياساً، وإنما قلناه اتِّباعاً لما فعله صلى الله عليه وآله بهؤلاء الثلاثة[2] دون غيرهم من العترة ولو فعل[3] بفلان ما فعله بهم لم يكن عندنا إلّا السمع والطاعة.

توضيح ما قاله رحمه الله:

رد دعوىٰ مخالفة الإمامية للإجماع، بل لا إجماع علىٰ دعوىٰ الزيدية:

يدَّعي صاحب كتاب الإشهاد أن الإمامية خالفت الإجماع.

والشيخ ابن قبة رحمه الله يقول له: عن أي إجماع تتحدث؟

---

١. في بعض النسخ: لا تجوز.

٢. أي الإمام علي والحسن والحسين عليهم السلام.

٣. أي لو فعل رسول الله صلى الله عليه وآله بالعباس مثلاً ما فعله بعلي عليه السلام وولده فليس لنا إلّا الطاعة.

إذ لا يوجد عندنا إجماع في كون العترة في جميع الذرية من بني هاشم، نعم إذا كان صاحب الإشهاد يقصد بالإجماع إجماع الزيدية، فبها، ولكن هذه المخالفة مردودة عليك يا صاحب الإشهاد لأن الإمامية يمكنها أن تدَّعي مخالفة الزيدية للإجماع أيضاً.

فقدان الزيدي المخصص وتخبطه في بيان مذهبه:

بل يرد علىٰ الزيدية ما نقضوا به علىٰ الإمامية من تخصيص العترة بواحد منها في كل زمان علىٰ الترتيب المعروف عندهم من الإمام علي عليه السلام إلىٰ الحجة بن الحسن عليهما السلام، فالزيدية أيضاً تخص من العترة الحسن والحسين عليهما السلام دون غيرهما منها، فما هو الدليل علىٰ هذا التخصيص، فإن جاء بدليل علىٰ هذا التخصيص فهو لنا، بل لنا أحسن منه حجة وبرهاناً عليه، وهذا ما سيأتي لاحقاً.

استدلال الزيدي بالتخصيص بلا مخصص:

ثم قال صاحب الإشهاد: إن الإمامة تصح وتجوز في جميع العترة لأن رسول الله صلى الله عليه وآله دل علىٰ ذلك في حديث الثقلين المتقدم ولم يخصصه ببعضهم فالتعميم فيهم ثابت، بل دلت الآيات القرآنية عليه من قبيل قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

فهذه الآية تدل علىٰ جواز الإمامة في جميع العترة بلا تخصيص ببعضهم.

اللغة واستعمال العرف فضلاً عن العقل، بل القرآن والسنة كلها تفند دعوىٰ الزيدية:

ولكن هذه الدعوىٰ باطلة جزماً، فإن دعوىٰ الزيدية أن العترة في

خصوص الحسن والحسين عليهما السلام وهما أبناء البنت من ابن العم، هذا الادعاء لا قرينة عليه واللغة تدل على أن العترة هي الأقرب فالأقرب، وكذلك هو في القرآن الكريم والروايات، فما جاءت به الزيدية في هذا التخصيص بعد ادِّعائها الشمول لعموم العترة لا دليل عليه لا من لغة ولا من قرآن وسنة بل ولا من عقل.

رد دعوىٰ أن الإمامية لا دليل عندهم علىٰ التنصيص:

إن قال صاحب الإشهاد: ولكنكم أيها الإمامية أيضاً تحصرون العترة بعد أمير المؤمنين عليه السلام في الحسن والحسين عليهما السلام والبقية في أولاد الحسين واحداً بعد واحد عليهم السلام، وهذا أيضاً ينافي عموم وإطلاق لفظة العترة وشمولها للجميع.

قلنا: إن ما قمنا به من تخصيص للعترة جاء به الدليل الذي دل علىٰ التنصيص، إذ دلت الروايات علىٰ التنصيص، ولولا وجودها لما نصصنا، وليس تنصيصنا بالقياس، ولو نص الرسول صلى الله عليه وآله علىٰ غير هؤلاء من العترة لأخذنا بتنصيصه.

القاعدة في أمور الدين هي السمع والطاعة:

إننا - نحن الإمامية - في أمور الدين نقتدي بفعل الرسول صلى الله عليه وآله ونُحَكِّم سيرته وفعله صلى الله عليه وآله وما علينا فيما يقول إلّا السمع والطاعة، فهو صلى الله عليه وآله الذي جعل لعلي عليه السلام وأولاده نصيباً ولم يجعل لغيرهم من العترة ذلك.

المتن:

وأمّا قوله: إن الله تبارك وتعالىٰ قال: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢] - الآية.

فيقال له: قد خالفك خصومك من المعتزلة وغيرهم في تأويل هذه الآية وخالفتك الإمامية وأنت تعلم مَنْ السابق بالخيرات عند الإمامية، وأقل ما كان يجب عليك - وقد ألفت كتابك هذا لتبين الحق وتدعو إليه - أن تؤيد الدعوىٰ بحجة، فإن لم تكن فإقناع، فإن لم يكن فترك الاحتجاج بما لم يمكنك أن تبين أنه حجة لك دون خصومك، فإن تلاوة القرآن وادِّعاء تأويله بلا برهان أمر لا يعجز عنه أحد، وقد ادَّعىٰ خصومنا وخصومك أن قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] - الآية، هم جميع علماء الأمة، وأن سبيل علماء العترة وسبيل علماء المرجئة سبيل واحد، وأن الإجماع لا يتم والحجة لا تثبت بعلم العترة، فهل بينك وبينها فصل؟ وهل تقنع منها بما ادَّعت أو تسألها البرهان؟ فإن قال: بل أسألها البرهان، قيل له: فهات برهانك أولاً علىٰ أن المعنىٰ بهذه الآية التي تلوتها هم العترة، وأن العترة هم الذرية وأن الذرية هم ولد الحسن والحسين عليهما السلام دون غيرهم من ولد جعفر وغيره ممن أمهاتهم فاطميات.

توضيح ما قاله رحمه الله:

لا دليل لدىٰ الزيدي ولا كلامه بمقنع:

إن قول الزيدي في الاستدلال بآية وراثة الكتاب علىٰ الشمول لجميع أفراد العترة لم يقع محل وفاق، فقد خالفه فيه المعتزلة والإمامية أيضاً، فالتخصيص ظاهر في أدلة أخرىٰ فإن الإمامية حددت السابق بالخيرات وأوّلته وفسرته بالأئمة عليهم السلام، فلا يتم استدلال الزيدي لدخول الاحتمال المخالف له علىٰ الأقل.

وأنت أيها الزيدي رغم أنك ألفت هذا الكتاب زاعماً أنك تدعو به للحق، كان عليك أن تأتي بالدليل والحجة، وإذا لم تكن لديك الحجة والدليل

على دعواك فعلىٰ الأقل ليكن كلامك مقنعاً، أمّا إذا لم تكن لديك الأدلة ولا القدرة علىٰ الإقناع، فكان الأولىٰ بك أن تترك المناظرة والمحاجة، فمن لا يملك البرهان ولا القدرة علىٰ الإقناع عليه أن لا يناظر، لأن مجرد ادِّعاء امتلاك الدليل، وأن لديك القدرة علىٰ تأويل القرآن الكريم، مجرد هذا القول وادِّعاء هذه الدعوىٰ لا يعجز عنها أحد، وإن كان مبطلاً.

تمسك الزيدي بالعام مع وجود المخصص:

ثم اعلم أن دعواك تشبه دعوىٰ بعض فرق المسلمين في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتابِ لَكانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفاسِقُونَ﴾ [آل عمران: ١١٠] الآية.

حيث ادَّعوا أن جميع علماء الأُمة - سواء من العترة الطاهرة أم من الفرق الأخرىٰ كالمرجئة والتي هي واضحة الفساد والبطلان والانحراف - علىٰ حد سواء!

فهل يصح قبول قولهم؟

الزيدية والمرجئة من واد واحد:

وهنا نقول لك: ما الفرق بينك وبين هؤلاء، فهؤلاء تمسكوا بالعام مع وجود المخصص، وأنت كذلك.

فهل بمجرد أن تدعي المرجئة ذلك تقبل قولها؟

أم أنك سوف تسأل عن الدليل علىٰ هذا التأويل؟

فإذا قلت: سوف أسأل عن الدليل علىٰ دعواهم، فنحن كذلك نقول لك: هات الدليل علىٰ دعواك.

المتن:

ثم قال: ويقال للمؤتمة: ما دليلكم على إيجاب الإمامة لواحد دون الجميع وحظرها على الجميع، فإن اعتلوا بالوراثة والوصية، قيل لهم: هذه المغيرية[١] تدَّعي الإمامة لولد الحسن ثم في بطن من ولد الحسن بن الحسن في كل عصر وزمان بالوراثة والوصية من أبيه وخالفوكم بعد فيما تدعون كما خالفتم غيركم فيما يدعي.

فأقول - وبالله الثقة -: الدليل على أن الإمامة لا تكون إلّا لواحد أن الإمام لا يكون إلّا الأفضل، والأفضل يكون على وجهين: إمّا أن يكون أفضل من الجميع أو أفضل من كل واحد من الجميع، فكيف كانت القصة فليس يكون الأفضل إلّا واحداً لأنه من المحال أن يكون أفضل من جميع الأُمة أو من كل واحد من الأمة وفي الأمة من هو أفضل منه، فلما لم يجز هذا وصح بدليل تعترف الزيدية بصحته أن الإمام لا يكون إلّا الأفضل صح أنها لا تكون إلّا لواحد في كل عصر، والفصل فيما بيننا وبين المغيرية سهل واضح قريب والمنة لله، وهو أن النبي صلى الله عليه وآله دل على الحسن والحسين عليهما السلام دلالة بيِّنة، وبان بهما من سائر العترة بما خصهما به مما ذكرناه ووصفناه، فلما مضى الحسن كان الحسين أحق وأولى بدلالة الحسن لدلالة الرسول صلى الله عليه وآله عليه واختصاصه إياه وإشارته إليه، فلو كان الحسن أوصى بالإمامة إلى ابنه لكان مخالفاً للرسول صلى الله عليه وآله وحاشا له من ذلك، وبعد فلسنا نشك ولا نرتاب في أن الحسين عليه السلام أفضل من الحسن بن الحسن بن علي والأفضل هو الإمام على الحقيقة عندنا وعند الزيدية، فقد تبيَّن لنا بما وصفنا كذب المغيرية وانتقض

١. من الفرق المنحرفة وهم أصحاب المغيرة بن سعيد. كان يقول بإمامة الأئمة إلى أبي جعفر الباقر عليه السلام (٥٧-١١٤هـ) فلما توفي أبو جعفر محمد بن علي، دعا المغيرة إلى إمامة محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأظهر ما أظهر فبرأت منه أصحاب أبي عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام.

الأصل الذي بنوا عليه مقالتهم، ونحن لم نخص علي بن الحسين بن علي عليهما السلام بما خصصناه به محاباة، ولا قلدنا في ذلك أحداً، ولكن الأخبار قرعت سمعنا فيه بما لم تقرع في الحسن بن الحسن.

ودلَّنا علىٰ أنه أعلم منه ما نقل من علم الحلال والحرام عنه، وعن الخلف من بعده، وعن أبي عبد الله عليه السلام، ولم نسمع للحسن بن الحسن بشيء يمكننا أن نقابل بينه وبين من سمعناه من علم علي بن الحسين عليهما السلام، والعالم بالدين أحق بالإمامة ممن لا علم له، فإن كنتم يا معشر الزيدية عرفتم للحسن بن الحسن علماً بالحلال والحرام فأظهروه وإن لم تعرفوا له ذلك فتفكروا في قول الله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥]، فلسنا ندفع الحسن بن الحسن عن فضل وتقدم وطهارة وزكاة وعدالة، والإمامة لا يتم أمرها إلّا بالعلم بالدين والمعرفة بأحكام رب العالمين وبتأويل كتابه، وما رأينا إلىٰ يومنا هذا ولا سمعنا بأحد، قالت الزيدية بإمامته إلّا وهو يقول في التأويل - أعني تأويل القرآن - علىٰ الاستخراج وفي الأحكام علىٰ الاجتهاد والقياس، وليس يمكن معرفة تأويل القرآن بالاستنباط، لأن ذلك كان ممكناً لو كان القرآن إنما أنزل بلغة واحدة وكان علماء أهل تلك اللغة يعرفون المراد، فأمّا القرآن قد نزل بلغات كثيرة، وفيه أشياء لا يعرف المراد منها إلّا بتوقيف مثل الصلاة والزكاة والحج وما في هذا الباب منه، وفيه أشياء لا يعرف المراد منها إلّا بتوقيف مما نعلم وتعلمون أن المراد منه إنما عرف بالتوقيف دون غيره، فليس يجوز حمله علىٰ اللغة لأنك تحتاج أولاً أن تعلم أن الكلام الذي تريد أن تتأوله ليس فيه توقيف أصلاً، لا في جمله ولا في تفصيله.

توضيح ما قاله رحمه الله:

اتِّهام الإمامية بمشابهة المغيرية:

يدَّعي صاحب كتاب الإشهاد أنه: إن كان دليل الإمامية على جعل الإمامة في ولد الحسين عليه السلام واحداً بعد واحد هو الوراثة والوصية، فهذا غير مختص بهم، فإن فرقة المغيرة بن سعيد المنحرفة قد ادَّعت الوراثة والوصية في ولد الحسن بن الحسن في كل عصر، وهذه دعوىٰ تشبه دعواكم وتخالفها من جهة أنهم يطبقونها علىٰ ولد الحسن عليه السلام لا ولد الحسين عليه السلام.

الإمامة في واحد وهو الأفضل:

فأجاب الشيخ ابن قبة قدس سره: بأننا متمسكون بأن الإمامة لا تكون إلّا لواحد في كل زمان، ولا يكون هذا الواحد إلّا الأفضل من الجميع، ومن كل فرد، وهذا الذي نقول به - من كون الإمامة لأفضل الجميع - يقتضي عدم تعدد الإمام ولابد من كونه واحداً في كل زمان لأن أفضل الجميع لا يكون إلّا شخصاً واحداً.

فالإقرار بأنه أفضل الجميع يقتضي وحدته في كل زمان، وهذا متفق عليه مع الزيدية.

الفارق بيننا وبين المغيرية:

أمّا الفارق بيننا وبين المغيرية، فهو واضح وسهل، من جهة الاتفاق علىٰ دلالة النبي صلى الله عليه وآله علىٰ الحسن والحسين عليهما السلام، فلما مضىٰ الحسن عليه السلام، كان الحسين عليه السلام أحق بالإمامة من بعده، إذ لو أوصىٰ الإمام الحسن عليه السلام بالإمامة إلىٰ ولده لكان مخالفاً لرسول الله صلى الله عليه وآله، وحاشاه عن ذلك.

وبعد الحسن عليه السلام لا نشك أن الحسين عليه السلام أفضل من الحسن بن الحسن، والأفضل هو الإمام، وهذا متفق عليه بيننا وبين الزيدية، وبهذا يتبيَّن كذب دعوىٰ المغيرية.

إمامة الإمام زين العابدين عليه السلام وولده عليهم السلام ليست بالتقليد:

ونحن لم نخص الإمام علي بن الحسين عليهما السلام بما خصصناه محاباة، ولم نقلد في ذلك أحداً، وإنما الأخبار هي التي دلتنا عليه، ولم تدلنا علىٰ الحسن بن الحسن.

وأيضاً دلنا علىٰ أنه أفضل أهل زمانه علمُه بالحلال والحرام، وأنه أعلم أهل زمانه به.

وهكذا الأمر في ولده الباقر عليه السلام وحفيده الصادق عليه السلام.

تحدي الشيخ ابن قبة رحمه الله للزيدية في إثبات الإمامة للحسن المثنىٰ:

ولم نسمع مثل ذلك في الحسن بن الحسن، والعالم بالدين أحق بالإمامة في الدين من غير العالم به، فإذا كانت الزيدية تعرف أن للحسن بن الحسن علماً يمتاز به فليظهروه لنا، وإن لم تعرفوا له شيئاً من ذلك فتذكروا قول الله تعالىٰ: ﴿أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لا يَهِدِّي إِلَّا أَنْ يُهْدىٰ فَما لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ (يونس: ٣٥).

فلو كان للحسن بن الحسن تقدّمٌ فنحن لا ندفعه عنه، ولكنه لم يتثبت عندنا أن له من الفضل من شيء.

ونحن لا نقول بالإمامة لأحد إلّا بأن يكون من أهل العلم والفضل والمعرفة بالدين والقرآن الكريم، ومعرفته بالقرآن الكريم ليست بالتأويل والرأي؛ لأن القرآن الكريم حاله حال الصلاة والزكاة والحج، قضية توقيفية، فهو نزل بلغات ولهجات ومعانٍ كثيرة لا يعرفه ولا يعرفها إلّا الإمام عليه السلام.

المتن:

فإن قال منهم قائل: لم ينكر أن يكون ما كان سبيله أن يعرف بالتوقيف فقد وقف الله رسوله ﷺ، وما كان سبيله أن يستخرج، فقد وكَّل إلىٰ العلماء وجعل بعض القرآن دليلاً علىٰ بعض، فاستغنينا بذلك عما تدعون من التوقيف والموقف.

قيل له: لا يجوز أن يكون ذلك علىٰ ما وصفتم لأنا نجد للآية الواحدة تأويلين متضادين كل واحد منهما يجوز في اللغة ويحسن أن يتعبد الله به، وليس يجوز أن يكون للمتكلم الحكيم كلام يحتمل مرادين متضادين.

فإن قال: ما ينكر أن يكون في القرآن دلالة علىٰ أحد المرادين وأن يكون العلماء بالقرآن متىٰ تدبروه علموا المراد بعينه دون غيره.

فيقال للمعترض بذلك: أنكرنا هذا الذي وصفته لأمر نخبرك به: ليس تخلو تلك الدلالة التي في القرآن علىٰ أحد المرادين من أن تكون محتملة للتأويل أو غير محتملة، فإن كانت محتملة للتأويل فالقول فيها كالقول في هذه الآية، وإن كانت لا تحتمل التأويل، فهي إذاً توقيف ونص علىٰ المراد بعينه ويجب أن لا يشكل علىٰ أحد علم اللغة معرفة المراد، وهذا ما لا تنكره العقول، وهو من فعل الحكيم جائز حسن، ولكنا إذا تدبرنا آي القرآن لم نجد هكذا ووجدنا الاختلاف في تأويلها قائماً بين أهل العلم بالدين واللغة، ولو كان هناك آيات تفسر آيات تفسيراً لا يحتمل التأويل لكان فريق من المختلفين في تأويله من العلماء باللغة معاندين، ولأمكن كشف أمرهم بأهون السعي، ولكان من تأول الآية خارجاً من اللغة ومن لسان أهلها، لأن الكلام إذا لم يحتمل التأويل فحملته علىٰ ما لا يحتمله خرجت عن اللغة التي

وقع الخطاب بها، فدلونا يا معشر الزيدية علىٰ آية واحدة اختلف أهل العلم في تأويلها في القرآن ما يدل نصاً وتوقيفاً علىٰ تأويلها، وهذا أمر متعذر وفي تعذره دليل علىٰ أنه لابد للقرآن من مترجم يعلم مراد الله تعالىٰ فيخبر به، وهذا عندي واضح.

توضيح ما قاله ﵀:

بيان مذهب الزيدية في التأويل:

فإن اعترض معترض علىٰ الجواب السابق من توقيفية تشخيص معرفة القرآن بالإمام ﵇ وأن تعين المراد ليس بالتأويل وليس بيد الناس، وقال: لِمَ لا نفصّل في القرآن الكريم بأن نقول: إن بعض القرآن الكريم توقيفي ويحتاج إلىٰ الإمام لمعرفته، وبعضه الآخر يمكن استخراجه من قبل العلماء، وهذا البعض الذي يستخرجه العلماء يستدل عليه بالقرآن الكريم نفسه، فبعض القرآن يفسر بعضه الآخر، فإذا قبلنا هذا التفصيل سوف نستغني عن دعواكم في توقيفية القرآن وحاجته إلىٰ الإمام ﵇.

رد دعوىٰ الزيدية في التأويل وإثبات التوقف:

والجواب عن هذا الاعتراض بأن نقول: إن هذه الدعوىٰ خلاف الحكمة، فإن الحكيم لا يصدر منه كلام يحتمل مرادين يضاد أحدهما الآخر، وإذا تنازلنا عن التوقيفية سنقع في هذا المحذور لأنه مما ندركه بالوجدان أن للآية الواحدة هذا التعدد في المعاني والمرادات، فتحتاج معرفة الصحيح منهما إلىٰ الإمام ﵇، وهذه الحاجة تأتي بعد الإذعان بالتوقيفية.

فإن قيل: لِمَ لا نقول: إن في نفس القرآن دلالة علىٰ أحد المرادين المتضادين، ومعرفة هذا المعنىٰ الصحيح موقوف علىٰ التدبر في القرآن، فمتىٰ

تأمل العلماء وتدبروا فيه استخرجوا المعنىٰ المراد، فالمعنىٰ المراد مودع في القرآن، واستخراجه موقوف علىٰ التدبر من قبل العلماء، وبذلك لا نحتاج إلىٰ التوقيفية التي قلتم بها.

فإنه يقال: إن من الواضحات ما قلناه وادَّعيناه من توقيفية القرآن الكريم ومن حاجة القول بالتوقيفية إلىٰ مترجم وإمام للقرآن الكريم، ووجه هذا الوضوح:

وضوح حاجة القرآن إلىٰ مترجم:

نحن نطالبكم أيها الزيدية: بأن تأتوا لنا بآية تدعم دعواكم، وأنها تفسر آية أخرىٰ وأن فيها المعنىٰ الصحيح من المعنيين المتضادين، لأنكم إذا جئتم بآية وقلتم هذه هي، فسوف نسألكم:

هل المعنىٰ الظاهر من الآية والذي صار قرينة علىٰ اختيار أحد المعنيين المتضادين، هل هذا المعنىٰ نص في المراد وغير قابل للتأويل أم يحتمل التأويل؟

فإن قلتم: يحتمل التأويل كما هو واقع الحال.

قلنا: رجع الأمر إلىٰ ما نقول من ضرورة التوقيفية والرجوع إلىٰ الإمام عليه السلام في معرفة المعنىٰ التوقيفي.

وإن قلتم: هو نص في المعنىٰ ولا يقبل التأويل.

قلنا: هذا أيضاً إقرار منكم بالتوقيفية التي فررتم منها.

علىٰ أنه إذا تدبرنا في آيات القرآن الكريم لا نجد آية واحدة لا تحتمل معنىٰ آخر.

ولو كان الأمر كما تزعمون وأن في الآيات ما يفسر بعضه بعضاً بنحو لا يحتمل التأويل بعد تفسيره بالمعنىٰ المقصود، وكان هذا معروفاً وواضحاً

بين العلماء، لأصبح كل من يخالف هذا التأويل من المعاندين، مع أن العلماء لم يصفوه بذلك!

ولأمكن كشف هؤلاء المعاندين بسهولة وبدون عناء وبأبسط وأهون التفات!

ولكنه ليس بموجود، فرجع الأمر إلىٰ لزوم القول بالتوقيفية.

المتن:

ثم قال صاحب الكتاب: وهذه الخطابية[١] تدعي الإمامة لجعفر بن محمد من أبيه عليهما السلام بالوراثة والوصية، ويقفون علىٰ رجعته، ويخالفون كل من قال بالإمامة ويزعمون أنكم وافقتموهم في إمامة جعفر عليه السلام وخالفوكم فيمن سواه.

فأقول - وبالله الثقة -: ليس تصح الإمامة بموافقة موافق ولا مخالفة مخالف وإنما تصح بأدلة الحق وبراهينه وأحسب أن صاحب الكتاب غلط والخطابية قوم غلاة، وليس بين الغلو والإمامة[٢] نسبة.

فإن قال: فإني أردت الفرقة التي وقفت عليه[٣].

قيل له: فيقال لتلك الفرقة: نعلم أن الإمام بعد جعفر موسىٰ بمثل ما علمتم أنتم به أن الإمام بعد محمد بن علي جعفر، ونعلم أن جعفراً مات

---

١. فرقة منقرضة من الفرق المغالية والمنحرفة، وقد ظهرت هذه الفرقة في الكوفة زمن الإمام الصادق عليه السلام، وقد تأسست هذه الفرقة علىٰ يد محمد بن مقلاص المكنىٰ بأبي الخطّاب، الذي كان من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام، وهم الذين قالوا إن الله عزّ وجلّ حلّ في أئمة أهل البيت عليهم السلام، حتّىٰ بلغ بهم الأمر أن عبدوا الإمام الصادق عليه السلام ولبوا له عند مشاهدته، ممّا دفع الإمام الصادق عليه السلام إلىٰ إعلان البراءة منهم وقد لَعَنَهم في السرّ والعَلَنْ.

٢. في بعض النسخ: والإمامية.

٣. أي: علىٰ الإمام جعفر بن محمد عليه السلام.

كما نعلم أن أباه مات والفصل بيننا وبينكم هو الفصل بينكم وبين السبائية والواقفة علىٰ أمير المؤمنين (صلوات الله عليه)، فقولوا كيف شئتم.

ويقال لصاحب الكتاب: وأنت فما الفصل بينك وبين من اختار الإمامة لولد العباس وجعفر وعقيل، أعني لأهل العلم والفضل منهم، واحتج باللغة في أنهم من عترة الرسول، وقال: إن الرسول ﷺ عم جميع العترة ولم يخص إلّا ثلاثة[1] هم أمير المؤمنين والحسن والحسين (صلوات الله عليهم) عرِّفْناه وبيّنْ لنا.

توضيح ما قاله رحمه الله:

موافقة بعض فرق الضلال للإمامية في بعض الدعوىٰ لا يلزم حقانية هذه الفرق ولا بطلان الإمامية:

يدَّعي صاحب كتاب الإشهاد أن دعوىٰ الشيعة لا تصح لأن بعض فِرَق الشيعة قد وافقت الدعوىٰ وفي كونها بالوراثة والوصية مع ذلك خالفوا الشيعة الإمامية في التطبيق، وهذا يكشف في نظره عن بطلان المذهب الذي اعتمد عليه الإمامية.

الإمامة لا تبطل بقول المخالف ولا تتوقف علىٰ الموافق:

الشيخ ابن قبة رحمه الله **يرد هذه الدعوىٰ ويبيِّن**: أن الإمامة لا تتوقف علىٰ قول الموافق ولا تبطل بقول المخالف، الإمامة تثبت بالأدلة الحقة والبراهين التي يستدل بها عليها، وتشبيه الإمامية بالخطابية من قبل صاحب كتاب

١. في النسخة المعتمدة (كذا. وفي هامش بعض النسخ: الظاهر (ولم يخص بالثلاثة). أقول: ويمكن أن يكون (إلّا) في قوله: (إلّا ثلاثة) زائداً من سهو النساخ).

الإشـهاد غلـط واضـح، إذ إن الخطابيـة مـن الفِـرَق المغاليـة كـما هـو معـروف وواضـح، والإماميـة فرقـة لها أصولها ورجالها وأئمتها عليهم السلام وكتبها ومؤلفاتها وغـير ذلـك، ومقارنتها بالفـرق المغاليـة غلـط لا ينبغـي أن يقـع فيـه صاحـب كتـاب الإشـهاد.

تفسير المقارنة بنحو آخر:

فـإن قـال صاحـب الإشـهاد: إن المقصـود مـن المقارنـة هـي المقارنـة بالفرقـة التـي وقفـت لا التـي غالـت، أي المقصـود بالتشـبيه هـو أن هنـاك مـن قـال بكـون الإمامـة بالوراثـة والوصيـة ولكنهـا لم تتفـق مـع الإماميـة في التطبيـق فوقفـت عـلىٰ الإمـام الصـادق عليه السلام ولم تجعـل الإمامـة في ولـده موسـىٰ عليه السلام.

رد المقارنة بما لا مخلص للزيدية منه:

فإنـه يقـال لـه: إن فرقـة الواقفـة تعلـم بـأن الإمامـة بعـد الصـادق عليه السلام هـي لولـده موسـىٰ الكاظـم عليه السلام، هـي تعلـم ذلـك بنفـس مسـتوىٰ العلـم الـذي تعلـم بـه أنـت أن الإمامـة بعـد الإمـام محمـد بـن عـلي الباقـر عليه السلام هـي للإمـام جعفـر بـن محمـد الصـادق عليه السلام، وتعلـم أيضـاً أن الإمـام الصـادق عليه السلام قـد مـات، كـما نعلـم وتعلـم أن أبـاه عليه السلام قـد مـات، وكل مـا تقولونـه للتفريـق بـين فرقتكـم وفرقـة السـبئية التـي قالـت بحيـاة أمـير المؤمنـين عليه السلام وعـدم موتـه، وأنتـم قلتـم بموتـه وإسراء الإمامـة في ولديـه عليهما السلام مـن بعـده وفي عـلي بـن الحسـين عليه السلام بعدهمـا، كلـما تقولونـه لـرد السـبائية نقولـه لـرد الخطابيـة، فقولـوا كيـف شـئتم وسـنقول بـما قلتـم.

وأيضـاً بنفـس الطريقـة التـي تفصّلـون بهـا وتفرّقـون عـلىٰ أساسـها بينكـم وبـين أهـل الفضـل والعلـم مـن بنـي العبـاس، نحـن نسـألكم وجوابنـا بـما تجيبـون بـه بنـي العبـاس، فنحـن سـنجيبكم بـه، وبـما تفرقـون نحـن سـنفرق بـه.

وما تقدمونه من دليل يميزكم عن بني العباس مع أنه يصح منهم الاستدلال علىٰ أن الإمامة فيهم بنفس استدلالكم من كونهم من العترة، ولم يخصص إلّا الثلاثة، هو دليلنا.

المتن:

ثم قال صاحب الكتاب: وهذه الشمطية تدَّعي إمامة عبد الله بن جعفر بن محمد من أبيه[١] بالوراثة والوصية، وهذه الفطحية تدَّعي إمامة إسماعيل بن جعفر[٢] عن أبيه بالوراثة والوصية، وقبل ذلك (إنهما قالوا بإمامة عبد الله بن جعفر ويسمون اليوم إسماعيلية لأنه لم يبق للقائلين بإمامة عبد الله بن جعفر خلف ولا بقية، وفرقة من الفطحية يقال لهم: القرامطة[٣] قالوا بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر بالوراثة والوصية.

---

١. في النسخة المعتمدة (كذا. وفي فرق الشيعة للنوبختي (السمطية هم الذين جعلوا الإمامة في محمد بن جعفر وولده من بعده وهذه الفرقة تسمىٰ (السمطية) نسبة إلىٰ رئيس لهم يقال له يحيىٰ ابن أبي السميط انتهىٰ. وفي المحكي عن المقريزي يحيىٰ بن شميط الأحمسي ويذكر أنه كان قائداً من قواد مختار بن أبي عبيدة الثقفي) والظاهر التعدد لتقدم المختار عن محمد بتسعين سنة.

٢. في النسخة المعتمدة (كذا. وفيٰ كتاب النوبختي الفطحية فرقة يقولون بإمامة عبد الله بن جعفر وسموا بذلك لأن عبد الله كان أفطح الرأس، وقال بعضهم: كان أفطح الرجلين، وقال بعض الرواة: نسبوا إلىٰ رئيس لهم من أهل الكوفة يقال له: عبد الله بن فطيح).

٣. في النسخة المعتمدة (هم فرقة من المباركية وإنما سموا بهذا برئيس لهم من أهل السواد من الأنباط كان يلقب (قرمطويه) كانوا في الأصل علىٰ مقالة المباركية ثم خالفوهم فقالوا: لا يكون بعد محمد ﷺ إلّا سبعة أئمة علي بن أبي طالب إلىٰ جعفر بن محمد ثم محمد بن إسماعيل وهو الإمام القائم المهدي وهو رسول. وزعموا أن النبي انقطعت عنه الرسالة في حياته في اليوم الذي أمر فيه بنصب علي بن أبي طالب عليه السلام للناس في غدير خم، فصارت الرسالة في ذلك اليوم في علي بن أبي طالب، واعتلوا في ذلك بقول رسول الله ﷺ: «من كنت مولاه فهذا علىٰ مولاه» وأن هذا القول منه خروج من الرسالة والنبوة والتسليم منه في ذلك لعلي عليه السلام بأمر الله ﷻ وأن النبي ﷺ بعد ذلك كان مأموماً لعلي محجوجاً به. (قال النوبختي): وفي تلبيس إبليس لابن الجوزي تحقيق لسبب تسمية القرامطة بهذا الاسم).

وهذه الواقفة علىٰ موسىٰ بن جعفر تدَّعي الإمامة لموسىٰ وترتقب لرجعته.

وأقول: الفرق بيننا وبين هؤلاء سهل واضح قريب: أمّا الفطحية فالحجة عليها أوضح من أن تخفىٰ لأن إسماعيل مات قبل أبي عبد الله عليه السلام، والميت لا يكون خليفة الحي، وإنما يكون الحي خليفة الميت، ولكن القوم عملوا علىٰ تقليد الرؤساء وأعرضوا عن الحجة وما في بابها.

وهذا أمر لا يحتاج فيه علىٰ إكثار لأنه ظاهر الفساد، بيّن الانتقاد.

وأمّا القرامطة فقد نقضت الإسلام حرفاً حرفاً، لأنها أبطلت أعمال الشريعة وجاءت بكل سوفسطائية، وإن الإمام إنما يحتاج إليه للدين وإقامة حكم الشريعة، فإذا جاءت القرامطة تدَّعي أن جعفر بن محمد أو وصيه استخلف رجلاً دعا إلىٰ نقض الإسلام والشريعة والخروج عما عليه طبائع الأُمة لم نحتج في معرفة كذبهم إلىٰ أكثر من دعواهم المتناقض الفاسد الركيك.

وأمّا الفصل بيننا وبين سائر الفرق فهو أن لنا نقله أخبار وحملة آثار قد طبقوا البلدان كثرة، ونقلوا عن جعفر بن محمد عليهما السلام من علم الحلال والحرام ما يعلم بالعادة الجارية والتجربة الصحيحة أن ذلك كله لا يجوز أن يكون كذباً مولداً، وحكوا مع نقل ذلك عن أسلافهم أن أبا عبد الله عليه السلام أوصىٰ بالإمامة إلىٰ موسىٰ عليه السلام، ثم نقل إلينا من فضل موسىٰ عليه السلام وعلمه ما هو معروف عند نقله الأخبار، ولم نسمع لهؤلاء بأكثر من الدعوىٰ، وليس سبيل التواتر وأهله سبيل الشذوذ وأهله، فتأملوا الأخبار الصادقة تعرفوا بها فصل ما بين موسىٰ عليه السلام ومحمد وعبد الله بني جعفر، وتعالوا نمتحن هذا الأمر بخمس مسائل من الحلال والحرام مما قد أجاب فيه موسىٰ عليه السلام فإن وجدنا لهذين فيه جواباً عند أحد من القائلين بإمامتهما فالقول كما يقولون،

وقد روت الإمامية أن عبد الله بن جعفر سئل كم في مائتي درهم؟ قال: خمسة دراهم، قيل له: وكم في مائة درهم؟ فقال: درهمان ونصف[١].

توضيح ما قاله رحمه الله:

رد فرق الواقفة وغيرها:

وكذلك هو الكلام بعينه في فرقة الشمطية والفطحية والقرامطة التي وقفت ولم تجرِ الإمامة في ولد الإمام السابق، مع إنها تقول بالوراثة والوصية.

فالجواب واضح بعين ما تقدم، وفي الفطحية فالأمر أوضح لموت إسماعيل في حياة أبيه الصادق عليه السلام، والميت لا يكون خليفة الحي إنما الحي خليفة الميت، ولكن القوم لعنادهم ومتابعتهم العمياء لرؤسائهم وإعراضهم عن الحجة قالوا بذلك، وأمر هؤلاء ظاهر وواضح الفساد فلا يحتاج إلىٰ أكثر مما قلناه.

وأمّا القرامطة فمضافاً لما تقدَّم فقد دلَّت تصرفاتها وفعالها علىٰ أنها نقضت الإسلام حرفاً حرفاً، فكيف يستشهد بها علينا ونقارن بها!

فأصل الإمامة لحفظ الدين، وعندما تدَّعي القرامطة أن وصي الإمام الصادق عليه السلام بحسب نظرهم هو من نقض الدين حرفاً حرفاً، فما قاموا به هو دليل علىٰ كذب دعواهم، وفساد معتقدهم المتناقض.

وأمّا الفارق بيننا وبين بقية الفرق فهو: أن لنا - نحن الشيعة الإمامية - رواة حديث ونقلة أخبار قد ساروا في جميع أصقاع الأرض ونقلوا عن الأئمة عليهم السلام أحاديثهم من الحلال والحرام، وهؤلاء علىٰ كثرتهم واختلاف بلدانهم تقتضي العادة استبعاد اجتماعهم علىٰ الكذب، وهم في ذات الوقت قد قالوا بإمامة

١. في هامش النسخة المعتمدة: يعني لم يعلم عبد الله أن نصاب الدرهم في الزكاة مائتان، ولا زكاة فيما دون ذلك فأجاب في المسألة بالقياس وأخطأ.

الإمام موسىٰ بن جعفر الكاظم بعد أبيه عليهما السلام، وأنه عليه السلام أوصىٰ بالإمامة إليه، ثم نقلوا لنا من فضائل الإمام موسىٰ الكاظم عليه السلام وعلمه ما هو معروف مشهور، هذه هي دعواهم التي تواترت عنهم.

فلا يقاس ما عندنا من تواتر بما عند غيرنا من شذوذ.

فراجعوا الأخبار وتأملوا فيها تجدوا الفرق بين من ندَّعي له الإمامة وبين من تُدَّعىٰ له الإمامة من هذه الفرق.

بل تعالوا نمتحن ونختبر ما ذهبوا إليه بمسائل خمسة من الحلال والحرام مما أجاب بها الإمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام، فإن وجد عند هذه الفِرَق أجوبة، فإنه يصح ما يقولون.

وقد روت الإمامية أن عبد الله بن جعفر سئل عن الزكاة في مائتي درهم، فقال: خمسة دراهم، فقيل له وكم في مائة درهم؟ فقال: درهمان ونصف!

مع أن من الواضحات أن نصاب الزكاة في الدراهم هو (٢٠٠) درهم وما كان قبلها ليس فيه شيء[١].

المتن:

ولو أن معترضاً اعترض علىٰ الإسلام وأهله فادَّعىٰ أن ههنا من قد عارض القرآن[٢] وسألنا أن نفصل بين تلك المعارضة والقرآن، لقلنا له: أمّا القرآن فظاهر، فأظهر تلك المعارضة حتىٰ نفصل بينها وبين القرآن.

وهكذا نقول لهذه الفرق، أمّا أخبارنا فهي مروية محفوظة عند أهل الأمصار من علماء الإمامية فأظهروا تلك الأخبار التي تدَّعونها حتىٰ نفصل بينها وبين أخبارنا، فأمّا أن تدعوا خبراً لم يسمعه سامع ولا عرفه أحد ثم تسألونا الفصل بين (هذا) الخبر، فهذا ما لا يعجز عن دعوىٰ مثله أحد،

١. ولم يذكر رحمه الله المسائل الخمسة سوىٰ مسألة الزكاة المتقدمة.

٢. في هامش النسخة المعتمدة: يعني ادَّعىٰ أنه جاء رجل وأتىٰ بمثل هذا القرآن.

ولو أبطل مثل هذه الدعوىٰ أخبار أهل الحق من الإمامية لأبطل مثل هذه الدعوىٰ من البراهمة[١] أخبار المسلمين، وهذا واضح ولله المنة.

وقد ادَّعت الثنوية[٢] أن ماني[٣] أقام المعجزات وأن لهم خبراً يدل علىٰ صدقهم، فقال لهم الموحدون: هذه دعوىٰ لا يعجز عنها أحد فأظهروا الخبر لندلكم علىٰ أنه لا يقطع عذراً ولا يوجب حجة، وهذا شبيه بجوابنا لصاحب الكتاب.

ويقال لصاحب الكتاب: قد ادَّعت البكرية والأباضية[٤] أن النبي صلى الله عليه وآله نص علىٰ أبي بكر وأنكرت أنت ذلك كما أنكرنا نحن أن أبا عبد الله عليه السلام أوصىٰ إلىٰ هذين[٥]، فبيِّن لنا حجتك ودلِّنا علىٰ الفصل بينك وبين البكرية والأباضية، لندلك بمثله علىٰ الفصل بيننا وبين من سميت.

ويقال لصاحب الكتاب: أنت رجل تدَّعي أن جعفر بن محمد كان علىٰ مذهب الزيدية وأنه لم يدَّع الإمامة من الجهة التي تذكرها الإمامية وقد

---

١. اسم لديانة منتشرة في الهند وهذا الاسم عندهم يُطلق علىٰ أفراد الطبقة العليا، وهي طبقة الكهنوت أو رجال الدين، عند الهندوس. فالمُجْتمع الهِنْدِيُ ينقسم إلىٰ طبقات أربعة: البَراهِمة، والنُّبَلاء، والبُرجُوازِيِّين، والحِرْفيين. وكلُّ طائِفَة مُغْلَقة علىٰ نَفْسها لا يُسْمَح بأن تَخْتَلِط بِدَمِها طائِفَة أُخْرىٰ. والبَراهِمَة أَرْقىٰ هذه الطَوائِف، وهم رِجال الدِّين، ولهم مَناسِكهم وطُرق مَعِيَشتهم، وفي وسعهم وَحْدهم تَفْسير (الفيدا) (Veda: الكُتُب المُقدَّسة) وتَطْبِيقها، وهم الذين يتولَّون الصلواتِ والأَناشيدَ وإذكاءَ النّار المُقدَّسة.

٢. فرقة تدَّعي تعدد الآلهة، وسيأتي ترجمتها بما يناسب.

٣. والثنوية أَربع فرق: الْفرْقَة الأولىٰ: المانوية أَتبَاع ماني وَقد كَانَ رجلاً نقاشاً خَفِيف الْيَد ظهر فِي زمن سَابُور بن أزدشير بن بابك وَادّعىٰ النُّبُوَّة، وَقَالَ: إِن للْعَالم أصلين نوراً وظلمة وَكِلَاهُمَا قديم، فَقبل سَابُور قَوْله: فَلَمَّا انْتَهَت نوبَة الْملك إِلىٰ بهْرَام أَخذ ماني وسلخه وحشا بجلده تبناً وعلقه وَقتل أَصْحَابه إِلَّا من هرب والتحق بالصين ودعوا إِلىٰ دين ماني فَقبل أهل الصين مِنْهُم وَأهل الصين إِلىٰ زَمَاننَا هَذَا علىٰ دين ماني.

٤. في هامش النسخة المعتمدة: الأباضية: فرقة من الخوارج أصحاب عبد الله بن أباض التميمي.

٥. محمد وعبد الله.

ادَّعىٰ القائلون بإمامة محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد خلاف ما تدَّعيه أنت وأصحابك، ويذكرون أن أسلافهم رووا ذلك عنه، فعرفنا الفصل بينكم وبينهم لنأتيك بأحسن منه، وأنصف من نفسك فإنه أولىٰ بك.

وفرق آخر: وهو أن أصحاب محمد بن جعفر وعبد الله بن جعفر معترفون بأن الحسين نص علىٰ علي وأن علياً نص علىٰ محمد، وأن محمداً نص علىٰ جعفر، ودليلنا أن جعفراً نص علىٰ موسىٰ ﵇ هو بعينه دون غيره دليل هؤلاء علىٰ أن الحسين نص علىٰ علي، وبعد فإن الإمام إذا كان ظاهراً واختلف إليه[١] شيعته ظهر علمه وتبين معرفته بالدين، ووجدنا رواة الأخبار وحملة الآثار قد نقلوا عن موسىٰ من علم الحلال والحرام ما هو مدون مشهور، وظهر من فضله في نفسه ما هو بيّن عند الخاصة والعامة وهذه هي أمارات الإمامة، فلما وجدناها لموسىٰ دون غيره علمنا أنه الإمام بعد أبيه دون أخيه.

وشيء آخر: وهو أن عبد الله بن جعفر مات ولم يعقب ذكراً ولا نص علىٰ أحد فرجع القائلون بإمامته عنها إلىٰ القول بإمامة موسىٰ ﵇ والفصل بعد ذلك بين أخبارنا وأخبارهم هو أن الأخبار لا توجب العلم حتىٰ يكون في طرقه وواسطته قوم يقطعون العذر إذا أخبروا، ولسنا نشاح[٢] هؤلاء في أسلافهم، بل نقتصر علىٰ أن يوجدونا في دهرنا من حملة الأخبار ورواة الآثار ممن يذهب مذهبهم عدداً يتواتر بهم الخبر كما نوجدهم نحن ذلك، فإن قدروا علىٰ هذا فليظهروه، وإن عجزوا فقد وضح الفرق بيننا وبينهم في الطرف الذي يلينا ويليهم[٣] وما بعد ذلك موهوب لهم وهذا واضح والحمد لله.

---

١. في هامش النسخة المعتمدة: يعنىٰ بالاختلاف الإياب والذهاب.

٢. في هامش النسخة المعتمدة: أي لا نتنازع.

٣. في هامش النسخة المعتمدة: في بعض النسخ بيننا وبينهم.

وأمّا الواقفة على موسىٰ عليه السلام فسبيلهم سبيل الواقفة علىٰ أبي عبد الله عليه السلام، ونحن فلم نشاهد موت أحد من السلف وإنما صح موتهم عندنا بالخبر، فإن وقف واقف علىٰ بعضهم سألناه الفصل بينه وبين من وقف علىٰ سائرهم وهذا ما لا حيلة لهم فيه.

ثم قال صاحب الكتاب: ومنهم فرقة قطعت علىٰ موسىٰ وائتموا بعده بابنه علي بن موسىٰ عليهما السلام دون سائر ولد موسىٰ عليه السلام وزعموا أنه استحقها بالوراثة والوصية، ثم في ولده حتىٰ انتهوا إلىٰ الحسن بن علي عليهما السلام فادعوا له ولداً وسموه الخلف الصالح فمات قبل أبيه[1]، ثم إنهم رجعوا إلىٰ أخيه الحسن وبطل في محمد ما كانوا توهموا - وقالوا: بدا لله من محمد إلىٰ الحسن كما بدا له من إسماعيل بن جعفر إلىٰ موسىٰ وقد مات إسماعيل في حياة جعفر إلىٰ أن مات الحسن بن علي في سنة ثلاث وستين ومائتين فرجع بعض أصحابه إلىٰ إمامة جعفر بن علي، كما رجع أصحاب محمد بن علي بعد وفاة محمد إلىٰ الحسن، وزعم بعضهم أن جعفر بن علي استحق الإمامة من أبيه علي بن محمد بالوراثة والوصية دون أخيه الحسن، ثم نقلوها في ولد جعفر بالوراثة والوصية، وكل هذه الفرق يتشاحون علىٰ الإمامة ويكفر بعضهم بعضاً، ويكذب بعضهم بعضاً، ويبرأ بعضهم من إمامة بعض، وتدَّعي كل فرقة الإمامة لصاحبها بالوراثة والوصية وأشياء من علوم الغيب، الخرافات أحسن منها ولا دليل لكل فرقة فيما تدَّعي وتخالف الباقين غير الوراثة والوصية، دليلهم شهادتهم لأنفسهم دون غيرهم قولاً بلا حقيقة ودعوىٰ بلا دليل، فإن كان ههنا دليل فيما يدَّعي كل طائفة غير الوراثة والوصية، وجب

١. في هامش النسخة المعتمدة: في بعض النسخ بعد قوله: وسموه الخلف الصالح هكذا (ومنهم فرقة قالت بإمامة محمد بن علي فمات قبل أبيه ثم إنهم رجعوا إلىٰ أخيه الحسن) إلخ.

إقامته وإن لم يكن غير الدعوىٰ للإمامة بالوراثة والوصية، فقد بطلت الإمامة لكثرة من يدَّعيها بالوراثة والوصية، ولا سبيل إلىٰ قبول دعوىٰ طائفة دون الأخرىٰ إن كانت الدعوىٰ واحدة، ولا سيما وهم في إكذاب بعضهم بعضاً مجتمعون، وفيما يدّعىٰ كل فرقة منهم منفردون.

توضيح ما قاله رحمه الله:

النقض بدعوىٰ معارضة القرآن وإبطالها:

وهذا نظير ما لو ادّعىٰ مدَّعٍ من غير أهل الإسلام بوجود دليل يعارض القرآن وينفيه ويبطل ما جاء فيه، فإننا نقول لهذا المعترض: القرآن موجود بين أيدينا، وحقائقه ظاهرة للعيان، فأين هذا الذي تدَّعي معارضته للقرآن، أظهره، وبين وجه معارضته.

روايات الإمامية دالة علىٰ الوراثة والوصية:

فكذلك الأمر في دعوىٰ معارضة ما يراه الشيعة الإمامية من هذه الفِرَق المنحرفة الضالة، فإن أخبار حقانية الإمامية بارزة ظاهرة للعين في نظريتهم في الإمامة وأنها بالوراثة والوصية وفي أعقاب الإمام الحسين عليه السلام واحداً بعد واحد، فمن يدَّعِ غير ذلك فليأت بروايات تدل علىٰ دعواه كما جاءت الإمامية بذلك.

وبخلاف ذلك فدعواكم غير مسموعة ولا مستدل عليها بالروايات.

روايات الإمامية لا تبطل إذ ببطلانها بطلان الإسلام:

ولو تطرق الإبطال إلىٰ روايات الإمامية فيما يعتقدون وهي بهذه الكثرة والانتشار في مختلف الأقطار والأمصار، لتطرق البطلان للدين من قبل البراهمة، ولقال هؤلاء: إننا نبطل الإسلام بمثل ما أبطلتم به أخبار الإمامية.

كل فرقة ضلال لابد لها من دعوة:

ولا يخفىٰ أن كل فرقة من فرق الضلال لابد أن تدَّعي دعوىٰ وإلّا فلا توجد فرقة لا دعوىٰ لها!

فقد ادَّعت الثنوية أن ماني أقام المعجزات، فأجابهم الموحدون بأن هذه دعوىٰ لا يعجز عنها أحد، دلونا علىٰ خبره ودليله لنرىٰ أنه يقطع الحجة أو لا؟

وهكذا الكلام مع هذه الفرق.

دعوىٰ البكرية وإلزام الزيدي بها:

وكذلك يقال لصاحب كتاب الإشهاد: إن البكرية والأباضية قد ادَّعت أن النبي صلى الله عليه وآله قد نص علىٰ أبي بكر وأنت قد أنكرت ذلك، كما ننكر نحن أن أبا عبد الله عليه السلام قد أوصىٰ إلىٰ إسماعيل وعبد الله، فما تقوله في رفضك للبكرية نحن نقوله في رفضنا لهذين.

وكذلك تدَّعي أن الإمام الصادق عليه السلام لم يدَّعِ الإمامة علىٰ ما تقوله الإمامية، وأن الذي ادَّعاها له هم أصحاب محمد بن إسماعيل، فهل من فرق بين الدعويين تبيِّنه لنا؟

وهل هناك ما يميز دعواكم عن دعواهم، لنأتيك بأحسن منه في تمييز دعوانا من دعواهم.

دليلنا دليل من وقف قبل أن يقف:

وهناك فرق آخر وهو أن الإسماعيلية والفطحية يعترفون بالنص علىٰ إمامة أمير المؤمنين عليه السلام، وهكذا بالنص إلىٰ الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام، فبنفس الدليل الذي استدلوا به علىٰ إمامة هؤلاء الأئمة عليهم السلام نستدل علىٰ إمامة الإمام الكاظم عليه السلام.

ظهور دلالات الإمامة علىٰ من ندَّعي وبطلانها في غيرهم:

علىٰ أنه قد ظهرت عليه أمارات الإمامة، مِن تردد الشيعة عليه وظهور علمه ووضوح معرفته بالدين، وقد نقل عنه أهل الآثار والأخبار ذلك، وكان معروفاً عند الخاص والعام، فنحن قد وجدنا أمارات الإمامة فيه دون غيره من أولاد الإمام الصادق عليه السلام.

وشيء آخر: أن عبد الله مات في حياة الإمام الصادق عليه السلام ولم يعقب ذكراً ولا نص علىٰ أحد، وقد رجع القائلون بإمامته إلىٰ القول بإمامة الإمام الكاظم عليه السلام.

علىٰ أن أخبار هؤلاء لا توجب العلم ولا تقطع العذر كما هي أخبارنا، ونحن لا نزاع لنا مع هؤلاء في ما فعله أسلافهم ولماذا وقفوا، وإنما كلامنا مع هؤلاء الأتباع في أن يعطونا الدليل من الآثار والأخبار من الذين يعتقدون بمعتقدهم، كما نقوم به نحن من الاستدلال بالآثار والأخبار علىٰ ما نعتقده، فإذا عجزوا عن ذلك فهذا معناه أنهم علىٰ باطل.

وأمّا الواقفة علىٰ الإمام موسىٰ بن جعفر عليهما السلام فحالهم حال الواقفة علىٰ أبي عبد الله عليه السلام، ونحن لم نشاهد موت أحد من السلف وإنما صح موتهم عندنا بالخبر، فإن وقف واقف منهم وقال بعدم موت الإمام عليه السلام، نسأل هنا أن يبين لنا الفرق بينه وبين من سبقه، وأن يأتوا بالفرق، فهذا مما لا سبيل لهم إليه ومما لا يقدرون عليه، فبان بطلان دعواهم.

ثم قال صاحب كتاب الإشهاد: وأيضاً من الفِرَق فرقة استمرت بالاعتقاد بالأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد إلىٰ إمامة الإمام الحسن العسكري عليه السلام وقالوا بأن له ولداً وأنه الخلف الصالح عليه السلام.

وفرقة أخرىٰ قالوا بإمامة محمد بن الإمام الهادي عليه السلام ولكنهم رجعوا عن القول بإمامته بعد موته ورجعوا إلىٰ القول بإمامة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وقال هؤلاء: بدا لله تعالىٰ في محمد كما بدا له في إسماعيل، إلىٰ أن مات الإمام الحسن عليه السلام سنة (٢٦٣هـ)[1]، فرجع بعض أصحابه إلىٰ القول بإمامة جعفر بن الإمام الهادي عليه السلام، وهؤلاء زعموا أن الإمامة في جعفر هي من الإمام الهادي عليه السلام وليس من الإمام العسكري عليه السلام، ثم هؤلاء نقلوها في ولد جعفر بالوراثة والوصية، وكل هذه الفِرَق يتشاحون ويتنازعون في الإمامة إلىٰ الحد الذي يكفر بعضهم بعضاً ويكذب بعضهم علىٰ بعض ويبرأ بعضهم من بعض، وتدَّعي كل فرقة منهم الإمامة في صاحبها بالوراثة والوصية، وأشياء من علوم الغيب، ولكن الخرافات أحسن من هذا الذي يدعونه، ولا يملك هؤلاء دليلاً علىٰ دعواهم سوىٰ الوراثة والوصية وشهادتهم لأنفسهم بأنهم علىٰ حق دون حق أو تحقيق، فإن كان عند هؤلاء دليل يميز بعضهم غير الوراثة والوصية فليقدموه، وإلّا فإن لم يكن بيدهم غير هذا، فدعواهم باطلة، وتبعاً لبطلان دعاواهم بأجمعهم تبطل دعوىٰ الإمامة، إذ لا سبيل لتصديق طائفة دون طائفة، فالدعوىٰ واحدة وهم يكذب بعضهم بعضاً، فنكذبهم جميعاً، لأنهم بمجموعهم يكذبون أنفسهم بأنفسهم.

المتن:

فأقول - والله الموفق للصواب -: لو كانت الإمامة تبطل لكثرة من يدَّعيها لكان سبيل النبوة سبيلها، لأنّا نعلم أن خلقاً قد ادَّعاها، وقد حكىٰ صاحب الكتاب عن الإمامية حكايات مضطربة، وأوهم أن تلك مقالة الكل وأنه ليس فيهم إلّا من يقول بالبداء.

---

١. المشهور أن سنة وفاته كانت (٢٦٠هـ).

ومن قال: إن الله يبدو له من إحداث رأي وعلم مستفاد فهو كافر بالله.

وما كان غير هذا فهو قول المغيرية، ومن ينْحَلُ للأئمة علم الغيب.

فهذا كفر بالله، وخروج عن الإسلام عندنا.

وأقل ما كان يجب عليه أن يذكر مقالة أهل الحق، وأن لا يقتصر علىٰ أن القوم اختلفوا حتىٰ يدل علىٰ أن القول بالإمامة فاسد.

وبعد فإن الإمام عندنا يُعرَف من وجوه سنذكرها ثم نعتبر ما يقول هؤلاء، فإن لم نجد بيننا وبينهم فصلاً حكمنا بفساد المذهب، ثم عدنا نسأل صاحب الكتاب عن أن أي قول هو الحق من بين الأقاويل: أمّا قوله: (إن منهم فرقة قطعت علىٰ موسىٰ وائتموا بعده بابنه علي بن موسىٰ)، فهو قول رجل لا يعرف أخبار الإمامية[1] لأن كل الإمامية - إلّا شرذمة وقفت وشذوذ قالوا بإمامة إسماعيل وعبد الله بن جعفر - قالوا بإمامة علي بن موسىٰ ورووا فيه ما هو مدون في الكتب، وما يذكر من حملة الأخبار ونقلة الآثار خمسة مالوا إلىٰ هذه المذاهب في أول حدوث الحادث، وإنما كثر من كثر منهم بعد، فكيف استحسن صاحب الكتاب أن يقول: ومنهم فرقة قطعت علىٰ موسىٰ؟

وأعجب من هذا قوله: حتىٰ انتهوا إلىٰ الحسن فادعوا له ابناً.

وقد كانوا في حياة علي بن محمد وسموا للإمامة ابنه محمداً إلّا طائفة من أصحاب فارس بن حاتم، وليس يحسن بالعاقل أن يشنع علىٰ خصمة بالباطل الذي لا أصل له.

والذي يدل علىٰ فساد قول القائلين بإمامة محمد هو بعينه ما وصفناه في باب إسماعيل بن جعفر لأن القصة واحدة وكل واحد منهما مات قبل أبيه، ومن المحال أن يستخلف الحيُّ الميتَ ويوصي إليه بالإمامة، وهذا أبين فساداً من أن يحتاج في كسره إلىٰ كثرة القول.

---

١. في هامش النسخة المعتمدة: في بعض النسخ (أخبار الناس).

والفصل بيننا وبين القائلين بإمامة جعفر أن حكاية القائلين بإمامته عنه اختلفت وتضادت لأن منهم ومنا من حكىٰ عنه أنه قال: (إني إمام بعد أخي محمد)، ومنهم من حكىٰ عنه أنه قال: (إني إمام بعد أخي الحسن)، ومنهم من قال: إنه قال: (إني إمام بعد أبي علي بن محمد).

وهذه أخبار كما ترىٰ يكذّب بعضها بعضاً، وخبرنا في أبي الحسن بن علي خبر متواتر لا يتناقض وهذا فصل بيِّن، ثم ظهر لنا من جعفر ما دلنا علىٰ أنه جاهل، بأحكام الله ﷻ وهو أنه جاء يطالب أم أبي محمد بالميراث وفي حكم آبائه (أن الأخ لا يرث مع الأُم)، فإذا كان جعفر لا يحسن هذا المقدار من الفقه حتىٰ تبين فيه نقصه وجهله، كيف يكون إماماً؟

وإنما تعبَّدَنا الله بالظاهر من هذه الأمور ولو شئنا أن نقول لقلنا، وفيما ذكرناه كفاية ودلالة علىٰ أن جعفراً ليس بإمام.

وأمّا قوله: (إنهم ادعوا للحسن ولداً)، فالقوم لم يدعوا ذلك إلّا بعد أن نقل إليهم أسلافهم حاله وغيبته وصورة أمره واختلاف الناس فيه عند حدوث ما يحدث، وهذه كتبهم فمن شاء أن ينظر فيها فلينظر.

وأمّا قوله: (إن كل هذه الفرق يتشاحّون[1] ويكفّر بعضهم بعضاً)، فقد صدق في حكايته وحال المسلمين في تكفير بعضهم بعضاً هذه الحال، فليقل كيف أحب، وليطعن كيف شاء، فإن البراهمة تتعلق به فتطعن بمثله في الإسلام من سأل خصمه عن مسألة يريد بها نقض مذهبه إذا ردت عليه كان فيها من نقض مذهبه مثل الذي قدر أن يلزمه خصمه، فإنما هو رجل يسأل نفسه وينقض قوله، وهذه قصة صاحب الكتاب، والنبوة أصل والإمامة فرع فإذا أقرَّ صاحب الكتاب بالأصل لم يحسن به أن يطعن في الفرع بما رجع علىٰ الأصل والله المستعان.

---

١. أي يتنازعون.

توضيح ما قاله رحمه الله:

لو بطلت الإمامة بكثرة مدَّعيها لبطلت النبوة:

دعوىٰ صاحب كتاب الإشهاد باطلة: إذ لو كانت الإمامة تبطل بكثرة من يدَّعيها للزم إبطال النبوة أيضاً لكثرة من ادَّعاها.

ثم إن ما قاله هذا الرجل عن الإمامية كلام مضطرب موهوم فهو يريد بإكثار الحديث عن الفِرَق المنقرضة أن يوحي أن المذاهب كلها علىٰ حدٍ سواء وأنها باطلة، وبالتالي فإن قول الإمامية في الإمامة وأنها بالوراثة والوصية باطل.

اقتصار الزيدي علىٰ مقالات الفِرَق المنقرضة دون بيان مقالة الإمامية دليل ضعفه:

ثم قال: إن الشيعة تقول بالبداء وبعلم الأئمة للغيب، وأن الذي يقول به كافر وخارج عن الإسلام.

ولو كان منصفاً حقاً لذكر مقالة الإمامية الحقة ولم يقتصر علىٰ ذكر مقالات الفِرَق المنقرضة والباطلة، ليستدل بالاختلاف علىٰ بطلانها جميعها بما فيها الإمامية الاثنا عشرية الحقة.

والإمام عليه السلام يعرف عندنا من وجوه سيأتي ذكرها.

ولو سلمنا جدلاً أنه لا طريق عندنا لتعيين الإمام عليه السلام، فلابد أن نسأله عن قول الحق بين أقوال الفِرَق المختلفة وما هو المميز لهذه الفرقة الحقة وما هو دليلها؟

فيرجع الأمر برمته إلىٰ إثبات الحق بالدليل لا بالادِّعاء، فرجع الأمر كما نقول.

الفِرَق التي ذكرها ليست بذات عدد ومنقرضة في قبال جمهور الإمامية:

ومن الغريب قول صاحب كتاب الإشهاد: إن فرقة الشيعة التي قطعت علىٰ الإمام موسىٰ بن جعفر عليه السلام أنهم قالوا بإمامة الإمام الرضا عليه السلام من بعده، وكأنه يوحي أن الكثير من الإمامة ما قالوا بإمامة الإمام الكاظم عليه السلام ومن بعده بولده الرضا عليه السلام، وهذه مقالة باطلة وتصدر من رجل لا يعرف بأخبار وأحوال الإمامية، فإن من وقف هو الشاذ النادر وأن مبدأ الوقف هم خمسة أشخاص وتبعهم بعد ذلك شرذمة قليلة.

بطلان إمامة محمد بن الإمام الهادي عليه السلام:

والأغرب والأعجب مما تقدم أن يدَّعي صاحب كتاب الإشهاد أن الإمامية قالوا بإمامة محمد بن الإمام الهادي عليه السلام المعروف بسبع الدجيل رحمه الله وبعض آخر منهم زعموا وادَّعوا أن الإمامة للحسن بن علي عليه السلام أي للإمام العسكري عليه السلام ثم قالوا بالولد منه وهو الحجة عجل الله فرجه.

وهذا كلام رجل يريد أن يشنع علىٰ خصمه ويتكلم بالباطل، فإن جمهور الشيعة هم هؤلاء، والمخالف هم أنفار قليلة منقرضة، فعليه قبل أن يتكلم أن يرجع إلىٰ أخبار الشيعة ويعرف الحق.

وفساد قول من قال بإمامة محمد سبع الدجيل هو بعينه ما تقدم في فساد الفِرَق الضالة المنقرضة كالإسماعيلية، فإن إسماعيل ومحمداً كل واحد منهما مات قبل موت أبيه عليهما السلام.

وأمّا دليل بطلان قول من قال بإمامة جعفر، فهو تضاد أقوال من قال بإمامته، فمنهم من قال: إنه إمام بعد أخيه الحسن العسكري عليه السلام، ومنهم من قال: إنه إمام بعد أخيه محمداً رحمه الله، ومنهم من قال: إنه إمام بعد أبيه عليه السلام، وهذه الادِّعاءات يكذب بعضها بعضاً.

وأمّا قولنا في إمامة أبي محمد الحسن عليه السلام فهو خبر متواتر لا يتناقض فتصح إمامته.

ثم إن تصرفات جعفر الظاهرة دلت على جهله بالأحكام الشرعية وأنه لا يعرف شيئاً منها، فقد جاء إلى أُم الإمام العسكري عليه السلام يطلب منها الميراث، مع أنه من الواضح في فقه الإمامية أن الأخ لا يرث مع الأُم، فإذا كان لا يحسن من الأحكام هذا الحكم الواضح فكيف يكون إماماً؟

وهناك الكثير من الأشياء التي تنقض مقالته ودعوى إمامته وفي ما ذكر كفاية.

وأمّا قول صاحب كتاب الإشهاد: إن الإمامية ادَّعت أن للحسن عليه السلام ولداً!

فإننا نقول له: إن القوم لم يدَّعوا ذلك إلّا بعد أن نقل إليهم أسلافهم الروايات الدالة على حاله وغيبته وبيَّنوا حتى اختلاف الناس فيه عند أوان إمامته، وكتبهم بين ظهرانيكم فلينظر فيها المجادل والمخالف ليتبين له الحال.

أحوال الفِرَق والمسلمين:

وأمّا قول صاحب الإشهاد عن فِرَق الشيعة بأنهم يتخاصمون ويكذّب بعضهم بعضاً، فقد صدق في حكايته، وحال المسلمين في تكفير بعضهم بعضاً هذا الحال فليقل ما يحب بعد وضوح الأمر، فإن البراهمة تطعن على المسلمين بمثل ما يطعن هو على الشيعة، وهذه حال من ينقض نفسه بما يقوله في خصمه!

الأصل في الإمامة:

وعلىٰ صاحب هذا الكتاب أن يقر بالأصل وأن الإمامة بالوراثة والوصية، وليس له بعد الإقرار أن يطعن في الفرع، وهو قد أقر بالأصل حسب الفرض لأنه يرىٰ إمامة أمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام بهذا الأصل.

المتن:

ثم قال: ولو جازت الإمامة بالوراثة والوصية لمن يدَّعىٰ له بلا دليل متَّفق عليه لكانت المغيرية أحق بها لإجماع الكل معها علىٰ إمامة الحسن بن علي الذي هو أصلها المستحق للإمامة من أبيه بالوراثة والوصية وامتناعها بعد إجماع الكل معها علىٰ إمامة الحسن من إجازتها لغيره.

هذا مع اختلاف المؤتمة في دينهم، منهم من يقول بالجسم، ومنهم من يقول بالتناسخ، ومنهم من تجرد التوحيد ومنهم من يقول بالعدل ويثبت الوعيد، ومنهم من يقول بالقدر ويبطل الوعيد، ومنهم من يقول بالرؤية، ومنهم من ينفيها مع القول بالبداء، وأشياء يطول الكتاب بشرحها، يكفر بها بعضهم بعضاً ويتبرأ بعضهم من دين بعض ولكل فرقة من هذه الفِرَق بزعمها رجال ثقات عند أنفسهم، أدّوا إليهم عن أئمتهم ما هم متمسكون به.

ثم قال صاحب الكتاب: وإذا جاز كذا جاز كذا، شيء لا يجوز عندنا ولم نأت بأكثر من الحكاية، فلا معنىٰ لتطويل الكتاب بذكر ما ليس فيه حجة ولا فائدة.

فأقول – وبالله الثقة –: لو كان الحق لا يثبت إلّا بدليل متَّفق عليه ما صح حق أبداً، ولكان أول مذهب يبطل مذهب الزيدية لأن دليلها ليس

بمتفق عليه، وأمّا ما حكاه عن المغيرية فهو شيء أخذته عن اليهود لأنها تحتج أبداً بإجماعنا وإياهم علىٰ نبوة موسىٰ عليه السلام ومخالفتهم إيانا في نبوة محمد صلى الله عليه وآله.

وأمّا تعييره إيانا بالاختلاف في المذاهب وبأنه كل فرقة منا تروي ما تدين به عن إمامها، فهو مأخوذ من البراهمة لأنها تطعن به - بعينه دون غيره - علىٰ الإسلام ولولا الإشفاق من أن يتعلق بعض هؤلاء المجان[1] بما أحكيه عنهم لقلت كما يقولون.

والإمامة - أسعدكم الله - إنما تصح عندنا بالنص وظهور الفضل والعلم بالدين مع الإعراض عن القياس والاجتهاد في الفرائض السمعية وفي فروعها، ومن هذا الوجه عرفنا إمامة الإمام، وسنقول في اختلاف الشيعة قولاً مقنعاً.

قال صاحب الكتاب: ثم لم يخلُ اختلافهم من أن يكون مولداً من أنفسهم أو من عند الناقلين إليهم أو من عند أئمتهم، فإن كان اختلافهم من قبل أئمتهم فالإمام من جمع الكلمة، لا من كان سبباً للاختلاف بين الأُمة لاسيما وهم أولياؤه دون أعدائه، ومن لا تقية بينهم وبينه، وما الفرق بين المؤتمة والأُمة إذ كانوا[2] مع أئمتهم وحجج الله عليهم في أكثر ما عابوا علىٰ الأُمة التي لا إمام لها من المخالفة في الدين وإكفار بعضهم بعضاً، وإن يكن اختلافهم من قبل الناقلين إليهم دينهم فما يؤمنهم من أن يكون هذا سبيلهم معهم فيما ألقوا إليه من الإمامة، لاسيما إذا كان المدعىٰ له الإمامة معدوم العين غير مرئي الشخص، وهو حجة عليهم فيما يدَّعون لإمامهم من علم

١. في هامش النسخة المعتمدة: مجن الشيء غلظ وصلب. مزح وقل حياء، كأنه صلب وجهه فهو ما جن والجمع مجان، وفي بعض النسخ (الفجار) وفي بعضها (المخالفين). والإشفاق: الخوف.

٢. في هامش النسخة المعتمدة: في بعض النسخ (بين المؤتمة والأئمة إذا كانوا).

الغيب إذا كان خيرته والتراجمة بينه وبين شيعته كذا بين، يكذبون عليه، ولا علم له بهم، وإن يكن اختلاف المؤتمة في دينها من قبل أنفسها دون أئمتها فما حاجة المؤتمة إلىٰ الأئمة إذ كانوا بأنفسهم مستغنين وهو بين أظهرهم ولا ينهاهم وهو الترجمان لهم من الله والحجة عليهم؟ هذا أيضاً من أدل الدليل علىٰ عدمه وما يدَّعىٰ من علم الغيب له، لأنه لو كان موجوداً لم يسعه ترك البيان لشيعته كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين وَما أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل: ٦٤] الآية. فكما بيَّن الرسول صلى الله عليه وآله لأُمته وجب علىٰ الإمام مثله لشيعته.

فأقول – وبالله الثقة –: إن اختلاف الإمامية إنما هو من قبل كذابين[١] دلَّسوا أنفسهم فيهم في الوقت بعد الوقت، والزمان بعد الزمان، حتىٰ عظم البلاء، وكان أسلافهم قوماً يرجعون إلىٰ ورع واجتهاد وسلامة ناحية، ولم يكونوا أصحاب نظر وتميز[٢] فكانوا إذا رأوا رجلاً مستوراً يروي خبراً أحسنوا به الظن وقبلوه، فلما كثر هذا وظهر شكوا إلىٰ أئمتهم فأمرهم الأئمة عليهم السلام بأن يأخذوا بما يجمع عليه[٣] فلم يفعلوا وجروا علىٰ عادتهم، فكانت الخيانة من

١. ليس الاختلاف في الأخبار من الكذابين فقط وإنما هو من عدة وجوه بالإضافة إلىٰ ما ذكره الشيخ ابن قبة رحمه الله فإن الاختلاف حاصل من التقية كما هو ظاهر، وحاصل أيضاً من نفس الأئمة عليهم السلام وقد رويت في ذلك روايات عديدة نكتفي بواحدة منها وتفصيل الكلام موكول إلىٰ محله، فقد روىٰ الشيخ الصدوق رحمه الله في علل الشرائع: ج٢، ص٨٥، بسنده عن محمد بن بشير وحريز عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قلت له: إنه ليس شيء أشد عليَّ من اختلاف أصحابنا، قال: «ذلك من قبلي»).

٢. ليس الأمر كذلك وإنما فيهم من هم أصحاب نظر وتمييز بل هم الطابع العام من الرواة كزرارة ومحمد بن مسلم ويونس بن عبد الرحمن وغيرهم.

٣. القواعد التي وضعها الأئمة عليهم السلام لشيعتهم كثيرة، منها: الإرجاع إلىٰ القرآن الكريم، والسنة القطعية، ومخالفة العامة، والتمييز بالصفة للراوي، وغيرها الكثير وقد بُحِثَتْ في باب التعارض مفصلاً من علم أصول الفقه.

قبلهم[١] لا من قبل أئمتهم، والإمام أيضاً لم يقف على كل هذه التخاليط[٢] التي رويت لأنه لا يعلم الغيب[٣]، وإنما هو عبد صالح يعلم الكتاب والسنة، ويعلم من أخبار شيعته ما يُنهىٰ إليه.

وأمّا قوله: فما يؤمنهم أن يكون هذا سبيلهم فيما ألقوا إليهم من أمر الإمامة، فإن الفصل بين ذلك أن الإمامة تنقل إليهم بالتواتر، والتواتر لا ينكشف عن كذب وهذه الأخبار فكل واحد منها إنما خبر واحد لا يوجب خبره العلم وخبر الواحد قد يصدق ويكذب وليس هذا سبيل التواتر، هذا جوابنا وكل ما أتىٰ به سوىٰ هذا فهو ساقط.

ثم يقال له: أخبرنا عن اختلاف الأُمة هل تخلوا من الأقسام التي قسمتها؟

فإذا قال: لا، قيل له: أفليس الرسول إنما بُعث لجمع الكلمة؟ فلابد من نعم، فيقال له: أوليس قد قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ (النحل: ٦٤)؟

فلابد من نعم، فيقال له: فهل بيّن؟

---

١. من قبل بعضهم لا من قبلهم بأجمعهم، فإن فيهم من كان يسأل وبإلحاح ويتشدد في تمييز الأحاديث، كيونس بن عبد الرحمن وغيره.

٢. قصده أن الإمام عليه السلام لم يقف على كل خبر خبر، وإلّا فكلامه السابق صريح في أن الشيعة قد أخبروا أئمتهم بوجود الاختلاف في الأخبار.

٣. في هامش النسخة المعتمدة: أي لا يعلمه بذاته ومن عند نفسه، بل يعلم الغيب من جانب الله تعالىٰ متىٰ أراد إذا أراد الله أن يعلمه. ونقول هنا: إن مسألة علم الإمام عليه السلام بالغيب في عقيدتنا مما لا خلاف فيها، نعم هو تعليم من الله تعالىٰ، وقد دلت عليه روايات عديدة رويت في عدة أبواب وفي أهم مصادر الحديث كالكافي وغيره، فقوله: لا يعلم الغيب وأنه عبد صالح إمّا يقصد منه لا يعلمه من عند نفسه، وإمّا أنه في مقام المحاججة يريد أن يتكلم مع الخصم بلغته وبما يفهمه من صفات الإمام، وإن كان الأول أقرب.

فلابد من نعم، فيقال له: فما سبب الاختلاف؟ عرّفناه وأقنع منا بمثله.

وأمّا قوله: فما حاجة المؤتمة إلىٰ الأئمة إذ كانوا بأنفسهم مستغنين وهو بين أظهرهم لا ينهاهم - إلىٰ آخر الفصل فيقال له: أولىٰ الأشياء بأهل الدين الإنصاف، أي قول قلناه، وأومأنا به إلىٰ أنّا بأنفسنا مستغنين حتىٰ يقرعنا به صاحب الكتاب ويحتج علينا أو أي حجة توجهت له علينا توجب ما أوجبه؟ ومن لم يبال بأي شيء قابَلَ خصومه كثرت مسائله وجواباته.

وأمّا قوله: وهذا من أدل دليل علىٰ عدمه لأنه لو كان موجوداً لم يسعه ترك البيان لشيعته كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل: ٦٤] فيقال لصاحب الكتاب: أخبرنا عن العترة الهادية يسعهم أن لا يبينوا للأُمة الحق كله؟

فإن قال: نعم، حجَّ نفسه وعاد كلامه وبالاً عليه لأن الأُمة قد اختلفت وتباينت وكفّر بعضها بعضاً، فإن قال: لا، قيل: هذا من أدل دليل علىٰ عدم العترة وفساد ما تدَّعيه الزيدية لأن العترة لو كانوا كما تصف الزيدية لبينوا للأُمة ولم يسعهم السكوت والإمساك، كما قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾ [النحل: ٦٤] فإن ادَّعىٰ أن العترة قد بينوا الحق للأُمة غير أن الأُمة لم تقبل ومالت إلىٰ الهوىٰ، قيل له: هذا بعينه قول الإمامية في الإمام وشيعته. ونسأل الله التوفيق.

توضيح ما قاله رحمه الله:

إبطال أحقية المغيرية بالإمامة، ومشابهة طريقتهم لليهود:

ثم قال صاحب الإشهاد: علىٰ أنه لو جوزت الإمامية القول بالإمامة بمجرد الوراثة والوصية دون دليل يدل علىٰ الإمام لكانت المغيرية أحق بالإمامة من غيرها، لإجماع الكل معها علىٰ إمامة الإمام الحسن عليه السلام الذي

هو أصلها المستحق لها من أبيه أمير المؤمنين عليه السلام بالوراثة والوصية، وامتناع المغيرة لوحدها عن إعطاء الإمامة لغيره فهي من هذه الجهة أقرب، أفهل يُلتَزم بالوراثة والوصية وإن انتهت إلىٰ المغيرية؟

ثم أردف صاحب كتاب الإشهاد قائلاً: مع وجود الكثير من الاختلافات في عقائد الإمامية علىٰ ما ذكره في المتن فلا نكرر.

والشيخ ابن قبة رحمه الله يقول له: لو كانت الحقيقة تصاب بهذه الطريقة لكانت اليهود أحق من الإسلام لأننا نُجمع جميعاً علىٰ نبوة موسىٰ عليه السلام وهم يخالفوننا في نبوة النبي صلى الله عليه وآله.

ليس الدليل علىٰ الإمامة الاتفاق، وإلّا لبطل مذهب الزيدية:

ولو كان الدليل المطلوب في الدعاوىٰ مشروطاً باتفاق الجميع لكان أول مذهب يبطل هو مذهب الزيدية إذ إن دليلها ليس بمتفق عليه.

ولو كان الحق لا يثبت إلّا بدليل متفق عليه لما ثبت حق أبداً، إذ لا اتفاق علىٰ دليل من قبل كل البشر.

وأمّا ما يقوله عنا من الاختلاف، فيردّه ما تقدم من أنه استنساخ لكلام البراهمة ومأخوذ منهم فإنهم يطعنون بعينه علىٰ الإسلام، فهل تراه عاجزاً إلىٰ هذا الحد من إثبات حقانية ما يقول به حتىٰ يستعين بمذهب البراهمة؟

وسنردّ ما يقوله في الاختلاف ردّاً مقنعاً فانتظر.

وتقدم منا أننا نقول في الإمامة بالوراثة والنص وظهور العلم والفضل في الدين ممن يدَّعيها، علىٰ ما تقدم شرحه.

التقسيم الثلاثي للاختلاف علىٰ لسان الزيدي:

ثم قال صاحب كتاب الإشهاد عن اختلاف الشيعة بينهم: إن هذا الاختلاف الذي هم فيه لا يخلو: إمّا هو منهم أو من نقلة الأخبار أو من أئمتهم.

فإن كان من أئمتهم: فإن الشيعة قد عابوا علىٰ المسلمين الذين لا يقولون بالإمام إن أمرهم سينتهي إلىٰ الاختلاف، فما بالهم مع أئمتهم قد وقعوا في أشد من الاختلاف الذي في الأُمة، مع أنه لا تقية في الدين بينهم وبين أئمتهم.

وإن كان الاختلاف من قبل الرواة والناقلين للأخبار فإذا كان هؤلاء النقلة ليسوا بثقة وقد كذبوا وكانوا سبباً في وقوع الاختلاف، فلا يمكن الوثوق بهم في بقية النقولات ومنها نقلهم لعقيدة الإمامة، فالنقلة والرواة الذين كانوا سبباً في الاختلاف هم بأنفسهم من نقلوا أمر الإمامة، خصوصاً إذا كان من تُدَّعىٰ له الإمامة لا يرىٰ بالعين وغائباً، فما يؤمَن أن يكون نقلة الأخبار قد كذبوا في أمره ووضعوا الأخبار في وجوده.

وإن كان الاختلاف من قبل نفس الشيعة فلا تبقىٰ بعد ذلك من حاجة للأئمة، فمع كون الأئمة بين ظهرانيهم لم يمنعوا من وقوع الاختلاف الحاصل بسبب الشيعة فما بالك وإمامهم غائب عنهم؟

فلو كان إمامهم موجوداً مع ما يُدّعىٰ له من علم الغيب لبيّن لشيعته والمؤتمّين به وجه الحق ومَنَع وقوع الاختلاف فيهم.

التقسيم ليس ثلاثياً بل رباعي، والإشكال منتفٍ من الأساس:

فأجابه الشيخ ابن قبة رحمه الله: ليست الشقوق في اختلاف أمر الإمامية ثلاثة، بل هي أربعة، ورفع الإشكال بالالتفات إلىٰ الشق الرابع، وهو أن اختلاف

أمر الإمامية من قبل كذّابين دسّوا أنفسهم في الإمامية ونسبوا أنفسهم إليهم، وهؤلاء كانوا مع الإمامية في كل وقت وقت، وفي كل زمان زمان.

وأسلاف الإمامية ورجالاتهم من أهل الورع والتقوىٰ، ولم يكن لبعضهم القدرة علىٰ تمييز هؤلاء المدلسين، فكان هؤلاء الأسلاف والأصحاب إذا شاهدوا رجلاً مستوراً يروي خبراً أحسنوا الظن به وقبلوه منه، فلما كثر هذا الأمر وظهر، بيَّنوه لأئمتهم، فأمرهم الأئمة عليهم السلام بالأخذ بعدة ضوابط منها: الأخذ بما هو المجمع عليه، إلّا أن بعضهم مع الأسف لم يلتزم بذلك وجرىٰ علىٰ عادته في التساهل، فكان الأمر في وقوع الاختلاف بسبب هذا التساهل وعدم سماع كلام الأئمة عليهم السلام.

وأمّا قوله: إنه لا أمان للشيعة مع اتِّهام الرواة بأن الاختلاف من قبلهم في الأخذ بروايات الإمام.

فهو مردود، فإن روايات الإمامية في الإمامة روايات متواترة لا يقع فيها الكذب، فحتىٰ لو سلمنا أن الاختلاف حاصل من رواة الشيعة فمع ذلك لا يلزم رفض روايات الشيعة في الإمامة لأن روايات رواة الشيعة في الإمامة متواترة ومع التواتر لا كذب.

علىٰ أنه كيف تفسر أيها الزيدي: الاختلاف الحاصل مع وجود النبي صلى الله عليه وآله في الأُمة وبعد بيانه للكتاب وما أنزل، فما تجيب به عن الاختلاف الحاصل مع وجود النبي صلى الله عليه وآله نقنع به كجواب عن الإشكال الذي تسوقه علينا.

أمّا نفيه الحاجة للأئمة عليهم السلام مع وقوع الخلاف فنقول: هذا مجانب للإنصاف، فمتىٰ قلنا ذلك لكي يستدل به علينا، وشخص مثل هذا يتقول بكل ما يحلو له ستكثر زلاته وعثراته.

رد دعوىٰ أن عدم تصدي الإمام المهدي عجل الله فرجه دالٌّ علىٰ عدم وجوده:

وأمّا ما نقض به علىٰ وجود الإمام المهدي عجل الله فرجه من كون عدم تصديه دليلاً علىٰ عدم وجوده، فنحن نسألك: هل يسع الأئمة عليهم السلام أن لا يبينوا للناس والأُمة كل الحق؟

فإن قال: نعم، فقد أسقط حجة نفسه بنفسه، فالأُمة قد اختلفت وكفّرت بعضها بعضاً ومع ذلك لم يبين الأئمة عليهم السلام كل الحق.

وإن قال: لا، فيكون هذا دليلاً علىٰ بطلان مذهب الزيدية، إذ أين هذا البيان لكل الحق الذي تدَّعيه الزيدية من أئمتها والذين نشترك معها في بعضهم كأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهم السلام ؟

فإن قال: إن الأئمة بيَّنوا كل الحق إلّا أن الأُمة قد خالفت ولم تقبل ومالت إلىٰ الهوىٰ.

قيل له: هذا بعينه هو قول الإمامية فرجعت إلىٰ قولنا بعد أن كنت تنقض علينا.

تأتي التتمة في الحلقة القادمة إن شاء الله تعالىٰ.

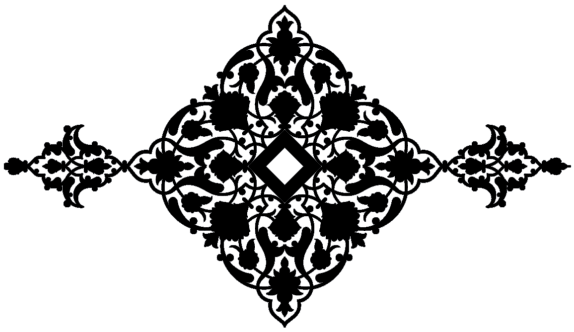

المحتويات

تمهيدنا – كيف نكون إلهيين؟ ٥

أثر الحركات المنحرفة في الموروث المهدوي (الحركة الإسماعيليَّة نموذجاً)

السيِّد محمّد القبانجي ١١

قراءة في واقع الأديان السماوية عند ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف – التعاطي والآليات

مرتضىٰ علي الحلي ٤٥

الازدهار الاقتصادي في الدولة المباركة – الشيخ علي الفياض ٨٧

أحداث عصر الظهور بين الإعجاز والتطور العلمي – م. د ساجد صباح ميس العسكري ١١٧

دابة الأرض – قراءة في الحقيقة والصفات – الشيخ حسين عبد الرضا الأسدي ١٤١

ضرورة الحكومة المهدوية بين نظرية العَقد الاجتماعي وارتكازية العصمة

الشيخ حميد الكلابي ١٩٣

توضيح الإجابات – رسالة في توضيح إجابات ابن قِبَة رحمه الله في نقض كتاب الإشهاد

لأبي زيد العلوي (الحلقة الثالثة) – الشيخ حميد عبد الجليل الوائلي ٢١٩

الموعود

ALMAUOOD

www.m-mahdi.com/almauood

almauood@m-mahdi.com

رقم الإصدار: ٢٧٧

www.m-mahdi.com

بيت الثقافة المهدوية

٠٧٨٠٩٧٤٤٤٧٤

0001252

AL-MUHSEN.COM